جامعة مؤتة
عمادة الدّراسات العليا

# خلافة المُسْتَرْشِدِ بالله

إعداد الطّالب:

حمود مضعان عيال سلمان

إشراف
الأستاذ الدّكتور حسين فلاح الكساسبة

رسالة مقدّمة إلى عمادة الدّراسات العليا
استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة
الدكتوراه فــي التّاريخ قسم التاريخ

جامعة مؤتة، 2008م

# الإهداء

إلى من ربياني صغيراً، والدي العزيزين..............................

إلى زوجتي الغالية التي رافقتني رحلتي مع هذا العمل.....................

إلى أبنائي الأعزاء.............................................

**أهدي جهدي المتواضع هذا**

**حمود مضعان عيال سلمان**

## الشّكر والتّقدير

ينبغي على المرء، أن يشكر أهلَ الفضل على فضلهم. فالشكر أولاً لله عز وجل على فضله ومنّه، أن أنعم علي ووفّقني إلى إتمام هذا العمل، ثم الشكر والتقدير الى أستاذي الفاضل، الأستاذ الدكتور حسين الكساسبة، الذي شاركني مختلفَ مراحلَ هذا العمل فيما أبداه من ملاحظاتٍ قيمةٍ، وتوجيهاتٍ كريمةٍ، أسهمت في بناء أطروحتي، وأنارتْ لي طريق العلم والبحث؛ فأسأل الله أن يجزيه عنّي خير الجزاء، وأن يجنبه كلّ شر ويدفع عنه كل أذى. وأتقدم بالشّكر والعرفان بالفضل للأعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور أحمد عبدالله الحسو، والأستاذ الدكتور محمد محاسنه، والدكتور عوض الذنيبات لما بذلوه من جهد طيب صادق في قراءة هذه الدراسة، ولتفضلهم بقبول مناقشتها، وتقديم كلّ ما هو مفيد في إخراج الدراسة بالشّكل الّذي يجب. وأما أولئك الذين لا يسع المجال لذكرهم فشكري لهم ما حييتُ.

**حمود مضعان عيال سلمان**

## فهرس المحتويات

## قائمة الملاحق

# الملخص

## خلافة المستَرشِد بالله العباسي

## (512-529هـ/1119-1135م)

حمود مضعان عيال سلمان
جامعة مؤتة 2008م

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على أحد خلفاء الدولة العباسية في عهدها المتأخر، ألا وهو الخليفة المستَرشِد بالله العباسي(512-529هـ/1119-1135م)، وقد قسمت الدراسة الى أربعة فصول.

تناول الفصل الأول حياة الخليفة المستَرشِد (486-512هـ/1094-1135م)، حيث تناول اسمه، ونسبه، ومولده، وصفاته، ودراسته، وبيعته بولاية العهد، ثم توليه الخلافة، وحركة أخيه أبي الحسن علي.

وتناول الفصل الثاني حكومة المستَرشِد، وبخاصة وزراءه، وكبار موظفيه، وموظفي السلطنة السلجوقية في بغداد، وعلاقته بهم، وتكوين الجيش العباسي في عهده، والقضاء في بغداد وما يتبعها من مناطق في خلافة المستَرشِد.

وناقش الفصل الثالث علاقة الخلافة العباسية بالسلاجقة ، وقد تم معالجة العلاقة بين الخلفاء والسلاجقة في فترة ما قبل خلافة المستَرشِد(447-512هـ/1056-1119م)، ثم تم دارسة علاقة المستَرشِد بالسلطنة السلجوقية في خلافته.

وخصص الفصل الرابع لدراسة علاقة الخليفة المستَرشِد بالقوى المجاورة لأراضي الخلافة العباسية، ومن هذه القوى الإمارة المزيدية، وأتابكية الموصل، وكذلك موقف الخليفة المستَرشِد من الحروب الصليبية، والحركة الإسماعيلية النزارية. وانتهت الدراسة الى خاتمة تضمنت ما توصلت إليه من آراء وأفكار عن حياة المستَرشِد وحكومته، وتقييماً لدوره في مقاومة النفوذ السلجوقي في العراق، وعلاقاته مع القوى المعاصرة له.

# Abstract

**The Caliphate of al-Mustarshid Bi'llah's**
**(512-529 /1119-1135)**

**Hmud Mad'an Iyal-Salman**
**Mu'tah University 2008.**

This study aims to shed light on al-Mustarshid Bi'llah (512-529 /1119-1135) one of the Abbasid caliphs in the late Abbasid period. The study is divided into four chapters introduction and conclusion

The first chapter deals with the life of the caliph al- Mustarshid, in particular, the caliph's name, descent, birth, qualities, education, coming to the throne, and the movement of his brother Abi al-Hasan Ali.

The second chapter examines al- Mustarshid's government. It discusses his ministers (wazirs), judicial system, the establishment of the army and higher rank government officials. It also talks about the posts of the Saldjuki Sultanate in Baghdad and their relationship with the caliph.

The third chapter studies the relationship between the Saldjuki Sultanate and the Abbasid Caliphate. This relationship has been explored during both the pre- Mustarshid and his reign.

The fourth chapter deals with the relationship of caliph al- Mustarshid with the neighboring forces, such as: the Mazyadids and the Atabiks of Mosul, as well as his point of view regarding the Crusades and the Ismaili Movement

# الفصل الأول

## حياة المستَرشِد( 512-529هـ/1119-1136م)

### 1.1المقدمة

يشكل تاريخ الدولة العباسية في عهدها المتأخر فترة مهمة من تاريخ العرب والمسلمين تعددت فيه مجالات البحث والدراسة، بين دراسة الخلافة العباسية ومؤسساتها، ودراسة السلطنة السلجوقية وعلاقتها بالخلافة العباسية، ومع ما نالته هذه الفترة من اهتمام الباحثين؛ إلا أنها مازالت بحاجة الى مزيد من الدارسات وبخاصة فيما يتعلق بخلفاء هذه الفترة، ودورهم في إعادة قوة الخلافة وهيبتها، بعد أن أحكم السلاجقة سيطرتهم عليها، وسلبوا الخليفة سلطاته وصلاحياته وحصروا دوره في الجانب الديني، ويأتي الخليفة المستَرشِد (512-529هـ/1119-1135م) في طليعة خلفاء هذه الفترة، الذين لم ينالوا الاهتمام الكافي من الباحثين؛ إذ لم يعثر على دراسة متخصصة تتناول دوره التاريخي.

من هنا تأتي هذه الدراسة بهدف تسليط الضوء على خلافة المستَرشِد بالله (512-529هـ/1119-1135م)، والكشف عن إدارته للخلافة العباسية، والجهاز الإداري في عهده، ودوره في إعادة هيبة الخلافة وقوتها في ظل سيطرة السلاجقة، وعلاقته مع القوى المحيطة بمناطق نفوذه .

اعتمدت الدراسة على ما وصل إلينا من كتابات المؤرخين المعاصرين والتالين لحقبة الدراسة، ومنها كتاب التذكرة الحمدونية لابن حمدون (ت562هـ/1167م)، وأخبار الدولة السلجوقية لمؤلفه الحسيني (ت575هـ/1175م)، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني(ت580هـ/1185م)، وزبدة النصرة ونخبة العصرة لمؤلفه الأصفهاني(ت597هـ/1201م)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (ت597هـ/1201م)، وراحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية لمؤلفه الراوندي (601هـ/1205م)، وكتابا الكامل في التاريخ، والتاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل لابن الأثير(ت630هـ/1233م)، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (ت654هـ/1257م )، وتاريخ الزمان لابن

العبري(ت685هـ/1287م)، ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل(697هـ/1298م)، والفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن الطقطقا( ت 709هـ/1310م)، والبداية والنهاية لابن كثير (ت774هـ/1373م)، والعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون (ت808هـ/1406م)، والجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين لابن دقماق( ت809هـ/1407م)، وغيرها، كما أفادت الدراسة من أراء الباحثين المحدثين الذين تناولوها بشكل غير مباشر من خلال دراستهم للخلافة العباسية أو الدولة السلجوقية، وتم التعامل مع هذه المادة حسبما هو معمولٌ به في قواعد البحث التاريخي توثيقاً ونقداً وتحليلاً.

انتظمت الدراسة في مقدمة، وأربعة فصول. تعرض الفصل الأول لحياة المستَرشِد وصفاته ودارسته وبيعته بولاية العهد، وتوليه الخلافة (512-529هـ/1119-1135م)، في حين تناول الفصل الثاني: حكومة المستَرشِد وعلاقته بوزرائه وموظفيه ودورهم في مقاومة النفوذ السلجوقي، أما الفصل الثالث فقد عالج علاقة الخلفاء العباسين الذين سبقوا المستَرشِد بالسلاجقة، وعلاقة المستَرشِد بالسلاجقة، محاولاً عقد المقارنات بين هاتين الفترتين، وخصص الفصل الرابع لدراسة علاقة الخليفة المستَرشِد مع القوى المحيطة بمناطق نفوذه، والتي لها تماس مباشر معه. أنهيت الدراسة بخاتمة تضمنت خلاصة ما توصلت إليه من نتائج، وتقييماً لدور المستَرشِد في فترة توليه الخلافة العباسية، كما ضمت ملخصين باللغتين العربية والانجليزية، وعدداً من الملاحق المتصلة بالدراسة، وقائمة بأسماء المصادر والمراجع والبحوث المعتمدة فيها.

## 1.2اسمه ونسبه ومولده

هو المسترشد بالله الفضل بن أحمد المستظهر بالله بن عبدالله المقتدي بأمر الله ابن محمد بن عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد القادربالله بـن إسـحاق بـن جعفـر المقتدربالله بن أحمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بالله بن جعفر المتوكل على الله ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنـصور بـن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس [1].

وأمـــــــــه أم ولـــــــــــــــــــــــــــــــد، [2]

---

[1] البغدادي، أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ/1071م) تاريخ بغداد أو مدينة الـسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، جـ9، ص399، سيشار إليه تالياً: البغدادي، تاريخ؛ ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت630هـ/1233م)، التاريخ البـاهر فـي الدولـة الأتابيكيـة بالموصل، تحقيق عبدالقادر أحمد طعيمات، ط2، دار الكتب الحديثـة، القـاهرة، مكتبـة المثنى ببغداد1963م، ص 14، سيشار له تالياً: ابن الأثير، التاريخ؛ الذهبي، محمـد بـن أحمد (ت 748هـ/1348م) سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسـسة الرسالة، بيروت 1984م، جـ19، ص561، سيشار له تالياً: الذهبي، سير؛ ابن دقمـاق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر ( ت809هـ/1407م) الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور وأحمد السيد دراج، جامعة أم القـرى، مكـة المكرمة، ص 162، سيشار له تالياً: ابن دقماق، الجوهر .

[2] ابن الأثير، التاريخ، ص 51؛ أبو الفداء، إسماعيل بـن علـي بـن محمـود بـن أيـوب (ت 732هـ/1332م ) تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبـار البـشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1997م، جـ 1 ص73، سيشار له تالياً: أبو الفداء، تاريخ ؛ ابـن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ/1349م)، تاريخ ابن الـوردي،ط1، دار المعرفـة، بيروت1970، جـ2، ص 62، سيشار له تالياً: ابن الوردي، تاريخ؛ ابن كثير، إسـماعيل بن عمر (ت774هـ/1373م)، البداية والنهاية، مكتبـة المعـارف، بيـروت، جــ 11، ص259، سيشار له تالياً: ابن كثير، البداية ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت911هـ/1506م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميـد، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت(د.ت)، ص339، سيشار له تالياً: السيوطي، تاريخ= شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، (الدولة العباسية)، ط5، المكتب الإسـلامي، بيـروت1991م، جـ1، ص495. سيشار له تالياً: شاكر، التاريخ.

ذكرتها المصادر بأسماء مختلفة منها لبابة،[1] ومنها طرقة [2] ومنها أقـبلان [3]، قال عنها سبط ابن الجوزي أنها كانت صالحة متصدقة،[4] توفيت ليلة الاثنـين تاسع من عشر شوال سنة 528هـ/1134م[5].

اختلفت المصادر في تاريخ ولادة المستَرشِد بين عـام 485هـ ـ/1093م،[6] وعام 486هـ/1094م،[7] كما اختلفت في اليوم والشهر، فذكر الكازروني والإربلي

---

(1) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي التركي ( ت654هـ/1257م )، مرآة الزمان فـي تاريخ الأعيان، ط1، مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند 1951م، ق1،جـ 8، ص70، سيشار له تالياً: سبط ابن الجـوزي، مـرآة؛ الأربلـي، عبـد الـرحمن سـنبط قنيتو(ت717هـ/1318م )، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيـق: مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، ص272، سيشار له تالياً: الأربلي، خلاصة.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة ، ق1، جـ 8، ص 70.

(3) الكازروني، علي بن محمد البغدادي (ت 697هـ/1298م )، مختـصر التـاريخ مـن أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، المؤسسة العامة للـصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد 1970م،ص 219؛ سيشار له تالياً، ابـن الكـازروني، مختصر.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص 152.

(5) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/1201م)، المنتظم فـي تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطـا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، جـ17، ص290. سيشار له تالياً:ابن الجوزي:المنـتظم؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص 152؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص 257.

(6) الكازروني، مختصر، ص219؛ الأربلي، خلاصة، ص 272؛ القرماني، أحمد بن يوسـف بن أحمد الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأول في التّاريخ، مخطوط عالم الكتـب بيـروت ص 174؛ الـسيوطي، تـاريخ، ص339؛ ابـن العمـاد الحنبلـي، عبـد الحـي، (ت1089هـ/1679م) ؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة جديـدة، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، جـ4، ص86 .سيشار له تالياً: ابن العماد ، شذرات

(7) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1185م )، الإنباء في تـاريخ الخلفـاء، تحقيق: قاسم الـسامرائي، المعهـد الهولنـدي للآثـار المـصرية والبحـوث العربيـة، لايدن1973م، ص 210، سيشار إليه تاليا ابن العمراني، الإنباء؛ السبكي، عبدالوهاب بن=

أنه ولد يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة485 هـ/1093م[1]، وأغفـل القرماني والسيوطي وابن العماد الحنبلي ذكر اليوم الذي ولد فيه، واكتفوا بالإشـارة إلى أنه ولد في شهر ربيع الأول من السنة آنفة الذكر، [2] أما ابن العمراني فحددها بيوم الاثنين، السابع من شعبان سنة 486هـ/1094،[3] وذكر السبكي أنه ولد فـي يوم الأربعاء الثامن عشر من الشهر والسنة ذاتها، [4] أما الفارقي فقال أن مولده في العشر الأواخر من شعبان [5] واكتفى ابن الأثير والذهبي بالقول أنه ولد في شـهر شعبان، [6] وجمع ابن الجوزي وسبطه بين هذه الروايات فقالا: أنه ولد ليلة الأربعاء الرابع من ربيـع الأول سـنة 484هـ ـ/1092، وقيـل 485هـ ـ/1093 وقيـل 486هـ/1094م[7].

لم تذكر المصادر مكان ولادة المستَرشِد تحديداً، غير أنه ولد في بغـداد؛ دار الخلافة مكان إقامة والده الخليفة المستظهر(478-512هـ/1094-1118م )، ولعل هذا ما جعل المصادر تسكت عن ذكر مكان ولادته.

عاش المستَرشِد بالله صباه وشبابه في ظل رعاية أبيه الخليفة المستظهر بالله، وتـزوج فـي عهـد أبيـه، ورزق بمولـوده الأول، وهـو الراشـد بـالله سـنة

---

علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1370م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبـدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، ط2، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة 1992م، جـ7، ص258، سيشار إليه تالياً: السبكي، طبقات؛ الفارقي، أحمد بـن يوسف بن علي بن الأزرق (عاش في القرن السادس الهجري)، تاريخ، تحقيـق: بـدوي عبداللطيف عوض، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1974م، ص 285، سيشار إليه تاليا الفارقي، تاريخ.

(1) الكازروني، مختصر، ص219؛ الأربلي، خلاصة، ص 272.

(2) القرماني، أخبار، ص 174؛ السيوطي، تاريخ، ص339؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص86

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 210.

(4) السبكي، طبقات، جـ 7، ص258.

(5) الفارقي، تاريخ، ص 285.

(6) ابن الأثير، التاريخ، ص 51؛ الذهبي، سير، جـ19، ص 561 .

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص161؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص 70.

501هـ/1108م[1]، وكان للمسترشد من الأبناء بالإضافة إلى الراشـد، إسـماعيل (ت543هـ/1149م) [2]، وأحمد، وأبو عبدالله موسى (ت567هـ/1167م)، وعيسى (ت 575هـ/1180م) [3].

**1.3صفاته**

وصف المؤرخون المستَرشِد بالله العباسي (512-529 هـ/1118-1134م) بالعديد من الصفات الجسمية، والمعنوية، فقال عنه الكازروني والأربلي:" إنّه كـان أسمر اللون، رقيق البشرة، تام الطول في مقدم لحيته طول" [4]، ووصـفه الـذهبي :"بأنه كان أشقر، أعطر، أشهل، خفيف العارضين"[5]، وقال عنه القلانسي: إنّه كان أشقر الشعر، أشهل العينين، بوجهه نمشه [6]، ووصف نفسه شعراً فقال:

أنا الأشقر الموعود بي في الملاحم    من يملك الدنيا بغير مزاحم[7].

(1) ابن قاضي شهبة، بدر الدين، الكواكب الدرية في السيرة النورية (تاريخ السلطان نورالـدين محمود بن زنكي)، تحقيق : محمود زايد، ط1، دار الكتـاب الجديـد، بيـروت 1971م، ص 84، سيشار إليه تاليا ابن قاضي شهبة، الكواكب.

(2) قال عنه الكازروني: أنه كان صالحاً انظر:الكازروني، مختصر ، ص222.

(3) الكازروني، مختصر ، ص222.

(4) المصدر نفسه، ص219؛ الأربلي، خلاصة ، ص272.

(5) الذهبي، سير، جـ19، ص 563؛ الآلوسي، عادل محي الدين، "الخليفـة المـستَرشِد بـالله العباسي"، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، العـدد1، الـسنة 1978م، ص 416، سيشار إليه تالياً، الآلوسي، "المستَرشِد" .

(6) القلانسي، حمزة (ت555هـ) ذيل تاريخ دمشق، (د،ط)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيـروت 1908م، ص 252، سيشار إليه تالياً : القلانسي، ذيل.

(7) الأصفهاني عماد الدين الكاتب (ت 597هـ/1201م)، خريدة القـصر وجريـدة العـصر، تحقيق : محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، مطبعة المجمـع العلمـي العراقـي، بغـداد 1955م، القسم العراقي، جـ 1، ص 30، سيشار إليه تالياً : الأصفهاني، خريدة.

كما وصفه الشاعر حيص بيص [1]، مادحاً :

ثنيـ ـتُ ركابي عن دبيس بن مزيدٍ مناسِمهـ ـ ـا مما تُغِد دوامي

فِراراً من اللؤمِ المظاهر بالحيا وطول رحيلٍ عند طول مقامِ

ليخصب ربعي بعد طول محليه بأبيض ومتح الجبين إمامِ[2].

أما صفاته المعنوية، فقد ذكرت المصادر أنه كان شجاعاً، ذا همـة عاليـة، وشهامة زائدة، كثير الإقدام، وذا رأي وهيبةٍ شديدة وجلال ووقار، يحترمه عدوه قبل صديقه، وكان خليقاً للإمامة، قليل النظير[3]جميل السيرة، محباً للعـدل، والإنصاف،

---

(1) هو سعد بن محمد بن سعد التميمي شهاب الدين أبو الفوارس المعروف بحيص بيص، ولـد ببغداد سنة492 هـ/1099م، وقرأ أخبار العرب، وأشعارهم، ونظم الكثير من الأشـعار، وله ديوان شعر، وديوان رسائل، توفي ببغداد سنة 574هـ ـ/1179م، انظـر الحمـوي، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1226م) ، معجم الأدباء ، د.ط، دار المستشرق، بيروت د.ت، جـ 11، ص119-201؛ سيشار إليه تالياً: الحموي، معجم؛ ابـن كثيـر، البدايـة، جـ12، ص301-302؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني (ت1067هـ )، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،ط1، دار الفكر بيروت د.ت، جـ ـ1، ص768 سيشار له تالياً: خليفة: كشف.

(2) حيص بيص، سعد بن محمد ، ديوان حيص بيص، تحقيق: مكي جاسم وشاكر هادي شكر، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد1974م، جـ3،ص36، سيشار إليه تالياً، حـيص بيص، ديوان ؛ الذهبي، سير، جـ19، ص 563.

(3) الفارقي، تاريخ، ص285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص 162؛ ابن الأثير، علي بن محمد بن محمـد (ت630هـ ـ/1233م)، الكامـل فـي التاريخ، راجعه وصححه: محمد الدقاق، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1995م، جـ9، ص283، سيشار له تالياً: ابن الأثير، الكامل ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص 156؛ أبو الفداء، المختصر، جـ ـ2، ص 73؛ الـسبكي، طبقـات، جـ ـ7، ص258؛ النّويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت733)، نهايـة الأرب فـي فنـون الأدب، تحقيق : أحمد كمال زكي ومحمد مصطفي زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1980م، جـ23، ص 277، سيشار إليه تالياً النّويرى، نهاية؛ الذهبي، سير، جـ19،ص 563؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 259؛ القرماني، أخبار، ص174؛ ابـن دقمـاق=

ناهياً عن قصد الجور والاعتساف[1]

ومدحه الشاعر حيص بيص قائلاً:

| | |
|---|---|
| إباءك إن المجد يأبى التَهضمـا | وعزمك أن البيض تستمرئُ الدما |
| وروقناً أظماه حلمك برهـ ـ ـةً | فأكرم ورد ما يكون على الظّما |
| رأيتَ أمير المؤمنين لـ ـدى الوغى | أعز مقاماً من سِواه وأكْرما"[2]. |

ومع أنه من الضروري إخضاع أحكام هؤلاء المؤرخين للدراسـة، قبـل الأخذ بها، فإن إجماعهم عليها يعطي انطباعاً واضحاً أن الخليفة المستَرشِد صـاحب صفات مميزة.

**4.1 دراسة المستَرشِد وثقافته :**

عاش المستَرشِد بالله ستاً وعشرين سنة من حياته في ظل رعايـة والـده الخليفـة المستظهر بالله ( 487-512هـ/1094-1118م ) ببغداد، فقد اهتم الوالد بتربية ابنه وتعليمه، بل كان صاحب حضوة كبيرة عند أبيه لما امتاز به من صفات فضلته على إخوته، إضافة إلى أنه كان أكبرهم سناً[3].

بدأ المستَرشِد دراسته بقراءة القرآن الكـريم[4]، وسـماع الحـديث النبـوي الشريف على كبار علماء عصره، ولم يكن يتجاوز حينها عشر سنين؛ فقـد سـمع الحديث مـن أبـي الحسن العلاف سنة 494هـ/1101م، [5] ومن أبي القاسم بـن

---

الجوهر، ص163 ؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2،ص 62؛ السيوطي، تـاريخ، ص 339؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، جـ4، ص 86.

(1) القلانسي، ذيل، ص 200.

(2) حيص بيص، ديوان، جـ3، ص 7-13.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص 74؛ الآلوسي، "المستَرشِد"، ص 495.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص 74؛ EI[2],The Encyclopedia of Islam, Leiden, 1995,AL-Mustarshid,VII pp735.

(5) هو أبو الحسن علي بن أبي طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن يعقوب البغـدادي ابن العلاف، ولد سنة 446هـ/1055م، قرأ القران الكريم، وسـمع الحـديث النبـوي=

بيان، [1] ومن مؤدبه أحمد بن عبدالوهاب أبـي البركـات الـسيبي، [2]. ويبـدو أن المستَرشِد قد أصبح من أهل الحديث مما أهله لروايته فقد روى عنه وزيـره ابـن طراد [3]، وحمزة بن علي الرازي، وإسماعيل بن الملقب[4]، ومحمد بن عمـر بـن مكي الأهرازي[5].

ويبدو أن المستَرشِد درس العلوم الدينية من فقه، وتفسير، وغيرها، فقد قـال عنه القلانسي: إنه كان عارفاً بالفتوى، واختلاف الفقهاء[6]وقد تركت هذه الدراسات أثراً واضحاً في حياته، إذ عرف عنه أنه لبس الصوف وتنسك في شبابه، وانفرد في بيت للعبادة ببغداد. وبعد مبايعته بالخلافة حطّم خوابي خمرٍ وافرةٍ كانـت لأبيـه،

---

الشريف على علماء عصره، وسمع منه آخرون، توفى في الثالث والعشرين من المحـرم سنة 505هـ/1112م، انظر الذهبي، سير، جـ 19، ص 242-243.

(1) هو أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بـن بيـان بـن الـرزاز البغـدادي، ولـد سـنة 413هـ/1023م، سمع من مـشايخ عـصره، وحـدث عـنهم، وتـوفي ببغـداد سـنة 510هـ/1117م، انظر الذهبي، سير، جـ 19، ص 257-258.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص 156؛ الذهبي، سير، جـ 19، ص 561؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص232، هو أبو البركات أحمد بن عبدالوهاب بن السيبي، أسـند الحديث وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر، فلما صارت الخلافـة إلـى المـستَرشِد ولاه المخزن توفي سنة 515هـ/1122م ، انظر: ابن كثير، البداية، جـ 11، ص232.

(3) هو أبو القاسم علي بن طراد بن محمد الهاشمي العباسي الزينبـي البغـدادي، ولـد سـنة 462هـ/1070م، قال عنه ابن الطقطقا: كان مترويا من المعرفة بقوانين الوزارة وأسباب الرياسة، وزر للمسترشد والمقتفي، توفي سنة 538هـ/1144م، انظـر: ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ ـ9، ص 330؛ ابـن الطقطقـا، محمـد بـن علـي بـن طباطبـا ( ت 709هـ/1310م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت ، ص303-304. سيشار له تالياً: ابن الطقطقـا، الفخـري؛ الـذهبي، سـير، جـ ـ20، ص 149-151.

(4) الذهبي، سير، جـ 19، ص 561

(5) ابن العماد، شذرات، جـ4، ص86

(6) القلانسي، ذيل ، ص 252 .

وطرد المطربين والمطربات من بلاطه [1]، وفي سنة 514هـ/1121م أمر بإراقة الخمور إلى سوق السلطان، ونقض بيوت أصحابها [2].

كما يبدو أن المستَرشِد بالله اهتم بدراسة اللغة العربية وعلومها، بدليل ما ذكره المؤرخون من: إنه كان بليغاً[3]، أديباً[4]، عذب الكلام، حسن الإيراد[5]، وكان يستدرك على كتّابه، ويصلح أغلاطهم، ويتولى إنشاء الكتب بنفسه[6]، يؤكد بلاغة المستَرشِد وفصاحته وقوة لغته، ما أثر عنه من توقيعات وخطب امتازت ببلاغتها ومنها قوله:

" حمامةُ الملكِ متغنيةً علينا    وأعين الأمةِ طامحةً إلينا "

وقوله حينما برز لمحاربة دبيس:

"أشم روائح النصر من خفقان البنودِ    وألمح شخص الظّفر من خلال السعودِ "[7]، وقد أورد الذهبي خطبةً للمسترشد وصفها بالبلاغة ألقاها في خطبة عيد الأضحى سنة 520هـ/1127م منها قوله: " الله أكبر، ما سنحت الأنوار، وأشرق الضياء، وطلعت ذُكاء، وعلت على الأرض السماء، الله أكبر، ما همع سحاب، ولمع سراب،

---

(1) ابن العبري، غرويغريوس الملطي ( ت685هـ/1287م)، تاريخ الزمان، (د.ط)، دار الشرق، بيروت 1986م، ص 117.سيشار له تالياً: ابن العبري، تاريخ الزمان؛ الذهبي، سير، جـ19، ص562؛ الآلوسي، "المستَرشِد"، 495.

(2) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1348م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، أحداث ووفيات (501هـ-520هـ)، ص 285، سيشار إليه تالياً: الذهبي، تاريخ

(3) الكازروني، مختصر ، ص220.

(4) الأزدي، علي بن منصور ظافر بن حسين (613هـ/1217م)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام مصطفى هزايمة وآخرون، ط1، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد 1999م، جـ2،ص440، سيشار إليه تالياً: الأزدي، أخبار.

(5) ابن كثير، البداية، جـ11،ص259.

(6) الذهبي، سير، جـ 19،ص 562؛ السبكي، طبقات، جـ7،ص258.

(7) الكازروني، مختصر، ص220.

وأنجح طلاب، وسر قادم بإياب، ...اللهم أصلحني في ذريتي، وأعنـي علـى مـا وليتني، وأودعني شكر نعمتك، ووفقني وانصرني "[1].

أما ثقافته الشّعرية ونظمه للشعر، فقد ذكر المؤرخون أنّه نظم الشعر، وحفظ لغيره من الشعراء، ومن نظمه:

أنا الأشقر الموعود بي في الملاحمِ　　من يملك الدنيا بغيرِ مزاحمِ
ستبلغ أرض الرومِ خيلي وتنتضى　　بأقصى بلادِ الصين بيض صوارمي [2]

وقوله

أقولُ لشرخ الشبابِ : إصطبر　　فولّى، ورد قضاء الوطر
فقلت: قنعت بهذا المشيبِ　　وإن زالَ غيماً فهذا مطر
فقال المشيب: أيبقى القتار　　على جمرةٍ ذاب منها الحجر[3].

و

قضيتم حقوقَ الودِ ثم نأيتـ ـ ـم　　فقلت:أراني الله يمن جواركُم
ولي ساعد يمري ضروع سعودِكم　　وزينهاري بنص سواركم
وكلّ نسيم هب من عرصاتكم　　يعطر أوقاتي بعرف صواركم
ذكرت بخير في البوادي نواركم　　وخيم في سمعي ملام نواركم[4].

ومن شعره لما كسر، وأشير عليه بالهزيمة، فلم يفعل، وثبت حتى أسر:

قالوا: تقيم وقد أحا　　طَ بك العدو ولاَ تفُـر
فأجبتهم: المرء مـا　　لم يتعظ بالوعظ غر
لا نلتُ خيراً ما حييت　　ولا عداني الدهر شر

---

(1) الذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات (501-520هـ)،ص309.

(2) الأصفهاني، القسم العراقي، جـ 1، ص 30؛ السبكي، طبقـات، جـ ـ7، ص258، هـذه الأبيات على البحر الطويل.

(3) هذه الأبيات على البحر المتقارب .

(4) الأصفهاني، جريدة، القسم العراقي، جـ 1، ص 31؛ السيوطي، تـاريخ، ص340، هـذه الأبيات على البحر الطويل.

إن كنتُ أعلم أن غيـ ـ ـ ـر اللهِ ينفع أو يضـ ـ ـ ـر[1]

وقوله معتزاً بشجاعته:

ودون بغداد وما حولها خليفةٌ أشجع من عنتر[2].

واستكمالاً لما إلى ما سبق فقد كان المستَرشِد بالله حسن الخط، قال عن خطه ابـن الأثير :" ولقد رأيت خطه في غاية الجودة، ورأيتُ أجوبته على الرقاع في أحسن ما يكتب وأفصحه"[3].

**5.1 بيعته بولاية العهد**

خطب الخليفة المستظهر بالله العباسي ( 487-512هـ ـ/1094-1118م ) بولاية العهد لابنه الأكبر المستَرشِد بالله في ربيـع الأول سـنة 488هـ ـ/1096م، وعمره لم يتجاوز السنتين [4]، وفي سنة 508هـ/1115م، خطب المستظهر لابنـه الثاني أبو الحسن علي بولاية العهد بعد أخيه المستَرشِد، إذ أورد ابن العمراني وتبعه الكازروني أنه: كان يخطُب في سنة 508هـ/ 1115م للخليفة المستظهر بالله، ثـم لولي العهد عمدةِ الدنيا والدين وعدةِ الإسلام والمسلمين أبي منصور الفضل بن أمير المؤمنين ثم لصنوه وأخيه وشقيقه، وتاليه ذخيرة الدنيا والدين أبي الحسن علي بـن أمير المؤمنين، ثم بعد ذلك لمحمد بن ملكشاة (498-1105/511-1118م)، ثم لابنه محمود[5]، وأقدم المستظهر على هذه الخطوة رغبة منه في قصر الخلافة في أبنائـه بالذات وخوفه على أبنائه من منافسة إخوته.

---

(1) الذهبي، سير، جـ19، ص562؛ السيوطي، تاريخ، ص340، هذه الأبيـات علـى البحـر الكامل.

(2) الأصفهاني، خريدة، القسم العراقي، جـ 1، ص 31، هذه البيت على البحر الخفيف.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص283؛ الآلوسي، "المستَرشِد"، ص496.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص507.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص208؛ الكازروني، مختصر، ص217 .

ومع أن هذا الإجراء كان شائعاً في العصر العباسي الأول، إلا أنها كانت المرة الوحيدة التي يحصل فيها ازدواجية العهد في فترة السيطرة السلجوقية(1)؛ لكن المستظهر كان شديد الحرص على تولي ابنه المستَرشِد الخلافة من بعده، يؤيد ذلـك ما أورده ابن العمراني حين قال " حين اشتد مرضه (المستظهر) في علته التي توفي فيها، قال: ادعوا لي ولي عهد المسلمين، فجاءوه بأبي الحسن ففتح عينيه، فرآه فقال: ما هذا، أريد أخاه الأكبر، وكان ميل الجماعة الى أبي الحسن؛ لأنه كان صاحب لهو وهزل، في حين المستَرشِد صاحب جد، فخلوه ساعة، ثم اقتضاهم، فقالوا قـد ثقـل وهو لا يعلم ما يقول ولا يفرق بين الأخوين، فجاءوا بأبي الحسن ثانياً، فقال: لـست أريد هذا، أريد أبا منصور الفضل، ابني الأكبر، فلما رأوا الجد منه مضوا وجـاءوا به فحين رآه، استدناه، وقبل عينيه، وقال له: يا عزيزي أنا ماضٍ إلـى جـوار الله تعالى وسعة رحمته، فارفقْ بأهلك، واحسن السيرةَ في رعيتك، وانظر في ما وصل إليك، واعلم أنك مسؤول عن القليل والكثير في آخرتك، والله خليفتي عليك، ومـات في تلك الساعة(2)، ومع أن ابن العمراني قد انفرد بهذه الرواية إلا أن لها ما يؤيدها إذ قال سبط ابن الجوزي أن المستَرشِد كان صاحب حضوةً كبيـرةً عنـد أبيـه(3)، إضافة إلى أنه أكبر أبناء الخليفة المستظهر سناً، وأنه يمتاز عن أخيه أبـا الحـسن بالشجاعة والشهامة والحلم (4)، في حين كان أخوه أبو الحسن صاحب لهو وهزل(5).

---

(1) القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العـراق فـي العـصر العباسـي الأخيـر (521-656هـ)، مطبعة القضاء، النجف 1971م، ص91-92، سيشار إليه تالياً: القزاز، الحياة.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص208-209.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة ق1، جـ8، ص 74 .

(4) الفارقي، تاريخ، ص285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ 9، ص 283؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 162؛ سبط ابن الجـوزي، مـرآة، ق1، جـ8، ص 156؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص 73.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص208؛ الكازروني، مختصر ، ص217 .

## 6.1 بيعته بالخلافة وحركة أخيه أبي الحسن

توفي الخليفة المستظهر بالله سنة 512هـ/1118م، وبويع ابنه المسترشد بالله، واتفقت المصادر أن البيعة تمت في يوم وفاة المستظهر من شهر ربيع الآخر سنة 512هـ/1118م، لكنها اختلفت في تحديد يوم حدوثها من هذا الشهر؛ فذكر الفارقي[1] والقلانسي[2]، ذلك في يوم الخميس الرابع عشر، أما ابن الأثير[3] وأبو الفداء[4] وابن العبري[5]والنويري[6] وابن كثير[7]فذكروا: أنها في يوم السادس عشر، وذكرها الأصفهاني في يوم الأربعاء الثالث والعشرين [8]، وذكر ابن حمدون أنها في يوم الثاني والعشرين منه [9]، بينما ذكر الأربلي[10] والكازروني[11] وابن الجوزي[12] وسبطه[13] والسبكي[14]، إنها تمت في يوم الخميس الرابع والعشرين، وأهمل الذهبي ذكر يوم حدوثها، واكتفي بالإشارة إلى أنه بويع في شهر ربيع الآخر

---

(1) الفارقي، تاريخ، ص285.

(2) القلانسي، ذيل، ص200.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 283.

(4) أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص 73.

(5) ابن العبري، غريغوريوس الملطي( ت685هـ)، تاريخ مختصر الدول، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت1958م، ص200، سيشار إليه تاليا: ابن العبري تاريخ مختصر.

(6) النويري، نهاية، جـ23، ص291؛ .

(7) ابن كثير، البداية، جـ11، ص 226.

(8) الأصفهاني، خريدة، القسم العراقي، جـ 1، ص 26،29.

(9) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (562هـ/1167م)، التذكرة الحمدونية، مخطوط مكتبة أحمد الثالث، استنابول، جـ12، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، شريط ميكروفلم رقم (1087) ورقة رقم87، سيشار إليه تالياً: ابن حمدون، التذكرة .

(10) الأربلي، خلاصة، ص271-272.

(11) الكازروني، المختصر، ص219.

(12) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص162.

(13) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص 70-71.

(14) السبكي، طبقات، جـ7، ص258.

سنة 512هـ/1118م [1]، وانفرد ابن العمراني بالقول أنه بويع بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام، وذلك بعد الفراغ من العزاء على الرسم والعادة، وكانت بيعته صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين من ذات الشهر والسنة آنفة الذكر[2]. والراجح أن المستَرشِد قد بويع في يوم وفاة أبيه المستظهر وذلك في يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة 512هـ/1118م لما ذكره الفارقي المعاصر له.

تولى أخذ البيعة قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني[3]، وبايعه ابنا المستظهر وهما أبو عبدالله محمد (المقتفي) وأبو طالب العباس، وعمومته، وأبناؤهم والأئمة والأعيان[4]، وكان نص بيعته:" أبايع سيدنا ومولانا أمير المؤمنين على كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وسنة الخلفاء الراشدين ما أطاق واستطاع وعلى الطاعة مني"[5].

---

(1) الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1348م) ، دول الإسلام، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية،حيدر آباد 1337هـ، جـ2، ص27، سيشار إليه تالياً: الذهبي، دول.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص210.

(3) هو علي بن محمد بن علي الدامغاني، أبو الحسن قاضي القضاة ولد في رجب سنة 449هـ/1058م وشهد عند أبيه سنة 466هـ/1074م، وفوض إليه القضاء بباب الطاق، وتقلد القضاء ست عشر سنة، وولى القضاء لأربعة خلفاء هم القائم والمقتدي وتولى قاضي القضاة للمستظهر والمستَرشِد، وتوفي سنة 513هـ/1120م، ببغداد، انظر سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص81؛ القرشي، عبد القادر بن محمد ( 775هـ/1374م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، جـ1، ص 373-374، سيشار إليه تالياً، القرشي، الجواهر .

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الأثير، الكامل،جـ 9،ص 174؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص162؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8،ص70-71 ؛ الذهبي، سير، جـ19، ص567.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص208-209.

تمت بيعة المسترشِد، بالإجماع باستثناء أخيه علي أبي الحسن، الذي أجمعت المصادر على أنه لم يبايعه [1]، واستغل انشغال الخليفة بالبيعة، فركب سفينة مع مجموعة من خواصه وانحدروا إلى المدائن، ومنها إلى الحلّة عند أميرها دبيس بن صدقة الذي أكرمه، وخصص له داراً تليق به تسمى دار الذهب، وعلم منه وفاة المستظهر[2].

و يعود خروج أبي الحسن إلى الأسباب الآتية :

1- حصوله على تأييد ودعمٍ مجموعةٍ من رجال الدولة، ومحاولاتهم مبايعته بدلاً من أخيه المسترشِد لما عرف عنه حسب قول ابن العمراني" من لين الجانب وأنه صاحب لهو وهزل"[3]، يؤكد ذلك، ما ذكره ابن الجوزي وابن قاضي شهبة، أن المسترشِد قبض على أبي طاهر صاحب المخزن، وعلي ابن كمونه، وابن غيلان القاضي، وجماعة بتهمة مراسلة الأمير أبي الحسن يأمرونه بأن لا يطيع أخيه المسترشِد[4].

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ، ص211؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174؛ الكازروني، المختصر، ص 219، الأربلي، خلاصة، ص272؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص162؛ النويري، نهاية الأرب،جـ23، ص291؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات(501-520)،ص 273؛ ابن كثير، البداية، جـ11،ص226، ابن خلدون،عبدالرحمن (ت808هـ/1406م)= العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبعة مزيدة ومنقحة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1999م، جـ6، ص1024.سيشار إليه تالياً: ابن خلدون، العبر .

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص208-209؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص162؛ ابن كثير، البداية، جـ11،ص226؛ ابن خلدون، العبر،ج6، ص 1024؛ الآلوسي، المسترشِد، ص 498.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص208-209.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص163؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص83.

2- حصوله على تأييد الأمير دبيس بن صدقة أمير الحلة، الذي قدم له الإقامة والخيول[1].

3- خشيته على نفسه من أخيه المسترشد في حال توليه الخلافة[2].

عندما فرغ المسترشد بالله من أمر البيعة وعلم بأمر أخيه أبي الحسن أهمه ذلك وأظهر انزعاجه منه، وأرسل نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي إلى دبيس، يطلب منه البيعة، وإعادة الأمير أبي الحسن إلى بغداد، فأظهر دبيس خضوعه وطاعته لأمير المؤمنين وأعطى البيعة، لكنه اعتذر عن تسليم الأمير أبي الحسن بحجة أنه ضيفه، ولا يستطيع إجباره على أمر يكرهه، وأنه يترك له حرية الاختيار بالبقاء عنده أو العودة، فاجتمع الرسول نقيب النقباء مع الأمير أبي الحسن، وتحدثا في أمر عودته إلى بغداد، وضمن له الرسول الأمان عند الخليفة وكل ما يريد [3].

وتباينت المصادر في تحديد موقف الأمير من مما عرضه نقيب النقباء، فمنهم من ذكر أن الأمير قَبِلَ هذا العرض، وأن دبيس تكفّل بإصلاح الحال بين الخليفة وأخيه، وأن ذلك كاد أن يتحقق لولا انشغال الأمير دبيس في نزاعه مع البرسقي صاحب الموصل، مما أدى إلى تأخّر تنفيذ الاتفاق، ثم إن الأمير أبا الحسن قرر ترك الحلة، وتوجه إلى واسط والتَفّ حوله جماعة من أهلها، مما مكنه من السيطرة عليها [4]، وذكر آخرون أن الأمير رفض العرض، وأعلن نفسه خليفة وأستوزر ابن زهموية[5]، أما ابن العمراني فيورد رواية مختلفة مفادها أن الخليفة المسترشد لم يرسل نقيب النقباء، وأن الأمير أبا الحسن قد غادر بغداد متخفياً، ووصل إلى دبيس في الحلة، الذي خيره في البقاء عنده ليكون في خدمته، أو الرحيل

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص212.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 174-175.

(3) المصدر نفسه، جـ9، ص174؛ الآلوسي، "المسترشد"، ص498.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية ، جـ23، ص 262؛ الذهبي، دول ،جـ2، ص 27؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1024.

(5) الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص275-276.

عن الحلة، وأن يؤمن له دبيس كل ما يلزمه من الرجال والـسلاح، إلا أنّ الأميـر اختار الرحيل، وطلب من دبيس العسكر، فأنفذ معه ألفي فارس، وما يلزمـه مـن الثياب والسلاح، فانحدر الأمير إلى واسط وملكها، وكان أول أمره يخطب لنفسه بعد الخليفة، فلما قوى خلع الطاعة، وخطب لنفسه بالخلافـة، ولقـب نفـسه"المـستنجد بالله"(1).

ونخلص مما سبق الى أن الأمير أبو الحسن خرج من بغداد متخفياً، يخـشى الخليفة، لما كان قد حدث بينه وبين أخيه قبل بيعته المستَرشِد، ولم يبايعه، ووصل إلى أميرها دبيس الذي حاول أن يستغل ذلك في الضغط على الخلافة، فقد أظهر طاعته للخليفة وأعطاه البيعة، مع أنه قد قدم للأمير أبي الحسن كل ما يـستطيع من مساعدة وحماه بحجة أنه ضيفة، وأراد الخليفة إعادة أخيه بالطرق الـسلمية، فأرسل نقيب النقباء، لكن ومهمته قد فشلت؛ بسبب ما حدث من نزاع بين أميـر الحلة وصاحب الموصل، ولعل دبيس أراد دعم الأمير أبي الحسن ليضغط بـه على الخليفة وليضمن وقوفه إلى جانبه في مواجهته مع صـاحب الموصـل(2)، واستغل الأمير أبو الحسن انشغال دبيس في أمر البرسقي صـاحب الموصـل، وغادر الحلة متجها إلى واسط حيث التف حوله بعض أهلها واستطاع السيطرة عليها، فقوي بهم وخلع الطاعة لأخيه ودعا لنفسه.

أما الخليفة المستَرشِد، فقد عظم عليه خروج أخيه، وسيطرته على واسط وما حولها من مناطق الخلافة (3)، فأقدم على خلعه من ولاية العهد، وخطب لابنـه أبي جعفر المنصور (الراشد بالله) (4)، وكان عمره حينئذ اثنتـي عـشرة سـنة، وأرسل كاتب الإنشاء ابن الأنباري إلى دبيس في أمر الأمير أبي الحسن، يطلب منه القبض عليه ووعده مقابل ذلك بمبلغ من المال، حدده كل من ابن حمـدون

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص211-212.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص175-177.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص211-212.

(4) ابن قاضي شهبة، الكوكب، ص84.

وابن الجوزي والذهبي بعشرين ألف دينار[1]، وأوصله ابن العمراني إلى ثلاثين ألف دينارٍ[2]، وفي هذه المرة أجاب دبيس بالسمع والطاعة، وأرسل جيشه بقيادة قائده عنان، لمقاتلة الأمير أبي الحسن، فلما سمع الأمير بذلك رحل عن واسط مهزوماً مع عسكره ليلاً، فضلوا الطريق ، ورجعوا دون علمهم إلى واسط فوصلوا إلى عسكر دبيس، فلما لاح لهم عسكره تشتت معظمهم ووقعوا في أسر عسكر دبيس، وانحرف الأمير في البرية وضلّ طريقه في عدد من خواصه، وكان الوقت صيفا، وفقدوا الماء، وحلّ بهم العطش، فأشرفوا على الهلاك، حتى أدركهم أحد جنود دبيس فسقاهم الماء ونهبهم وأوصلهم إلى قائده، والذي بدوره وأوصلهم إلى دبيس، فبعث دبيس بالأمير إلى الخليفة بعد أن ضمن له الأمان، وصل الأمير أبو الحسن إلى بغداد، وأنزله الخليفة دار العزيزية التي كان يسكنها قبل خلافته، وأكرمه وخلع عليه وطيب نفسه، وانتهت حركته، وكانت مدة خروجه حتى عودته أحد عشر شهراً[3]. هذا وينفرد ابن العمراني بالقول إن الخليفة قد أرسل خمسمائة فارس بقيادة الأمير نظر لمساعدة دبيس في السيطرة على الأمير أبي الحسن، وقد شاركت هذه المجموعة في قتال وهزيمة الأمير وجنده، ويضيف البن العمراني أن الأمير أبا الحسن قد تاه في البرية فقبض عليه أحد البدو فنهبه وسلمه إلى القائد نظر الذي حمله إلى الخليفة [4].

كان الخليفة يخشى خروج أخيه مرة أخرى، إذ عاد وضيق عليه ووضعه تحت المراقبة في قبو لا يدخل إليه أحد، وسد عليه بابه باستثناء موضع تصل إليه من خلاله حوائجه، وأحضر إلى الخليفة مرة، فقال له قد وجدت في دارك تشعيث،

---

(1) ابن حمدون، التذكرة، ص 169؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص171؛ الذهبي، تاريخ ، حوادث(501-520هـ)، ص 275.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص212.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية ، جـ23، ص 262؛ الذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات(501-520هـ)،ص275؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1024.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص212.

ولعله منك، وانك قد عزمت على الهرب مرة أخرى، وحلف له الأمير أنه لم يفعـل ذلك ، وأعيد الأمير إلى موضعه وضيق عليه [1]، وحاول السلطان محمود في سنة 514هـ/1121م إخراج الأمير أبي الحسن من موضعه، فبذل له الخليفة ثلاثمائـة ألفِ دينارٍ نظير سكوته عن ذلك [2]، وبقى الأمير أبو الحسن على هذا الحال حتـى وفاته بالطاعون سنة 525هـ/1131م[3].أما ابن زهموية الذي استوزره الأمير حين خروجه فقد أسر معه وشُهر به وقتل[4].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص174؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص79.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 188؛ الـذهبي تـاريخ ،حـوادث ووفيـات (501-520هـ)ص 285.

(3) ابن الأثير، الكامـل، جـ ـ9، ص259؛ الكـازروني، مختـصر ، 217؛ ؛ ابـن كثيـر، البداية،جـ11، ص251؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1024.

(4) الذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص275-276.

## الفصل الثاني

## حكومة الخليفة المستَرشِد بالله

### 1.2: الوزارة في عهد المستَرشِد بالله

أقر الخليفة المستَرشِد بالله(512-529هـ/1119- 1135م) عند بيعته وزير أبيه (محمد بن الحسين[1] بن محمد بن الحسين بن محمد أبي شجاع (ت561هـ/1166م)[2]، والذي كان الخليفة المستظهر بالله إستوزره سنة 511هـ/1117م، تلبية لرغبة أبيه ربيب الدولة (ت513هـ/1120) وزير السلطان محمود(511-525/1117-1130م)[3]، ولكن الخليفة المستَرشِد عزله سنة 513هـ/1120م، على أثر وفاة والده وزير السلطان محمود[4] وإستوزر بعده الوزير جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة (ت522هـ/1129م)[5] وفي سنة

---

(1) هو الوزير محمد بن الحسين والمتوفى سنة 561هـ/1161م، وهو ومن بيت وزارة إذ أن جده الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبدالله، المولود بالأهواز، و الذي كان عارفاً بالعربية وله تصانيف، وزر للمقتدي، والمتوفى بالمدينة المنورة سنة 488هـ، انظر ابن العمراني، الإنباء، ص201-202؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص22-27؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8،ص505-506.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 210؛ ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن يحيى(ت637هـ)، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، منشورات وزارة الأعلام، بغداد 1974م، جـ1، ص 227-228؛ سيشار إليه تالياً، ابن الدبيثي، ذيل، الأربلي، خلاصة ، ص273؛ الأزدي، أخبار ، ص443؛ الكازروني، المختصر،ص223. أنظر الملحق رقم(ب)، ص200.

(3) ابن الدبيثي، ذيل، جـ1، ص 227-228؛ الذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص293.

(4) ابن حمدون، التذكرة، ص169؛ ابن الدبيثي، ذيل، جـ1، ص 227؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210.

(5) ابن الطقطقا، الفخري، ص304؛ الخالدي، فاضل، "الوزارة في العهدين البويهي والسلجوقي في العراق"، مجلة أقلام، جـ10، السنة الرابعة 1968م،ص71؛ سيشار إليه تالياً: الخالدي، الوزارة؛ الزهراني، محمد مسفر، نظام الوزارة في الدولة العباسية=

516هـ/1123م عزل ابن صدقة، وقُبض عليه، وعين مكانه الوزير أبو نصر أحمد بن نظام الملك الحسن بن علي الطوسي (ت544هـ/1150م)، وذلك بتأثير من أخيه شمس الملك عثمان بن نظام الملك (ت516هـ/1123م) [1]على أن وزارة نظام الملك أحمد لم تدم طويلاً، إذ عزل في نفس السنة، بعد مقتل أخيه وزير السلطان محمود، وأُعيد ابن صدقة إلى الوزارة ليبقى فيها حتى وفاته سنة 522هـ/1129م[2]، فأناب الخليفة النقيب أبا القاسم علي بن طراد الزينبي (ت538هـ/1144م)، ثم استوزره ليكون أول عباسي يتولى الوزارة في العهد العباسي [3]، وعاد عزله في سنة 527هـ/1133، وقبض عليه وصودرت أمواله، واستوزر مكانه الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني(ت532هـ/1138م) [4]والذي صرف عنها سنة 528هـ/1134م وأعيد إليها ابن طراد الزينبي؛ ليبقى فيها حتى مقتل الخليفة المسترشد سنة 529هـ/1135م[5].

---

( 334-590هـ العهدين البويهي والسلجوقي )، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت1986م، ص154، سيشار إليه تالياً:الزهراني، نظام.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص516؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 304.

(2) ابن العمراني، الإنباء،ص 216؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص250-251؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص248؛ سبط ابن الجوزي مرآة، ق1،جـ8، ص127؛ ؛ابن كثير، البداية، جـ11،ص246؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص66.

(3) ابن العمراني، الإنباء،ص 216؛ ؛ الإربلي، خلاصة ، ص273؛ الكازروني، المختصر،ص223؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛ابن الطقطقا، الفخري، ص305.

(4) ابن العمراني، الإنباء،ص 217؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص306-307.

(5) ابن العمراني، الإنباء،ص218؛ الكازروني، المختصر،ص223؛ابن الأثير، التاريخ ، ص49-50؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص282،ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص295؛ الزهراني،محمد مسفر بن حسين، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية(447-590هـ) ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت1982م، 134، سيشار إليه تالياً: الزهراني نفوذ

تنوعت الأصول العرقية التي اختار منها المستَرشِد بالله وزراءه، فقد كان منهم الفارسي الأصل كالوزراء محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد أبو شجاع [1]، وأبو نصر أحمد بن نظام الملك[2]، وشرف الدين أنوشروان خالد بن محمد القاشاني[3]، وكان الوزير جلال الدين ابن صدقة[4]، والوزير شرف الدين علي ابن طراد الزينبي من أصول عربية، إضافة إلى أن ابن طراد كان عباسي، وقد أشار المستَرشِد إلى أهمية نسبه عندما اختاره لتولي الوزارة فقال" كل من ردت إليه الوزارة شُرفَ بها، إلا أنت فإن الوزارة شرفت بك"، فكان أول عباسي يتولى الوزارة في ظل الخلافة العباسية[5].

كان وزراء الخليفة المستَرشِد (512-529هـ/1119- 1135م) شخصيات مثقفةً مارست العمل في الديوان وغيره من الوظائف الإدارية لمدة طويلة، فإذا كان الوزير أبو شجاع محمد قد استوزره المستَرشِد وهو دون سن العشرين، ولم تذكر المصادر شيئاً عن ثقافته حين توليه الوزارة[6]؛ فإن الوزير جلال الدين بن صدقة كان صاحب ثقافة عالية، عارفاً بالحساب، وأعمال السواد[7] بليغاً سديد الرأي،

---

(1) ابن العمراني، الإنباء،ص 210؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ بغداد،جـ1، ص 227-228؛ الأربلي، خلاصة ، ص273؛ الكازروني، المختصر،ص223.

(2) ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص364؛ ابن الطقطقا، الفخري،ص 304 .

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 217؛الذهبي، سير، جـ20، ص15؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص306-307؛ ابن كثير، البداية، جـ12، ص214.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص250؛الذهبي، سير،جـ19، ص552-553؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص304.

(5) ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص248؛الذهبي، سير، جـ20، ص149-151؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص304.

(6) ابن حمدون، التذكرة، ص 87؛ ابن الدبيثي، ذيل ؛ الأزدي، أخبار ، ص443؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص248؛ الذهبي، سير، جـ20، ص149-151؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص304.

(7) الذهبي، سير، جـ19،ص 552-553؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص304.

صادق العزم تولى الكثير من الأعمال الإدارية قبل وزارته [1] إذ تولى النظر في أملاك الوكلاء بواسط، وديوان الزمام لمرتين كما عين والياً لولاية الحلة[2]. أما الوزير نظام الملك أحمد بن نظام الملك فكان صاحب ثقافة واسعة وخبرة طويلة إذ تولى وزارة السلطان محمد (498-511هـ/1105-1118م) وشارك أثناء عمله في العديد من الأعمال الإدارية والعسكرية[3]. أما الوزير ابن طراد الزينبي فكان مثقفاً عارفاً بأمور السياسة والوزارة، قال عنه ابن الطقطقا:" كان متروياً من المعرفة بقوانين الوزارة وأسباب الرياسة [4] ولّي نقابة العباسين بعد والده وبقى فيها حتى وزارته[5] وناب في الوزارة منذ سنة 513هـ/1120م، وحتى وزارته سنة 522هـ/1129م [6]، وكان الوزير أنوشروان بن خالد كاتباً بليغاً، عارفاً بالشعر فهو الذي صنف له الحريري المقامات، واليه أشار في أولها بقوله" فأشار من إشارته

---

(1) القلانسي،ذيل ،ص224.

(2) الذهبي، سير، جـ19،ص 552-553؛ العزام، صبحي محمود عسود، الوزارة العباسية(447-656هـ/1055-1258م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان2000م، ص150، سيشار إليه تالياً: العزام، الوزارة .

(3) البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، القاهرة1900، ص88-94، سيشار إليه تالياً البنداري، تاريخ ؛ الحسيني، ناصر بن علي (ت575هـ)، أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال،ط1، دار الأفاق، بيروت1984،ص 81-82؛ سيشار إليه تالياً، الحسيني، أخبار؛ الذهبي، سير،جـ20،ص236؛ إقبال،عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق احمد كمال الدين حلمي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت1984م، ص235-236؛ سيشار إليه تالياً إقبال، الوزارة؛ العزام، الوزارة، ص150.

(4) ابن الطقطقا، الفخري،ص 305.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص216؛ الذهبي، سير، جـ19،ص 15؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 305؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص 236.

(6) ابن الدبيثي، ذيل، ص228؛ ابن الجوزي، المنتظم، ..جـ17،ص 205-206؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص216.

حكم وطاعته غنم[1]، كان صاحب خبرة كبيرة في العمل الإداري فهو مـن كتـاب الرسائل، ومحرري الديوان الملكشاهي، وتولى الـوزارة للـسلطان محمـود سـنة 517هـ/1124م[2].

شهدتْ الوزارة تطوراً ملحوظاً في عهد الخليفة المـستَرشِد بـالله، شـارك وزراءه بفعالية في إدارة الدولة ومقاومة النفوذ السلجوقي فيها، ففي بداية خلافته أقر الوزير أبا شجاع نظام الملك محمـد بـن نظـام الملـك بتـأثير مـن الـسلطنة السلجوقية[3]،وكان هذا الوزير يميل إلى جانبها لما لها من تأثير في وزارته، إلا أن دوره في إدارة الدولة كان قليلاً مما جعل ابن الدبيثي يقول عنه:" فكان اسم الوزارة على أبي شجاع، ونقيب النقباء أبي القاسم علي بن طراد المدبر للأمور"[4]، حتى أن المستَرشِد لم يخلع عليه ولم يكتب له عهداً[5]، وعزله فور زوال أسـباب وزارتـه وذلك في يوم وفاة أبيه وزير السلطان محمود سنة 513هـ/1120م[6] وجيئ بعده بالوزير جلال الدين ابن صدقة صاحب الكفاءة الذي شارك هذا بفعالية في القضاء على حركة الأمير أبي الحسن أخي المستَرشِد مما رفع مكانته عند الخليفة[7] كـذلك في صد الغارات التي كان يشنها دبيس بن صدقة والي الحلة على بغداد في الفتـرة

---

(1) الذهبي، العبر، جـ4، ص90؛ اليافعي، عبدالله بن أسعد( ت768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليـل المنـصور، ط1، دار الكتـب العلمية، بيروت1997م، جـ3، ص163، سيشار إليه تالياً: اليافعي، مرآة؛ ابن كثير، البدايـة ، جـ12، ص214.

(2) البنداري، تاريخ ،ص 128-130؛ إقبال، الـوزارة، ص258-260؛ العـزام، الـوزارة، ص 151؛ إقبال، الوزارة،، ص258-260.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 210؛ ابن الدبيثي، ذيل، جـ 1، ص 227-228؛ الأربلـي، خلاصة ، ص273؛ الكازروني، المختصر،ص223.

(4) ابن الدبيثي، ذيل، جـ1، ص 228.

(5) الأزدي، أخبار،ص 443؛ الزهراني، نظام الوزارة، ص128.

(6) ابن الدبيثي، ذيل، جـ1، ص 227؛ ابن العمرانـي، الإنبـاء، ص210؛ الأزدي، أخبـار، ص 443.

(7) ابن العمراني، الإنباء، ص212؛ العزام، الوزارة، ص153.

( 513-516هـ/1120-1123م)[1]، فاشترط دبيس عزل ابن صدقة عن وزارته ليتم الصلح مع الخليفة[2]، ولعل هذا كان أحد أسباب عزل الوزير ابن صدقة في السنة المذكورة، بالإضافة إلى ما ذكرناه من رغبة السلطنة السلجوقية في تولية الوزير نظام الملك أبي نصر أحمد بن نظام الملك[3]، الذي شارك في حرب الخليفة مع والي الحلة سنة 517هـ/1124م وهزم فيها دبيس[4]، كما ساهم هذا الوزير بخمسة عشر ألف دينار من ماله الخاص في بناء سور بغداد الذي أمر الخليفة ببنائه سنة 517هـ/1124م لحمايتها من الأخطار التي كانت تتهددها[5]، لكن وزارته لم تدم طويلاً، إذ عزل بعد مدة قصيرة عند وفاة أخيه وزير السلطان محمود، وأعيد ابن صدقة إلى الوزارة للمرة الثانية وذلك في سنة 517هـ/1124م[6]، وخلع عليه الخليفة في هذه المرة وأرسل في طلبه وخاطبه بخطاب يدل على مكانته الكبيرة عند

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 214؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص205؛ الزهراني، نظام، ص 154-155؛ الخالدي، الوزارة، ص 71، صبحي، الوزارة، ص153.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 214؛ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص204-205؛ ابن العديم، عمر بن احمد ابن أبي جرادة(ت660هـ/1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق1988م، جـ7،ص3480، سيشار إليه تالياً:ابن العديم، بغية؛ ابن كثير، البداية،جـ11،ص 236.

(3) ابن الطقطقا، الفخري،ص 304؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص516؛ إقبال، الوزارة، ص241-242.بيات، فاضل مهدي، "السياسة السلجوقية في العراق"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثامن عشر، سنة 1981م، ص 105، سيشار إليه تالياً: بيات، "السياسة".

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 219؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص217؛ ابن كثير، البداية، جـ11،ص 236؛ ابن خلدون، العبر، جـ7،ص 615.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 225 ؛ النويري، نهاية ، جـ23،ص267.

(6) ابن العمراني، الإنباء،ص 216؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص250-251؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛ سبط ابن الجوزي مرآة، ق1،جـ8، ص127؛ ابن كثير، البداية،جـ11،ص246؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، جـ4، ص66.

الخليفة إذ قال له:"أجب يا جلال الدين داعي التوفيق مع من حضر من الأصحاب لتعود في هذه الساعة إلى مستقر عزك مكرماً"(1).

وفي وزارته الثانية شارك ابن صدقة في مقاومة النفوذ السلجوقي ففي سنة 519هـ/1126، شن الأمير طغرل ودبيس هجوماً مشتركاً على بغداد شارك الوزير ابن صدقة في صده، إذ كان يتولى قيادة العسكر واستطاع جيش الخلافة هزيمة دبيس، وكان رأي الوزير عدم العفو عنه وقتله، إلاّ أن الخليفة فضل العفو عنه (2)، وحين عزم السلطان سنجر(511-552/1118-1158م) على مهاجمة بغداد وتوعد الخليفة، كتب إليه الوزير ابن صدقة مهدداً إياه قائلاً:" والله لئن تحركت لأقطعن جميع ما وراءك عنك، وأقطعك عنه، ولئن سرت فرسخاً لأسيرن إليك فرسخين"(3)، مما حدا بالسلطان سنجر إلى تحذير ابن أخيه السلطان محمود(511-525هـ/1118-1131م) من الوزير ابن صدقة، ونصحه بالقبض عليه ولعل ذلك يؤكد ما لهذا الوزير من دور كبير في حروب الخليفة المستَرشِد مع السلاجقة في وزارته الثانية (516-522هـ/1123-1129م) (4)، ولم تكن أعمال الوزير مقتصرة على الجانب العسكري ضد السلاجقة، فقد كان يوائم بين الجانبين العسكري والسياسي، إذ نجح في التوسط بين السلطان محمود والخليفة بعد سيطرة السلطان على بغداد سنة 520هـ/1127م(5) فلم يقبض عليه السلطان محمود، بل بقي في وزارته.

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص220؛ الزهراني، نظام الوزارة، ص 154-155.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص250-251؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232-233؛ ابن كثير، البداية،جـ11،ص241.

(3) ابن الطقطقا، الفخري، ص305؛ الخالدي، الوزارة،ص71.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص 216؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص250-251؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص248؛ سبط ابن الجوزي مرآة، ق1، جـ8، ص127؛ ابن كثير، البداية، جـ11،ص246؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص66؛ العزام، الوزارة، ص 153.

(5) الحسيني، أخبار، 97؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 242-243؛ الحسيني، علي بن ناصر(ت622هـ)، زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد=

كان الخليفة المستَرشِد حريصاً على وزيره جلال الدين ابن صـدقة إذ أنعـم عليه بأعظم الألقاب، وخلع عليه مرات عديدة، ولقبه عندما استوزره أول مرة بصدر الوزراء، صفي أمير المؤمنين،صدر الشرق والغرب[1]، ومـع أنـه عزلـه سـنة 516هـ/1123م؛ ولم تطل مدة عزله، وأعيد إلى الوزارة بعد مدة وجيزة في أجمل هيئة، فقد بعث إليه الخليفة كبار موظفيه وخاطبه بصيغة تدال على مكانته الكبيـرة عنده فقال له: "أجب يا جلال الدين داعي التوفيق مع من حضر من الأصحاب لتعود في هذه الساعة إلى مستقر عزك مكرماً"[2]، وفي وزارتـه الثانيـة أطلـق عليـه المستَرشِد لقب جلال الدين [3] وعندما مرض في أواخر أيامه زاره في بيته وانشده:

"دفعنا بك الآفات حتى إذا أتت تريدك لم نستطع لها عنك مدفعا"[4]

ولما توفي ابن صدقة سنة 522هـ/1128م، حزن عليـه الخليفـة، وأكثـر الأسف عليه، والتوجع لفقده[5]، وكتب تعزية إلى أولاده يقول فيها:"قال تعالى:" كُـل نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْموتِ وإِنما تُوفون أُجوركُم يوم الْقِيامةِ فَمن زحزح عن النـار وأُدخِـلَ الْجنةَ فَقَد فَاز وما الْحياةُ الدنْيا إِلا متَاع الْغُرورِ" [6]، ولئن كان أبوكم في ذمـة الله، السابقة خدمته، الصحيح دينه، الصريح يقينه، صعب على الأولاد؛ فالحمام لكل حي بالمرصاد، والأعمال في الدنيا عواد ترتجع، والآجال تنتهي إلى أحد ثم تنقطع، وفي

---

نور، ط1، دار أقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت 1985م، ص 193، سيشار إليـه تالياً، الحسيني، زبدة.

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص304؛ أمين، حـسين، "نظـام الحكم في العصر السلجوقي"، مجلة سومر العراقية، العدد الأول، بغداد 1964م، ص215، سيشار إليه تالياً: أمين، نظام.

(2) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص220.

(3) المصدر نفسه، جـ17، ص220؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 104، أمين، نظام الحكم، ص 215.

(4) ابن الطقطقا، الفخري، ص 104، العزام، الوزارة، ص 157.

(5) القلانسي، ذيل، 224.

(6) سورة آل عمران، الآية رقم(185).

بقاء أمير المؤمنين السلوة عن كل ذاهبٍ مفقود، فانهضوا من المعزى فظل الـدعاء عليكم محدود والسلام"[1].

وبعد وفاة الوزير ابن صدقة ناب في الوزارة ابن طَراد الزينبي، ثم أستوزره المستَرشِد، ويعتبر الزينبي الوزير الثاني بعد ابن صدقة من حيث المدة التي تـولى فيهـا الـوزارة، إذ تـولى الـوزارة مـرتين كانـت الأولـى فـي الفتـرة (522-526هـ/1128-1132م) [2]، والثانية( 527-529هـ/1133-1135م)[3]

وصِفَ هذا الوزير بالعلم، "مترويـاً بمعرفـة قـوانين الـوزارة وأسـباب الرياسة"[4]،وقال عنه الذهبي: "أنه يصلح لإمرة المؤمنين"[5]، وأنه كان قبـل توليـه الوزارة من المقربين للخليفة، وتولى نقابة العباسين وبقى يشغلها حتى وزارته سـنة 522هـ/1128م[6]، وناب في الوزارة لفترة طويلة في خلافة المستَرشِد بـالله [7]، وعرف عنه ولاؤه للخليفة المستَرشِد إذ كان أول من بادر إلى بيعته[8]، وعهد إليـه المستَرشِد العديد من المهام قبل توليته الوزارة، فأرسله إلى الأمير دبيس بن صـدقة في أمر الأمير أبي الحسن علي بن المستظهر سنة 513هـ/1120م، فأخذ البيعة من

---

(1) الأزدي، أخبار ، جـ2، ص 440-441.

(2) ابـن العمرانـي، الإنبـاء، ص 216؛ ؛ الأربلـي، خلاصـة، ص273؛ الكـازروني، المختصر،ص223؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ9، ص248؛ ابـن الطقطقـا، الفخـري، ص305.

(3) ابن العمرانـي، الإنبـاء، ص218؛ الكـازروني، المختـصر، ص223؛ ابـن الجـوزي، المنتظم،جـ17، ص295؛ ابن الأثير، التـاريخ ، ص49-50؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ9،ص282 ؛ الزهراني، نفوذ ، ص 134.

(4) الذهبي، سير، جـ20، ص150؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص305.

(5) الذهبي، سير،جـ20، ص150.

(6) ابن الدبيثي، ذيل، ص228؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 205-206؛ ابـن الأثيـر، الكامل، جـ9،ص216.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص216؛ الذهبي، سير، جـ19، 150؛ابن الطقطقـا، الفخـري، ص 305؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص 236.

(8) الذهبي، سير، جـ19، ص150؛ السبكي، طبقات، جـ7، ص 256..

دبيس، لكن مهمته مع الأمير أبي الحسن لم تنجح في تحقيق أهدافها[1]، ولـم يـؤثر ذلك على مكانته عند الخليفة، وظل يتولى الأعمال التي كان يشغلها، وأرسله الخليفة سنة 520هـ/1127م إلى السلطان سنجر(511-552هـ/1118-1158م) ، ومعه الخلع، طالباً منه إبعاد دبيس والي الحلة والمقيم حينئذ عنده، فأكرمه سنجر"وأعطـاه الأعلام، وأذن له في أن يضرب الطبل على بابه ثلاث صـلوات وأعطـاه طوقـاً وفرسين وغيرها"[2]، وفضله المستَرشِد على كبار رجال دولته الذين كانوا ينافسونه في السعي للوزارة، كعز الدولة ابن عبدالمطلب، وسديد الدين ابن الأنبـاري كاتـب الإنشاء، وناصح الدولة ابن المسلمة، والوزير السابق نظام الملك أحمد، فاختاره من بين هؤلاء وغيرهم وولاه الوزارة سنة 522هـ/1128م[3]، ولقبه معـز الإسـلام عضد الإمام سيد الوزراء صدر المشرق والمغرب[4].

أدار ابن طراد الزينبي وزارته بكفاءة عالية؛ فبدأ عمله بالمسير إلى السلطان محمود(511-525هـ/1118-1131م) حاملاً معه الخلع التي كانت قد أعدت لـه عند توليه الوزارة[5]، وناب عن الخليفة في استقبال السلطان محمود حين حضر إلى بغداد سنة 523هـ/1130م[6]. كما كان حسن السيرة في سياسته تجـاه العامـة[7]، وبقى في وزارته حتى عزله المستَرشِد سنة 526/1132م[8]، لأمور تتعلق بإدارته

---

(1) ابن الأثير الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية ، جـ23، ص 262؛ الـذهبي، دول، جـ2، ص 27؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1024.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17،ص244؛ ابن كثير، البداية، جـ 11،ص244؛ العـزام، الوزارة، ص158.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 216؛ الأربلي، خلاصة ، ص273؛ الكـازروني، المختـصر، ص223؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص252،250؛ ابن الأثيـر، الكامـل، جـ 9، ص248؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص305.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص 216.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص253؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248.

(6) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص254؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛

(7) العزام، الوزارة، ص 158.

(8) ابن العمراني، الإنباء، ص 217؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص306-307.

لدار الضرب، وما حدث فيها من مخالفات، إذ تنامى إلى الخليفة أخبار مفادهـا، أن عمالها يشكون أنهم يخسرون، وحين عرض الأمر على صاحب المخزن ابن طلحة، منعهم من الشكوى، فسمع الخليفة بالخبر، فأمر بإجراء تحقيق في الأمر، وأظهـرت التحقيقات أن العمال يربحون، وأن صاحب المخزن يعاونهم في ذلك، مقابل حصوله على سبعين ديناراً شهرياً، فأمر الخليفة باعتماد الوزير الزينبي مـسؤولاً عـن دار الضرب، فأثر ذلك على إيرادات صاحب المخزن[1]، واستطاع بعدها عمال الضرب التأثير على الوزير ابن طراد والذي حقق أرباحاً كبيرةً بدليل أنه عـزل وقـبض عليه، كما قبض معه على كاتب الزمام ابن الوزان، فكانت ثروة الوزير كبيرة، "عثر عنده على سبعين قطعة فضة سوى المراكب، ونيفاً وثلاثين قطعة فـضة ومعـضدة وقيمتها مائة ألف دينار، واستمر نقل ما عنده من أثاث ثلاثة أيام"[2]، وسجن لفتـرة قصيرة، ثم أخرج من السجن، وأخَذ كتاباً بثلاثين ألف دينار[3] وقد ذلك يكون بسبب ظهور أمور جديدة في التحقيقات لم تذكرها المصادر، أو لمكانته في الدولة وحاجـة المستَرشِد له في ظل صراعه مع السلاجقة.

لم يقم المستَرشِد بعد عزله وزيره ابن طراد بوضع أحد مكانه وإنما اكتفـى بإناب ابن الأنباري كاتب الإنشاء في الوزارة، ثم عاد وعزله وقبض عليه وصـادر أمواله بعد أربعة أشهر[4]، وبحث عن غيره لتولي الوزارة، فوقع اختياره هذه المرة على الوزير أنوشروان بن خالد القاشاني[5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص269.

(2) ابن حمدون التذكرة، ص173؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص272؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص140..

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص272.

(4) الذهبي، سير، جـ20، ص 150؛ صبحي، الوزارة، ص159.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص 217؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص271، ابن الطقطقـا، الفخري، ص306-307؛ ابن كثيـر، البدايـة، جـ ـ11، ص252؛ النـويري، نهايـة، جـ23، ص271.

كان الوزير القاشاني صاحب خبرةٍ كبيرةٍ إذ وزر لـسلطان محمـود(511-525هـ/1118-1131م) [1]، وكان زاهداً ممتنعاً عن تولي الأعمال الإدارية فـي الدولة العباسية والسلطنة السلجوقية، فقد رفض وزارة السلطان محمود لكنه أجبـر عليها [2]، وعندما عرض عليه الخليفة المستَرشِد الوزارة أعرض عنها لكن الخليفة أصر على ذلك، وبعث إليه صاحب المخزن ابن طلحة الذي خاطبه قائلاً لـه : "إن أمير المؤمنين قد عول عليك في الوزارة فينبغي أن تسارع إلى ذلك، فأخذ يعتـذر، ويقول قد عرف حالي، وإني لما وزرت للسلطان محمود طلبت الإقالة، وقد رضيت من الدنيا بمكاني هذا فقبل الأرض عني وسل لي الإعفاء" فلم يعفَ فأجاب فعرضت عليه دار ابن صدقة، فامتنع، وقال "كان له علي حق وذلك أنه كان يصله كل سـنة بمال كثير فاقتصر على دار ابن ودعة فُعمرت له[3].

كان هذا الوزير يحاول أن يوفق بين الخلافة العباسية والسلطنة الـسلجوقية، ويصلح أحوال الدولة العباسية ويعيد إليها الهدوء، فكـان أول مـن هنّـأ الـسلطان مسعود(527-1132/547-1152م) بالسلطنة سنة 527هـ/1132م، وهيأ العامـة لاستقباله على جانبي الطريق التي سيسلكها موكبه إلى القصر العباسي، حيث نثـر عليهم السلطان الدنانير[4]، كما استطاع في سنة 528هـ/1133م تحقيق الصلح بين الخليفة وصاحب الموصل عماد الدين زنكي، وتعهد الوزير بتـأمين ألـف فـارس لحماية مداخل بغداد من أي خطر قد يشكله زنكي [5]، وكان محمود السيرة عند أهل بغداد فقد مدحه الشاعر حيص بيص فقال:

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص271؛ البنداري، تاريخ، ص99-101؛ ابن الطقطقـا، الفخري، ص306-307.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص271؛ البنداري، تاريخ، ص99-101؛ ابن الطقطقـا، الفخري، ص306-307.

(3) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص271 .

(4) الأصفهاني،عماد الدين محمد بن محمد بن حامد(ت597هـ/1201م) زبدة النصرة ونخبـة العصرة، اختصار الفتح بن محمد البنداري الأصفهاني، مخطوط، ص200، سيشار إليـه تالياً: الأصفهاني، زبدة ؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص275 .

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص218.

فقاتُ لأنْدى منه لو تعلمونَه أناملُ نوشَروان وان تهمي لقانعِ
سحائب تَمريها العفاةُ فيغتدي على القوم منها هامع إثر هامعِ
صدوقُ الحيا للشائمين التماعه إذا كذبتْ غر البروق اللوامعَ
فتى الحي أما داره فَللاجـ ـئ شريدٍ وأما زادهُ فَللجائـع[1].

ولم تدم وزارة القاشاني طويلاً إذ عزل في سنة 528هـ ـ/1133م[2] وقـد يكون عزله بناء على طلبه فهو لم يكن راغبا فيها عندما عرضت عليه.

وأعيد الوزير ابن طراد الزينبي الى الوزارة، وخلع عليه وكّرم في الـديوان "كان الزينبي من المقربين إلى الخليفة، وممن يؤخذ رأيهم عند الـشدائد، فحـين عزم الخليفة على المسير لحرب السلطان مسعود سـنة 529هـ ـ/1135م، شـاور رجال دولته منهم الوزير الزينبي، والذي كان رأيه عدم الخـروج إلـى الـسلطان مسعود وإنما التحصن ببغداد، وقد أيد هـذا الـرأي صـاحب المخـزن، وكاتـب الإنشاء[4]، لكن الخليفة رفض هذا الرأي وأصر على المسير إلى السلطان مـسعود ومحاربته، ورد على الوزير : كف يا علي[3]

والله لأضربن بسيفي حتى يكل ساعدي ولألقين الشمس بوجهي حتى يشحب

قال:

"إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا"

ووبخ الوزير، وقال له" أنت عاجز عد إلى بيتك"[5].

ولم يؤثر ذلك على ولاء الوزير للخليفة؛ فعندما خرج الخليفة لقتال الـسلطان مسعود سار معه وأسر معه، وأرسل الوزير وصاحب المخزن وكاتب الإنشاء إلـى

---

(1) حيص بيص، ديوان، جـ1، 75-78.

(2) الأصفهاني، زبدة،ص200؛ القلانسي، ذيل، ص 242؛ابن الجـوزي، المنـتظم، جـ ـ17، ص282؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص276؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص306-307.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 218؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص282؛ ابـن كثيـر، البداية، جـ11،ص256.

(4) الذهبي، سير،جـ19،ص161.

(5) المصدر نفسه، جـ19، ص564؛ السبكي، طبقات، جـ7، ص 258-259 .

قلعة بالقرب من همدان[1]، أما الخليفة فقد بقي يرافق السلطان، حتى قتل على يـد الباطنية [2].

### 2.2: نائب الوزير

اتسعت أعمال الوزير في الدولة العباسية وكثرت أسـفاره، فأوجـد الخلفـاء وظيفة نائب الوزير ليساعد الوزير، ويتولى أداء أعماله في حال مغادرته العاصـمة بغداد، وظهر دور نائب الوزير بشكل واضح في العهد السلجوقي، وأَلِـفَ النـاس وجوده حيث أصبح مظهراً من مظاهر تطور الوزارة في ذلـك العهـد[3]، وزادت أهميته في خلافة المستَرشِد بالله (512-529هـ/1119-1135م)، حتى فاقت أهمية الوزير في بعض الأحيان، وبخاصة في الفترة التي تولى فيها الوزراء الذين جـاءوا بتأثير من السلطنة السلجوقية، وكأن المستَرشِد أراد بذلك إرضاء السلطنة، مع نقـل صلاحيات الوزير إلى نائبه الذي كان يعينه.

كان قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني ينوب في الـوزارة في خلافة المستظهر بالله العباسي (487-512هـ/1095-1118م) [4]، وعند وفـاة الخليفة المستظهر سنة 512هـ/1118م، ومبايعة ابنه الخليفـة المـستَرشِد، بقـى الدامغاني ينوب بالوزارة فكان المتولي لأخذ البيعة [5]، وبعد فترة وجيزة من خلافة المستَرشِد عزل الدامغاني من وظيفته هذه، واستنيب ابن طراد الزينبي في الوزارة، وذلـــك فـــي ظـــل وزارة أبـــي شـــجاع محمـــد بـــن

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص295.

(2) الأصـفهاني، زبـدة، ص204؛ ابـن العمراني،الإنبـاء، ص220 ؛ ابـن الجـوزي، المنتظم،جـ17، ص298-299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص283؛ الأزدي، أخبـار، جـ2،ص 242؛ ابن كثير، البداية، جـ11،ص258.

(3) شندب، محمد حسين، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخـامس الهجري(467-512هـ)، ط1، دار النفائس، بيروت1984م، ص94-95، سيـشار إليـه تالياً: شندب ، الحضارة.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8، ص82؛ شندب، الحضارة، ص95.

(5) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص162؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8، ص82.

منصور(512-513هـ/1118-1119م) [1]، وكان الزينبي هو مـن يُـسر أمـور الوزارة ولم يكن لأبي شجاع منها سوى الاسم[2]، وعهد إليه المسترشِد عـدد مـن المهام، فأرسله إلى الأمير دبيس بن صدقة في أمر الأمير أبي الحـسن علـي بـن المستظهر سنة 513هـ/1119م فأخذ البيعة من دبيس ولم يحصل على شيء من الأمير أبي الحسن [3]، وقد تراجع دور الزينبي في ظل وزارة جلال الدين بن صدقة الأولى (513-516هـ/1120-1123م) فكان ابن صدقة على ما يظهر هـو مـن يسير الأمور، ثم عاد الخليفة واستناب ابن طراد الزينبي في الـوزارة بعـد عزلـه الوزير ابن صدقة سنة 516هـ/1123م ولم يستوزر أحداً، بل خلع على ابن طراد، وخاطبه بما يدل على أهمية الدور الذي سيقوم به ومكانته عند الخليفة إذ قال لـه:" محلك يا نقيب النقباء من شريف الإباء، وموضعك الحالي بالاختصاص والاختيار ما يقتضيه إخلاصك المحمود اختياره، الزاكية آثاره، توجب التعويل عليك فـي تنفيـذ المهام، والرجوع إلى استصوابك في النيابة التي يحسن بها القيام، وجماعة الأوليـاء والأتباع مأمورون بمتابعتك وامتثال ما تصرفه من الخدم في إبدائك وإعادتك، فاحفظ الدين، وتقدم إلى من جرت عادته بملازمة الخدمة وسائر الأعوان، وتـوفر علـى مراعاة الأحوال بانشراح صدر وفراغ بال، فإن الإنعام لك شامل، وبنيـل آمالـك كافل إن شاء الله"[4]، ويظهر من النص السابق أن مهام نائب الوزير تتمثل في :

1- حفظ الدين وتطبيق الشرع الإسلامي
2- توفير الخدمات المختلفة للسكان
3- الاستماع إلى شكاوى الناس، والعمل على حلها .

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص216؛ الذهبي، سير، جـ19، 150؛ابن الطقطقا، الفخـري،ص 305؛ابن كثير، البداية، جـ11، ص 236.

(2) ابن الدبيثي، ذيل، جـ1، ص 228.

(3) ابن الأثير الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية، جـ23، ص 262؛ الـذهبي، دول، جـ2، ص 27؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1024.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17،ص205-206.

4- أن جميع موظفي الدولة بما فيهم صاحب المخزن وكاتب الإنشاء وكاتب الزمام وصاحب الشرطة والقضاة وغيرهم يتبعون إلى نائب الوزير، ويشرف عليهم.

اتسع دور النائب ابن طراد الزينبي في ظل وزارة نظام الملك أحمد بن نظام الملك(516-517هـ/1123-1124م)، وبعد عزله ناب ابن طراد في الوزارة [1]، وفي وزارة جلال الدين ابن صدقة الثانية(517-522هـ/1124-1129م)، استمر النائب ابن طراد الزينبي في تأدية بعض المهام السياسية، فقد أرسله الخليفة سنة 520هـ/1127م إلى السلطان سنجر(511-552هـ/1118-1158م)، ومعه الخلع، طالباً منه إبعاد دبيس والي الحلة والمقيم حينئذ عنده، فأكرمه سنجر [2].

وبعد وفاة الوزير جلال الدين ابن صدقة سنة 522هـ/1129م، لم يستوزر الخليفة المستَرشِد أحداً بل اكتفى بأن أناب ابن طراد الزينبي في الوزارة[3]، وفي سنة 523هـ/1130م خلع المستَرشِد عليه واستوزره[4]، ولم ينب أحداً أثناء وزارة ابن طراد الأولى( 523-526هـ/1130-1132م) يؤيد ذلك أنه لم يستوزر أحداً بعد عزل ابن طراد الزينبي، وإنما اكتفى بأن أناب ابن الأنباري كاتب الإنشاء في

---

(1) النويري، نهاية ، جـ23، ص 264؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 501-520هـ) ص299.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17،ص244؛ ابن كثير، البداية، جـ 11،ص244؛ العزام، الوزارة، ص158.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص249.

(4) ابن العمراني، الإنباء،ص 216؛ الأربلي، خلاصة الذهب، ص273؛ الكازروني، المختصر،ص223؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص252،250؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص305.

الوزارة، ثم عاد وعزله وقبض عليه وصادر أمواله بعد أربعة أشهر من توليتـه [1] واستوزر أنوشروان بن خالد القاشاني[2].

وظل منـصب نائـب الـوزير شـاغراً فـي وزارة أنوشـروان (526-528هـ ـ/1132-1134م) وفـي وزارة ابـن طـراد الزينبـي الثانيـة(528-529هـ/1134-1135م) فلم يعثر على ذكر لوجوده في ما تيـسر مـن مـصادر معاصرة أو تاليه .

## 3.2 الوظائف الإدارية

### 1.3.2 كاتب الإنشاء:

يتولى كاتب الإنشاء إدارة ديوان الإنشاء الذي يعد استمراراً لديوان الرسـائل في الدولة العباسية، وهو من الدواوين الهامة فيها، ويختص بالمكاتبـات والرسـائل ويقوم بتحرير رسائل الخليفة وأوامره ومكاتباته[3]، ويتولاه موظف يعـرف بكاتـب الرسائل أو كاتب الإنشاء، وكان له مكانة كبيرة في الدولة، ويفترض فيه أن يتمتـع بقدرات لغوية وأدبية، وإدارية[4].

وقبيل خلافة المستَرشِد كان ابن الأنباري يتولى وظيفة كاتب الإنشاء منذ سنة 507هـ/1114م، وقد أقره المستَرشِد على عمله، واستمر يشغله حتى وفاته سـنة 558هـ/1163م، وناب في الوزارة للمسترشد وللمقتفي، وقد دعى للـوزارة فـي

---

(1) الذهبي، سير، جـ20، ص 150؛ صبحي، الوزارة، ص159.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 217؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص271، ابن الطقطقـا، الفخري، ص306-307؛ ابن كثيـر، البدايـة، جـ ـ11،ص252؛ النـويري، نهايـة، جـ23،ص271.

(3) الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، طبعة جديدة، بيت الحكمة، جامعـة بغـداد، بغـداد 1988، ص147، سيشار إليه تالياً الدوري، النظم؛ الكساسبة، حسين فـلاح، المؤسـسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية(الدواوين)، منشورات جامعة مؤتة، المطبعة الوطنيـة عمان1993م، ص 141، سيشار إليه تالياً، الكساسبة،المؤسسات؛ عقلة، عصام مصطفى، الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، الجامعـة الأردنية، عمان1997م، ص124، سيشار إليه تالياً: عقلة.

(4) الكساسبة، المؤسسات، ص162؛ عقلة، الخلافة، ص124.

خلافة المستَرشِد والمقتفي ولم يتولها[1]، كان ابن الأنباري يتمتع بـصفات أهلتـه لتولي هذه الوظيفة الهامة في الدولة العباسية، إذ عرف عنـه أنـه كـان فاضـلاً، أديباً[2]، كاتباً بليغاً، وكان ذا رأي وحزم وعقل، وله رسائل بديعة المعـاني متينـة المباني عذبة المجاني[3] وهو من الشعراء المشهورين. ومن شعره

يا من هجرتَ ولا تبالي هلْ ترجع دولةُ الوصال

هل، أطلع يا عذاب قلبي أن ينعم في هواكِ بالي[4]

وقد مدحه الشعراء، منهم الارجاني بقصيدة منها:

إلى خيالٍ خيالٌ في الظلام سرى نظيره في خفاء الشخص إذ نظرا

معقرب الصدغ تحكي نور غُرتُه بدر بدا بظلام الليل معتكـ ـ ـرا

مسافر القلبِ من صدري إليـه هوى ما عاد قط ولم أسمع له خبرا[5]

ومدحه الشاعر حيص بيص بقصيدة منها:

علقَتْ والصبا غض الأديم مهملٌ الوفرةِ من آل تميم

يحس التاج على مفرقهِ ناشراً في يوم بؤسٍ ونعيم

ينهل الصعدةَ من أقرانه ويلبي طارقَ الليل البهيم[6].

اعتمد الخليفة المستَرشِد على ابن الأنباري في مهام سياسية، فأرسله في سنة 513 هـ/1120م إلى دبيس في أمر الأمير أبي الحسن، يطلب إليه القـبض علـى

---

(1) الفارقي، تاريخ، ص242؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص157؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ ـ ـ9، ص 464؛ الـ ـذهبي، سير،جـ ـ ـ20، ص350-351؛ أمـ ـين، تـ ـاريخ، ص 200.

(2) ابن الجوزي، المنتظم،جـ18،ص157؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 464؛ الذهبي، سير، جـ20، ص350-351.

(3) الحنبلي، شذرات، جـ4، ص 183-184.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 464.

(5) الحنبلي، شذرات،جـ4،ص 183-184.

(6) حيص بيص، ديوان، جـ1، ص88-89.

أخيه أبي الحسن [1] واستطاع ابن الأنباري إقناع دبيس بمحاربة الأمير أبي الحـسن والقبض عليه وتسليمه إلى الخليفة [2].

كان ابن الأنباري يتمتع بقدرة كبيرة على الإقنـاع والحجـة، فأوكـل لـه المسترشِد مهمة إقناع السلطان محمود(511-525هـ/1118-1131م) بعدم السير إلى بغداد في سنة 520هـ/1127م، لكن السلطان رفـض ذلـك[3] وفـي سـنة 525هـ/1131م أرسله إلى والي دمشق تاج الملوك بوري بـن طغتكـين(498-522هـ/1105-1129م) لإقناعه بضرورة تسليم دبيس بن صدقة للخليفة، لكن هذا الوالي كان قد سلمه إلى والي الموصل عماد الدين زنكي، فسمع ابن الأنباري بذلك وهو في الطريق إلى دمشق، فسار إلى دمشق وذم أتابك عماد الدين عند واليها، فلما سمع عمادالدين بذلك، قبض عليه وهو في طريق عودته إلى بغداد، وأخذه وسـجنه وبقى في سجنه حتى شفع فيه الخليفة المسترشِد سنة 528هـ/1134م فأطلقه فـي هذه السنة [4]، وفي السنة نفسها أرسله الخليفة المـسترشِد إلـى الـسلطان سـنجر (511-552هـ/1118- 1158م) ومعه الخلع للسلطان سنجر فرحل بها وخلع على السلطان، فأكرمه وعاد إلى بغداد سنة 529هـ/1135م[5].

كمـا كـان ابـن الأنبـاري مـن كبـار مـوظفي الدولـة؛ ففـي سـنة 515هـ/1122م، حضر معهم خلع الخليفـة علـى الـسلطان محمـود(511-

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص212؛ ابن حمدون، التذكرة، ص 169؛ ابن الجوزي، المنـتظم، جـ17، ص171؛ الذهبي، تاريخ ، حوادث(501-520هـ)، ص 275.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية ، جـ23، ص 262؛ الـذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات(501-520هـ)،ص275؛ ابـن خلـدون، العبـر، جـ6، ص 1024.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص216؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ18،ص157؛ ابـن الأثيـر، الكامل، جـ9، ص 237-238.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 263؛ ابـن الأثير،الكامـل، جـ9، ص 258-259؛ ابن العديم، بغية، جـ2، ص 445.

(5) ابن الجوزي، المنتظم،جـ18،ص283، 292-293.

525هـ/1118-1131م)[1]، كما شارك الخليفة في حروبه؛ ففي سنة 517هـ/1124م، وخرج مع الخليفة في حربه التي هزم فيها دبيس بن صدقة[2] وشارك مع الخليفة في حربه ضد السلطان مسعود سنة 529هـ/1135م وأسر معه[3].

### 2.3.2 صاحب المخزن:

كان صاحب هذه الوظيفة يدير ديوان بيت مال الخليفة، ويختص باستلام واردات ضياع الخليفة وأملاكه وما يأمر بإيداعه فيه من واردات [4]، وعرف في ما بعد بصاحب المخزن، لانحصار أعمال صاحبه في الأشراف على مجموعة قليلة من الأموال، وتخزين الخلع التي تمنح للسلاطين وغيرهم [5]، وينبغي أن يكون بارعاً في الحسابات، عارفاً بأحكام الديوان، وأن يكون عارفاً بأصول الأموال وأقسامها [6].

كان يوسف بن أحمد الخرزي (ت512هـ/1119م) يتولى المخزن في أواخر خلافة المستظهر، ولم تكن علاقتّه حسنة مع المستَرشِد حين كان ولياً للعهد إذ كان لا يوفيه حقه من التعظيم وينقص من مخصصاته المالية، مما أغضبه، لكنه لم يعزله فور توليه الخلافة، وإنما أقره على وظيفته[7]، لعدم إثارة المشاكل ولأهمية الوظيفة التي يتولاها، ثم عاد بعد عدة شهور من خلافته وعزله و قبض عليه وبل واتهمه

---

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص97.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص205-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص219-221؛ ابن الأثير،التاريخ، ص26-27؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص109-110؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات(501-520هـ)،ص297-299.

(3) الأصفهاني، زبدة،ص204؛ 2؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص293-294؛ ابن الأثير، التاريخ، ص49-50؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص 282؛ الكازروني، المختصر،ص221.

(4) الكساسبة، المؤسسات، ص71-72.

(5) عقلة، الخلافة، ص126.

(6) الكساسبة، المؤسسات،ص 69-71.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 168-169.

بالخروج على الدين الإسلامي؛ إذ وجد في منزله آنية المذبح، ولما سئل عن ذلـك إدعى أن هذه الأواني كانت لزوجته النصرانية[1]، كما أتهم بمراسلة الأمير علي بن المستظهر وتأييده في خروجه على أخيه الخليفـة[2]، فـصودرت أموالـه وكانـت أربعمائة ألف دينار ثم أعدم[3].

وعين مكانه أحمد بن عبدالوهاب بن هبة الله أبا البركات السيبي، والذي كان معلم المستَرشِد في صباه، فَأنَسِه المستَرشِد وولاّه المخزن، وبقى يتولاه حتى وفاتـه في شهر محرم من سنة 514هـ/1121م[4]، فولّى مكانه أبا الفتوح حمزة بن علـي بن طلحة، الذي كان يتولى وظيفة الحاجب قبل ذلـك، ولقـب بـ "الأجـلّ أثيـر الدولة"و"كمال الدين عضد الإسلام"وقد حظى بمكانـه كبيـرة حتـى بلـغ درجـة الوزراء[5].

كان لصاحب المخزن دور كبير في إدارة وضبط نفقات الدولة، فكـان مـن مهامه، الإشراف على دار الضرب؛ ففي سنة 526هـ/1132م وصلت إلى الخليفة أخبار مفادها أن عمالها يشكون أنهم يخسرون، وحين عرض الأمر على صـاحب المخزن ابن طلحة، منعهم من الشكوى، ووصل الخبر إلى الخليفة، الذي أمر بإجراء تحقيق في الأمر، وأظهر التحقيقات أن العمال يربحـون، وأن صـاحب المخـزن

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17،ص168-169؛ ابن العبري، تاريخ، ص137؛ ابن قاضي شهبة،الكواكب، ص83؛ فييه، جان موريس، أحوال النصارى في خلافة بنـي العبـاس، ترجمة حسني زينه، دار المشرق، بيروت1990م،ص 324، سيشار إليـه تاليـاً فييـه، أحوال.

(2) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص163.

(3) المصدر نفسه، جـ17،ص168-169؛ ابن العبري، تاريخ، ص137؛ ابن قاضي شـهبة، الكواكب، ص83؛ فييه، أحوال، ص 324.

(4) ابن العمراني، الإنباء،ص 211؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص 188؛ ابـن الأثيـر، الكامل، جـ9، ص 206؛ سبط ابن الجوزي، مرآة،ق1، جـ8، ص91.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص 211؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص 185؛ ابـن الأثيـر، الكامل،جـ9،ص 206؛ الأربلي، خلاصة،ص 273.

يعاونهم في ذلك، مقابل سبعين ديناراً شهريا، فأمر الخليفة باعتماد الوزير الزينبـي مسؤولاً عن دار الضرب، مما أثر على إيرادات صاحب المخزن ابن طلحة [1]

كان ابن طلحة من كبار رجال الدولة، فقد حضر في سنة 516هـ/1123م الخلع على الوزير نظام الملك أحمد عندما استوزره [2]، كما أخذ الخليفة رأيه، حين عزم على حرب السلطان مسعود سنة 529هـ/1135م، وكان رأيـه يوافـق رأي الوزير الزينبي وكاتب الإنشاء ابن الأنباري في عدم الخروج من بغداد والتحـصن بها، لكن الخليفة أصر على السير لمحاربة مسعود، فخرج ابن طلحة معه وأسر في من أسر مع الخليفة[3].

3.3.2 **ديوان زمام**:

عرفَ هذا الديوان بديوان زمام الأزمة، والذي أُنشيء فـي عهـد الخليفـة المهدي(158-169هـ/775-186م) [4]، ليتولى الأشراف على الدواوين، ومراقبة أعمالها[5]، بيد أن أعماله تراجعـت وأخـذ الغمـوض يحيطهـا أثنـاء الـسيطرة السلجوقية [6]

وفي عهد الخليفة المستَرشِد كان يتولاه شمس الدولة علي بن هبة الله ابـن الزوال (ت539هـ/1145م) [7]، والذي عزل من عمله سـنة 515هـ ـ/1122م

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص269.

(2) المصدر نفسه، جـ17،ص206.

(3) الأصفهاني، زبدة، ص204؛ 2؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص293-294؛ ابن الأثيـر، التاريخ، ص49-50؛ ابن الأثير، الكامل،جـ ـ9،ص 282؛ الكـازروني، المختـصر، ص221.

(4) الدوري، النظم، ص151.

(5) الكساسبة، المؤسسات،ص 179؛ عقلة، الخلافة، ص125.

(6) عقلة، الخلافة، ص125.

(7) هو ابن عبد السلام أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام بـن عبـد الله بـن يحيـى البغدادي الكاتب، ولد سنة 452هـ/1061م،وسمع من علماء عصره وسمع منه الكثيـر من الفقهاء والمحدثين، تولى ديوان الزمام في عهد الخليفة المستَرشِد ووالي واسط فـي=

وعهد بالنظر في ديوان الزمام لابن الأنباري بالإضافة إلـى عملـه فـي ديـوان الإنشاء[1]، ويبدو أن هذا الديوان تم فيما بعد فصله عن ديوان الإنشاء، إذ ذكر ابن الجوزي أن متوليه في سنة 526هـ/1132م هو الحسين بن محمد ابـن الـوزان، والذي قبض عليه مع الوزير ابن طراد الزينبي في تلك السنة وصودرت أموالـه، ولعل القبض عليه يعود للمخالفات التي حدثت في دار الضرب وعزل بسببها الوزير ابن طراد الزينبي [2].

**4.3.2 ديوان المظالم:**

تعود نشأة هذا الديوان إلى عهد الخليفة المهدي بالله(158-169هـ/775-786م)، ويهتم بجمع الشكاوي المتعلقة بقضايا تعدي الخاصة على العامة لترفع إلى الخليفة أو من ينوب عنه لينظر فيها[3]، لكن دوره تراجع في ظل السيطرة البويهية والسلجوقية، أما الخليفة المستَرشِد الذي عزم على تقليص نفوذ السلاجقة في العراق فقد عمل على أعادة العمل بهذا الديوان، ففي سنة 529هـ/1135م، طرد المستَرشِد موظفي السلاجقة من بغداد واستولى على أملاك الدولة السلجوقية فيهـا، وتجهـز لحرب السلطان مسعود، وأمر صاحب المخزن حمزة بن علي بن طلحة النظر في المظالم[4].

---

عهد الخليفة المقتفي، توفي في سابع رجب سنة 539هـ/1145م، أنظر ابن الجـوزي، المنتظم، جـ18، ص 42؛ الذهبي، سير،جـ20،ص147.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص193-194.

(2) المصدر نفسه، جـ17، ص269-272.

(3) الكساسبة، المؤسسات،ص 101-106.

(4) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(697هـ/1298م)، مفرج الكروب في أخبار بنـي أيوب، تحقيق: جمال الدين الشياك،المطبعة الأميرية، القـاهرة1957م، جـ1، ص58-59. سيشار إليه تالياً ابن واصل، مفرج

### 5.3.2- أستاذية الدار

عرفت هذه الوظيفة في فترة السيطرة السلجوقية وما بعدها وكان متوليهـا يـشرف على شؤون الأسرة العباسية، وعمارة دار الخلافة وتجديد المدارس وبنائها ومتابعـة أحوال خدم الخليفة [1]. وممن تولاها في خلافة المسترشد أبو المكـارم بـن عبـد المطلب الملقب بعز الدولة[2]، والمظفر بن علي بن محمد بن جهيـر [3]، وناصـح الدولة أبي عبدالله بن جهير الذي قبض عليه الخليفة المسترشد سنة 518هـ/1125م وصادر أمواله[4]، ثم أعيد إلى عمله وبقى فيه إلى أن قبض عليه الخليفة الراشد سنة 530هـ/1136م [5].

### 6.3.2- حاجب الخليفة

يتولى الحاجب تنظيم دخول الوافدين لمجالس الخليفة[6]، ومن اختـصاصاته في هذه الفترة نقل السفارة بين الخلفاء والسلاطين والولاة[7]. وتولى هذه المهمة في

---

(1) عقلة، الخلافة، ص128.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص255. هو أبو المكارم بن عبد المطلـب الملقـب عـز الدولة، توفى سنة 523هـ ، انظر : ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص255.

(3) المصدر نفسه، جـ18، ص 100؛ الذهبي، سير، جـ20، ص283. هو المظفر بن علي بن محمد بن جهير تولى أستاذ الدار في عهد المسترشد، ثم وزر للمقتفـي وتـوفي سـنة 549هـ ،انظر: ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص 100؛ الـذهبي، سـير، جــ20، ص283.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص225.

(5) المصدر نفسه، جـ17، ص307.

(6) الكساسبة، المؤسسات، ص 95؛ عمر، النظم، ص92.

(7) عقلة، الخلافة، ص 129.

عهد الخليفة المسترشِد عبدالله بن محمد الدامغاني[1]، وأبو غالب محمد بن المعوج وأبو الفتوح حمزة بن طلحة، وأبو الفضل هبة الله بن الحسين بن الصاحب[2].

## 4.2 موظفو السلطنة السلجوقية في بغداد في عهد الخليفة المسترشِد

### 1.4.2 - العميد

لم تعد بغداد في العهد السلجوقي قاعدة لحكمهم؛ كما فعل البويهيون من قبل، وإنما تنقلوا بين نيسابور وأصفهان وهمدان، وبقية بغداد عاصمة للخلافة العباسية وحدها،وعين فيها السلاجقة موظفين لهم كانوا بمثابة نواباً عنهم مثل العميد والشحنة [3].

أما العميد فكان من الموظفين الذين عِينّهم السلطان السلجوقي في بغداد، وينوب عنه في عاصمة الخلافة بغداد، وتشبه صلاحياته إلى حد بعيد صلاحيات الوالي، وهو أعلى المناصب السلجوقية في بغداد وصلاحياته أوسع من صلاحيات الشحنة، فالعميد يشرف على العراق جميعه في حين يشرف الشحنة على مدينة بعينها كبغداد أو البصرة وفي بعض الأحيان كانا يتعاونا معاً في إدارة الولاية[4] هذا وتتمثل صلاحيات العميد في :

1- جباية الأموال اللازمة لتأمين ضمان المدينة التي يتولاها، إذ أن العميد يضمن بغداد من السلطان بمبلغ سنوي متفق عليه مسبقاً ثم يقوم بجمع الأموال من

---

(1) هو عبدالله بن محمد بن علي بن محمد أبو جعفر الدامغاني، تولى قضاء ربع الكرخ، ثم خلع عليه وتولى حجابة باب النوبي، ثم عزل، كان دمث الأخلاق عتيداً بالرياسة، وتوفى 518هـ/1125م، أنظر ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 226.

(2) الأربلي، خلاصة، ص 273.

(3) القزاز، الحياة ، ص18؛ الزهراني، نفوذ ، ص 125؛ الجميلي،رشيد عبدالله، تاريخ الدولة العباسية (العصور العباسية لمتأخرة)، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت)، ص65.سيشار إليه تالياً: الجميلي، تاريخ. أنظر الملحق رقم(جـ)، ص202.

(4) عمر، فاروق، النظم الإسلامية، العين 1983م، ص91، سيشار إليه تالياً عمر، النظم؛ أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، بغداد 1965م، ص202؛ سيشار إليه تالياً: أمين، تاريخ ؛ أمين، نظام ، ص220.

بغداد لنفسه[1] فقد ضمن أبو الفتح المظفر بن الحسين بغداد سنة 452هـ ـ/1060م بمائة ألف دينار ولسنتين 453هـ/1061م و454هـ/1062م بثلاثمائة ألف دينار[2].

2- عمارة بغداد والنظر في أعمالها.

3- استتباب الأمن والنظام في مركز الخلافة وما يتبعه من مناطق.

4- النظر في المظالم والقضاء على المفسدين.

5- الاهتمام بأمر الحج، وتعيين الخفراء للحجيج.

6- ترتيب إقامة السلطان في بغداد [3].

ومن الجدير بالذكر أن نفوذ العميد قد تراجع وتقلصت صلاحياته مع مرور الزمن وأُنيطت كثير من مهامه بالشحنة، الذي غدا يمثل السلطان وينوب عنه في بغداد وقد ظهر هذا بجلاء في خلافة المستَرشِد؛ إذ طغى ذكر الشحنة على ذكر العميد، وقام أيضاً بأعماله .

كان أبو نصر أحمد بن علي - الذي قتله البساسيري عندما سيطر على بغداد وعزل الخليفة سنة 450هـ/1058م مستغلاً غياب السلطان طُغْرلبك(429-455هـ/1038-1064م) في الموصل - أول عميد يتولى العراق وكان هذا العميد ذا شجاعة وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ ببغداد[4] وفي عهد المستَرشِد غاب ذكر العميد لصالح الشحنة، ولم يعد يذكر إلا عرضيا، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي والذهبي حديثهما عن حوادث سنة 516هـ/1123م من أن أحد عمداء العراق وهو ثقة الملوك أبو جعفر[5]، استطاع الحصول على فتوى تبيح قتال والي الحلة دبيس ابن صدقة، الذي أتهم بسب الصحابة، وترك الصلوات والجمع ومفارقة الجماعة

---

(1) عقلة، الخلافة، ص71.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص62؛ عقلة، الخلافة، ص71-72.

(3) بيات، السياسة، ص 108-109؛ عقلة، الخلافة، ص71-73.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص344؛ أمين، تاريخ،ص 203؛ عقلة، الخلافة، ص72.

(5) لم يعثر له على ترجمة في المصادر

والتظاهر بالمحرمات، والحصول على أذن السلطان محمود بقتال دبيس بالتعاون مع الخليفة[1].

وما ذكره الشاعر حيص بيص في قصيدته التي يمدح فيها الـوزير شـرف الدين انوشروان وعميد العراق علي بن علّجة [2]ويعتب عليهما لتأخرهما في صرف إدراره[3] منها قوله "

وما راعني إلا عميد معظـم — مشير على السلطان بالمنع والحظْر
وهبه كما قد قيل ضاق توصلاً — بإطلاق نزرٍ يسترق به شكري
لئن منع الإدرار بعد إباحةٍ — لم يخشَ من نظمي الفصيح ولا نثري
ولج ابن كوزانٍ وان لَحاجبه — ردى ذاهب بالعرض منه بالعمر
ولم يتلافَ الأمر في أُخرياته — عميد مطاع القول في النهي ولأمر[4]

كما ورد ذكر لعميد العراق الذي كان يتولاها بعد مقتل الخليفة المستَرشِد سنة 529هـ/1135م، في بعض المصادر دون أن تسميه واكتفت بالقول أنه قد تعـاون مع متولي الشحنة على تعطيل دار الضرب، واستحداث دار جديدة للضرب بـسوق العميد وسيطر على دار الشحنة، والقبض على ابن طوق عامـل الأميـر الجـاولي شحنة بغداد، وأمروا ابن الحاجب ضامن بغداد بجمع الضمان وتسليمه لهم "... وثار الناس وهاجموا عساكر صاحب الشحنة والعميد لكنهم استطاعوا إخضاعهم للأمـر الواقع"[5]،وقبضوا على أملاك الخليفة وقتلوا أناساً كثراً[6].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص208-209؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيـات (501-520هـ)، ص 294.

(2) لم يعثر له على ترجمة في المصادر

(3) يقصد بإدرار الراتب.

(4) حيص بيص، ديوان، جـ1، ص 115-118.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 296؛ النويري، نهاية ،جـ23،ص275.

(6) ابن الأثير، التاريخ، ص49-50.

2.4.2- **شحنة بغداد:**

الشحنكية أو الشحنة وهي لفظة فارسية تعني نائب الملك أو رئيس الشرطة وفي لسان العرب، الشحنة جمعها شحن: وهي في الأصل ما يقدم للدواب من العلف الذي يكفيها يومها وليلتها[1]، واصطلاحاً هي: وظيفة إدارية استحدثها السلاجقة، ويعين صاحبها من قبل السلطان السلجوقي، ويتمتع بمسؤوليات إدارية وأمنية، وهو المسئول عن إدارة المدينة والمحافظة على أمنها واستقرارها، وملاحقة الخارجين عن النظام، ومعاقبة المفسدين وغير ذلك[2].

بدأت وظيفة الشحنكية أو الشحنة بسيطة يتولى صاحبها مهام محددة ضمن مدينة معينة، ثم أخذت بالتطور السريع، وبخاصة بعد تولي نظام الملك الطوسي(ت485هـ/1093م) الوزارة السلجوقية، حتى أصبح صاحبها بمثابة الوالي أو النائب عن السلطان في بغداد أو غيرها من المدن السلجوقية، واتسعت مسؤولياته حتى فاقت مسؤوليات العميد الذي أصبح مساعداً لصاحب السحنة[3].

ذكر الراوندي (ت603هـ/1207م) صاحب كتاب راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، أن أول من تولى شحنة بغداد كان الأمير ايتكين السلماني: وهو الذي فر عند استيلاء البساسيري على بغداد سنة 450هـ/1059م إلى منطقة حلوان، وهناك وصلته رسالة الخليفة القائم بأمر الله(422-467هـ/1032-1075م) يطلب منه إبلاغ السلطان طُغْرلبك(429-455هـ/1038-1064م) بما حدث [4]، في حين يذكر ابن الأثير(ت630هـ/1233م) وابن كثير(ت774هـ/1373م)،أن الأمير

---

(1) ابن منظور، لسان ،جـ13،ص ص234.

(2) الراوندي، محمد بن علي(601هـ/1205م) راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، 1960م ص 173-174؛ سيشار إليه تالياً الراوندي، راحة؛ أمين، نظام ، ص220؛ أمين، تاريخ ، ص210؛ بيات، "السياسة"، ص109-110؛ عقلة، الخلافة، ص76؛ عمر، النظم، ص91؛ شندب، الحضارة، ص106.

(3) بيات، السياسية، ص109؛ القزاز، الحياة ، ص19.

(4) الراوندي، راحة ، ص 172.

برسق(ت490هـ/1097م) [1]، كان أول من تولى شحنة بغـداد، وقـد ولاه إياهـا السلطان ألب ارسلان في شهر ربيع الأول سنة 452هـ/1061م[2].

وقبيل خلافة المستَرشِد(512-529هـ/1118-1135م)كان الأمير مجاهـد الدين بهروز[3]، يتولى شحنة بغداد من قبل السلطان محمد(498-511هـ/1105-1118)، منذ سنة 502هـ/1109م، وقد بنى هذا الأمير دار السلطنة في بغداد بأمر من السلطان محمد، وأحسن إلى الناس، فزاد السلطان في أملاكه فولاه شحنة العراق كله[4] وفي سنة 512هـ/1118م عزله السلطان محمود عن عملـه وولـى مكانـه الأمير آقسنقر البرسقي[5] وسار بهروز إلى تكريت والتي كانت إقطاعاً له[1].

---

(1) هو أحد أمراء السلطان طُغْرلبك (429-455هـ/1038-1061م)، تـولى العديـد مـن الأعمال، ومنها شحنة بغداد، وكان من الأمراء المشار إليهم فيها، والمعدودين من أعيانهم، قتلته الباطنية سنة 490هـ/1097م، انظر: ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص12؛ ابن كثير، البداية، جـ12، ص152؛ ابن خلكان، أحمد بن محمـد(ت681هـ/1283م)، وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان، تحقيـق: إحـسان عبـاس، دار صـادر، بيروت(د.ت)،جـ1،ص243، سيشار إليه تالياً ابن خلكان، وفيات.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 351؛ ابن كثير البداية، جـ11، ص195؛ أمـين، نظـام، ص220.

(3) هو بهروز بن عبدالله أبو الحسن الخادم الأبيض الغياثي، كان يلقب بمجاهد الـدين، ولـي شحنة بغداد لمدة تزيد على ثلاثين عاما، ولعدة مرات، قال عنه ابن الجوزي:ما رأيت مثل مناقضة بهروز فأنه منع أن يجتمع في السفينة النساء والرجال وجمع بينهم في المـاخور، توفي في رجب سنة خمسمائة وأربعين ودفن برباط المستجد بـشاطئ دجلـة المعـروف برباط الخدم، انظر: ابن الجوزي المنتظم، جـ18،ص 46؛ ابن الأثيـر، الكامل،جـ 9، ص 336؛ سبط ابن الجوزي، مرآة ق1، جـ8، ص186.

(4) الأصفهاني، زبدة، ص125؛ ابن الأثير، الكامل جـ9،ص 133؛ابـن الـوردي، تـاريخ، جـ2، ص 33.

(5) هو أبو سعيد آق سنقر البرسقي الغازي، الملقب قسيم الدولة سيف الدين صاحب الموصـل والرحبة،ملكها بعد الأمير مودود سنة 507هـ/1114م، وكان قبلها يتولى شحنة بغداد منذ سنة 498هـ/1105م وقال عنه ابن خلكان: أنه أحد كبراء الدولة السلجوقية ولـه شـهرة

إلا أن السلطان محمود عزل البرسقي في السنة نفسها وولاها الأمير منكوبرس(ت513هـ/1120)[2]، الذي بعث بالأمير حسين بن أزيك[3]، لينوب عنه في تولى شحنة بغداد فلم يرض البرسقي بذلك وطلب من الخليفة المستظهر(487-512هـ/1095-1119م) منع ذلك فأجابه إلى طلبه، وكتب به إلى السلطان محمود الذي طلب من الأمير أزيك التأخر لحين وصول اوأمره بالسير إلى بغداد أو العودة عنها؛ فتأخر مسير أزيك إلى بغداد مما دفع البرسقي إلى السير إليها، والتقى بالأمير أزيك ووقعت بينهما معركة أنتصر فيها البرسقي، وقتل أخ الأمير أزيك وذلك قبيل وفاة المستظهر وبيعة المستَرشِد، مما دفع الأمير منكوبرس إلى تولي شحنة بغداد بنفسه، عرف عن صاحب الشحنة هذا الظلم والجور على الرعية، حتى أن الناس قد ضجوا منه وأغلقوا الأسواق[4].

ولم تكن علاقات هذا الأمير حسنة مع الخليفة المستَرشِد لما عرف عنه من ظلم وجور، وقد شكا الخليفة ذلك إلى السلطان محمود [5] لكن السلطان محمود كان مشغولاً في حربه مع عمه السلطان سنجر، وما أن انتهت الحرب حتى قبض عليه السلطان محمود فقتله سنة 513هـ/1120م لأمور أخذها عليه[6] ففوض شحنة

---

كبيرة بينهم، قتلته الباطنية بجامع الموصل يوم الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة 520هـ/1127م .انظر ابن خلكان، وفيات، جـ1،ص242-243.

(1) ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص 172؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 273؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2،ص 40.

(2) أحد أمراء الدولة السلجوقية، تولى شحنة بغداد في الفترة (512-513هـ/1119-1120م) قتل بأمر من السلطان محمود سنة 513هـ/1120م لموقفه في الحرب التي وقعت بين السلطانيين محمود وسنجر 512هـ/1119م، أنظر :ابن الأثير، الكامل جـ9،ص 187.

(3) لم يعثر على ترجمة له في المصادر

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 187؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 279.

(5) ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص 187؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات (501-520هـ) ص279؛ ابن كثير، البداية، جـ11،ص 228.

(6) ابن الأثير، الكامل جـ9،ص 178.

بغداد إلى الأمير سعد الدولة برنقش الزكوي [1] والذي مارس صلاحياته في حفظ الأمن وتطبيق النظام؛ ففي شهر صفر من سنة 515هـ/1122م استطاع جنوده إلقاء القبض على شخص قتل شخصاً آخر وتقديمه إلى القضاء، كما نشر جنوده في بغداد ومعهم أسلحتهم وأوكل إليهم حفظ الأمن فيها[2] ، وهيأ في سنة 515هـ/1122م الإقامة للسلطان محمود في بغداد، وحدث أن احترقت دار السلطنة أثناء إقامة السلطان فيها، وأتت النار عليها بالكامل فعمل صاحب الشحنة على تهيئة مكان آخر لإقامة السلطان، وتنفيذ أمر السلطان بإعادة بناء دار السلطنة من جديد[3] كما أنه شارك في الحرب التي وقعت بين الخليفة ووالي الحلة دبيس بن صدقة في الفترة(514-516هـ/1121-1123م) بصفته متولي شحنة بغداد[4].

واستطاع في سنة 516هـ/1123م التوصل إلى تفاهم مع دبيس اشترط عليه أن يرسل أخيه منصور رهينة عند السلطان ويلزم طاعته والخليفة، ثم عاد الزكوي إلى بغداد يقود قواته العسكرية[5]، وقصد دار الخلافة ومعه الأمير منصور أخ دبيس وطلب من الخليفة العفو عن دبيس ومصالحته[6]، لكن الخليفة رفض ذلك وطلب من السلطان محمود تكليف الأمير آقسنقر البرسقي محاربة دبيس وتعيينه على شحنة بغداد ووافق السلطان على ذلك، وأمر البرسقي بمحاربة دبيس، والتقى الطرفان يوم الخميس الأول من محرم سنة 516هـ/1123م، في معركة وانتصر دبيس على البرسقي، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه الصلح ويقدم له الطاعة، واشترط عليه عزل وزيره جلال الدين ابن صدقة، وعزل البرسقي من شحنة بغداد،

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص187؛سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص90-91.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص192.

(3) المصدر نفسه، جـ17، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، 211؛

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص195-197؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص193-194.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص198؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص193-194.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص187؛ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص213-214؛ ابن العديم، بغية، جـ4، ص1963.

فوافق الخليفة على عزل الوزير ابن صدقة لكن السلطان محمود لم يعزل البرسقي، وتم الصلح بين الخليفة ودبيس[(1)].

لم يلتزم دبيس بما نص عليه الصلح، وأخذ يغير على بعض مناطق الخلافـة في واسط، مما دعا أهلها إلى طلب العون من الخليفة والبرسقي؛ فأعلن الخليفة إنهاء الصلح معه، واتفق مع شحنة بغداد على محاربته وفي سنة 517هـ/1124م، انتظم عسكر الخليفة والبرسقي في جيش واحد فكان البرسقي في ميمنة الجـيش وعمـاد الدين زنكي والي واسط في الميسرة والخليفة ووزيره نظام الملك احمد في الصفوف الأخيرة، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين، قاتل فيها الخليفة بنفسه، -حتـى كـاد ينتصر دبيس-، فشجع ذلك جنود الخليفة وحملوا على جنود دبيس، فهزموهم وقتل واسر عدداً كبيراً منهم وهرب دبيس وانظم إلى جانب الـصليبيين فـي حـصارهم لمدينة حلب، [(2)].

وفي سنة 518هـ/1125م عزل السلطان محمود(511-525هـ ـ/1118-1131م) البرسقي عن شحنة بغداد وأمره بالعودة إلى الموصل لمحاربة الـصليبيين وولى مكانه الأمير سعد الدولة برنقش الزكوي،[(3)]، ويذكر الذهبي أن سبب عـزل

---

[(1)] ابـن الجـوزي، المنـتظم، جـ ـ17، ص204-205؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ ـ9، ص213-215.

[(2)] ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص206-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219-221؛ سبط ابن الجوزي، مـرآة، ق1،جـ ـ8،ص 109-111؛ الـذهبي، تـاريخ ، حـوادث ووفيات(501-520هـ) ص297-299؛ ابـن كثيـر، البداية،جـ ـ11، ص235-236؛ النويري، نهاية ،جـ23، ص265-267؛ ابن خلدون، العبر، جـ7،ص614-615.

[(3)] ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص224؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص229؛ سـبط ابـن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص112؛ ابن العديم، بغيـة، جـ ـ8، ص 3845؛ الـذهبي، تـاريخ، حـوادث ووفيـات( 501-520هـ ـ)، ص301؛ الـديوجي، سـعيد، تـاريخ الموصل،(د.ط) مطبوعات المجمع العراقي، بغداد1982م، ص261، سيشار إليـه تاليـاً: الديوجي، تاريخ.

البرسقي عن شحنة بغداد، نفور الخليفة منه وطلبه من الـسلطان محمـود عزلـه، فأجاب السلطان إلى ذلك وعزله[1].

وفي ولاية الأمير سعد الدولة برنقش الزكوي الثانية على شحنة بغـداد، لـم تكن علاقته حسنة مع الخليفة المستَرشِد؛ فقد سار في سنة 519هـ ـ/1126م إلـى السلطان محمود وحرضه على الخليفة وشكا له من أن الخليفة يجمع العسكر وأنـه عزم على الانفصال عن السلطنة والاستقلال بالعراق[2]، فكان ذلك من الأسباب التي دفعت السلطان محمود إلى السير إلى بغداد سنة 520هـ/1127م ومحاربة الخليفة السيطرة على دار الخلافة[3]، كما أشار الزكوي على السلطان محمود قتل أهل بغداد فرفض السلطان ذلك[4].

بعد سيطرة السلطان محمود على بغداد سنة521هـ/1128م، أدرك ما وصل إليه الخليفة من قوة وأطلع على نواياه في التخلص من النفوذ السلجوقي، فعمد إلـى البحث عن شخصية قوية لتولي شحنة بغداد تكون قادرة على كبت نوايا الخليفة نحو الاستقلال، وتثبيت النفوذ السلجوقي في بغداد والعراق كله، فوقع اختياره على عماد الدين زنكي لما له من خبرة كبيرة في الحروب ضد دبيس والـصليبيين ومعرفتـه

---

(1) الذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات (501-520هـ)ص 304.

(2) ابن الجوزي،المنتظم،جـ17، ص229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ ـ9،ص237-238؛ ابـن الأثير، التـاريخ، ص28-29؛ المقدسـي، عبـدالرحمن بـن إسـماعيل بـن إبـراهيم (ت661هـ/1263م)، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط1،مؤسسة الرسالة، بيروت 1997، جـ1،ص114، سيشار إليـه تاليـاً المقدسـي، الروضـتين ؛ النويري، نهاية ،جـ23،ص 267؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيـات(501-520هـ ـ)، ص305-306؛ الآلوسي، "المستَرشِد"، ص 504، الزهراني، نفوذ، ص 127.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص232-233؛ابن الأثير، الكامل، جـ ـ9،ص237-238؛ المقدسي، الروضتين، جـ1،ص1140.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص242.

الواسعة بالعراق والخليفة المستَرشِد، فولاه شحنة بغداد سنة 521هـ/1128م، وعاد إلى عاصمته همدان[1].

ضبط عماد الدين أمور شحنة بغداد وحسن علاقاته مع الخليفة المـستَرشِد(512-529هـ/1118-1135م) الذي فضله على دبيس في تولي الموصـل بعـد وفـاة صاحبها مسعود بن البرسقي(520-521هـ/1127-1128)، ودفع الخليفة لقاء ذلك مبلغاً قدره مائة ألف دينار، كما أن عماد الدين توسل إلى الخليفة من أجل أن يساعده في توليته الموصل فكان له ما أراد إذ خلع عليه الخليفة وأعاده إلى الموصـل [2]، وولّى السلطان محمود شحنة بغداد الأميـر مجاهـد الـدين بهـروز وذلـك سـنة 522هـ/1129م[3].

كانت علاقة الأمير بهروز حسنة مع الخليفة المستَرشِد فـي ولايتـه الثانيـة لشحنة بغداد، لما عرف عنه من حسن التصرف والعدل الإنصاف[4]، وإضافة إلـى انشغال السلاجقة عن أمور الخليفة في حروبهم الداخلية بعد وفاة الـسلطان محمـود سنة 525هـ/1131م، لكن هذا لم يدم طويلاً وإذ توترت العلاقات بينهما أثر طلـب الخليفة من الأمير بهروز مرافقته في حربه ضد والي الموصل عمادالدين زنكي سنة 527هـ/1133م فاعتذر بهروز بحجة كبر سنة وعدم مقدرته على الحرب، فطلـب منه الخليفة تسليم القلعة والأموال التي معه والدخول في طاعة الخليفة، فأجاب إلـى الطاعه، لكنه رفض تسليم القلعة والأموال [5]، وأرسل الخليفة العسكر وحاصر القلعة فوقع القتال بين الطرفين وأجبر بهروز على تقديم الأموال، فأقدم الخليفة على طرده

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص244؛ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص241؛ المقدسـي، الروضتين ؛جـ1،ص114؛ ابن العبري، تاريخ مختـصر، ص203؛ ابـن الـوردي، تاريخ،جـ2،ص53؛ ابـن كثيـر، البداية،جـ11،ص244؛ ابـن قاضـي شـهبة، الكواكب،ص92.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص252-253.

(3) ابن كثير، البداية، جـ11،ص 244.

(4) الأصفهاني، زبدة، ص125؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص 133؛ابـن الـوردي، تـاريخ، جـ2،ص 33.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 276.

وسيطر على دار السلطنة [1]، وغدا الخليفة المتصرف الوحيد ببغداد وما يتبعها من مناطق مستغلاً انشغال السلاجقة في حروبهم كما سيأتي في الفصل الثالث.

بعد وفاة السلطان طغرل بن محمد(526-529هـ/1132-1135م) سنة 529هـ/1135م وتولي السلطان مسعود(529-548هـ/1135-1154م)، حكم سلاجقة العراق، ونظراً لضعف صاحب شحنة بغداد الأمير بهروز فقد عزله السلطان مسعود وعين مكانه الأمير الجاولي الطغرلي [2]، ولكن هذا الأمير انضم للخليفة في حربه ضد السلطان مسعود والتي أفضت إلى أسر الخليفة [3]، وبعد هزيمة الخليفة وأسره بعث السلطان مسعود الأمير بكة أوبك المحمودي وولاه شحنة بغداد، فعمل هذا الأمير بالتعاون مع العميد على تعطيل دار الضرب، واستحداث دار جديدة للضرب بسوق العميد، وسيطر على دار الشحنة، وقبض على ابن طوق عامل الأمير الجاولي شحنة بغداد السابق، وأمروا ابن الحاجب ضامن بغداد بجمع الضمان وتسليمه لهم .... وثار الناس وهاجموا عساكر صاحب الشحنة والعميد لكنهم استطاعوا إخضاعهم للأمر الواقع[4]،وقبضوا على أملاك الخليفة وقتلوا أناساً كثراً[5]، كما عمد صاحب الشحنة إلى نقض سور بغداد وأجبر الناس على نقضه، فنقضت مواقع كثيرة منه[6].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 283.

(2) المصدر نفسه، جـ17،ص 291. هو جاولي الطغرلي، أحد أمراء الدولة السلجوقية في عهد السلطان مسعود، تولى شحنة بغداد، وانضم للخليفة في حربه مع السلطان مسعود سنة 529هـ، ثم مال للسلطان، وتولى في ما بعد حكم أرنية الواقعة بين أذربيجان وأران سنة 535هـ،ثم تحرك للعصيان على السلطان مسعود فدس له من قتله سنة 541هـ/1147م، انظر ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص317، 344.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 294،291؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص 282.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 296؛ النويري، نهاية ،جـ23،ص275.

(5) ابن الأثير، التاريخ، ص49-50.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 298.

وبعد مقتل الخليفة المسترشد ،أمر السلطان مسعود صاحب شحنة بغداد بأخذ البيعة لولي العهد الأمير الراشد فأخذها له[1].

**5.2 : جيش الخلافة في خلافة المسترشد**

تراجعت مكانة جيش الخلافة العباسية خلال السيطرة البويهية (334-447هـ/946-1056م) [2] واستمر هذا الحال بعد سيطرة السلاجقة على بغداد سنة 447هـ/1056م، إذ فوض الخليفة القائم (422-467هـ/1031-1075م) مهمة الدفاع عن الدولة، وتكوين الجيش لسلاطين السلاجقة، ووقع لهم بذلك تفويضاً كاملاً بإدارة الدولة والمناطق التابعة لها، وجرد نفسه من أية قوة عسكرية، إذ قال في تفويضه للسلطان طُغْرلبك (429-455/1038-1064م) " إن أمير المؤمنين شاكر لسعيك، حامد لفضلك، مستأنس بقربك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة عباده، فاتق الله فيما ولاك، واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل، وكف الظلم، وإصلاح الرعية"[3].

وسار من بعده الخليفة المقتدي(467-487هـ/1075-1094م) والخليفة المستظهر(487-512هـ/1094-1118م)، على هذه السياسية، فلم يذكر عنهما سعيهما لتكوين جيش خاص بالخلافة، وظلت هذه المهمة مناطة بالدولة السلجوقية ونوابها في بغداد وغيرها من المدن التابعة لها، إذ أن الدولة السلجوقية كانت في أوج قوتها في عهديهما[4].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 300؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص 283؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8ـص158؛ النويري، نهاية ،جـ23، ص277.

(2) ردايده، تهاني خالد، جيش الخلافة العباسية في الفترة ما بين (447-656هـ/1055-1258م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد 1997م،ص31، سيشار إليه تالياً: ردايده، جيش.

(3) البنداري، تاريخ،ص14؛ الفارقي، تاريخ، ص157-158؛ابن الأثير، الكامل،جـ8، ص337؛ ردايده، جيش، ص32؛ القزاز، الحياة ، ص17.

(4) ردايده، جيش، ص33-34.

وفي بداية خلافة المستَرشِد، لم تكن الخلافة تمتلك أي قوة عسكرية فمـع أن ابـن العمراني( ت580هـ/1185م)، انفرد بالقول أن خمسمائة فارسٍ من جيش الخلافة، قد شارك في القضاء على حركة أخي الخليفة الأمير أبي الحسن علي بن المستظهر التي قادها عند بيعة المستَرشِد سنة513هـ/1119م[1]، إلا أن المؤرخين قد أجمعوا على أن المستَرشِد قد اعتمد بصورة كاملة على جيش دبيس في القضاء على حركة أبي الحسن [2]، مما يؤكد عدم امتلاك الخلافة أي قوة عسكرية فـي بدايـة خلافـة المستَرشِد.

ولكن هذا الحال لم يكن ليرضي المستَرشِد، لما عرف عنـه مـن صـفات الشجاعة والإقدام والحزم، وسعيه للتخلص من النفـوذ الـسلجوقي، وإعـادة هيبـة الخلافة[3] وحمايتها مما يتهددها من أخطار الدويلات المجاورة تحـاول الـسيطرة عليها[4]، فبدأ الخليفة في التفكير في بناء جيش خاص به منذ توليه الخلافـة سـنة

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، 212.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص174؛ ابن الأثير الكامل، جـ9، ص174-175؛ سـبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص79؛ النويري، نهاية، جـ23، ص 262؛ الـذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيـات(501-520هـ ـ)،ص275؛ ابـن خلـدون، العبـر، جـ ـ6، ص 1024.

(3) الفارقي، تاريخ، ص285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الجوزي، المنـتظم،ج17، ص 162؛ابن الأثير، الكامل جـ9، ص 283 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ ـ8، ص 156؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص 73؛ السبكي، طبقـات، جـ ـ7، ص258؛ النّويري، نهاية، جـ23، ص 277؛ الذهبي، سير، جـ19، ص 563؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 259؛ القرماني، أخبار ، ص174؛ ابـن دقمـاق، الجـوهر،163؛ ابـن الوردي، تاريخ، جـ2،ص 62؛ السيوطي، تاريخ، ص 339؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص 86.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص205-207؛ ابن الأثير، الكامل،جـ ـ9،ص193-194؛ النويري، نهاية ،جـ23،ص265؛ابن كثير، البداية،جـ11،ص235-236.

512هـ/1118م، ففي هذه السنة خلع على الأمير نظر[1]، ولقبه أمير الجيوش والحرمين وأعطاه الأعلام[2]، وعمِد إلى تشكيل نواة جيشه وتسليحها، ليكونوا قادرين على حماية دار الخلافة من الهجمات التي أخذ دبيس يشنها عليها منذ سنة 514هـ/1121[3]، لكن هذه القوة لم تكن كافية بالقدر الذي يجعلها قادرة على مواجهة دبيس، لذلك لم يشركها المستَرشِد في المواجهة، التي وقعت بين البرسقي صاحب شحنة بغداد ودبيس سنة 516هـ/1123م، والتي هزم فيها البرسقي، واستطاع فرض شروطه على شحنة بغداد والخلافة أيضاً[4] واستمر في اعتداءاته على بغداد وما يجاورها.

كانت هذه الهزيمة دافعاً قوياً للخليفة لتجميع قواته، والمناداة في بغداد بالنفير العام، حتى استطاع بالتعاون مع صاحب شحنة بغداد تكوين جيش كبير تباينت الروايات في تحديد تعداده ففي حين ذكر ابن العمراني، أنه خرج مع الخليفة من بغداد نحو ثلاثين ألف شاب بعضهم من حملة السلاح وبعضهم من رماة البندق وبعضهم بأيديهم المقالع[5]، في حين أن ابن الأثير والنويري ذكرا: أن جيش الخليفة والبرسقي بلغ تعداده ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل[6]، قد شاركت في هذا

---

(1) هو نظر بن عبدالله الجيوشي، ولد ببغداد وسمع فيها الحديث وتفقه على علمائها، وتولى إمارة الحج لأكثر من عشرين عاماً، وتولى قيادة جيش الخليفة المستَرشِد في الفترة(512-528هـ/1119-1134م)، وتوفي سنة 544هـ/1150م ودفن ببغداد، انظر ابن الجوزي، المنتظم، جـ18،ص76؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص364؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص205.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص179؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8، ص72.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 186-187؛ ردايده، جيش، ص36.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص214؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص100-101؛ ابن العديم، بغية، جـ7، ص 3480.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص 215.

(6) ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص26-27.؛ النويري، نهاية ،جـ23،ص 266.

الجيش مختلف الفئات السكانية في بغداد، وقاد هذا الجيش الخليفة بنفسه، وقاتل فيه، واستطاع هذا الجيش هزيمة دبيس وقتل وأسر عدداً آخر[1].

يعد هذا الانتصار نقطة تحول في تاريخ جيش الخلافة العباسـية فـي عهـد المستَرشِد، فقد كان الخليفة قبله يعتمد بشكل كامل على قوات شحنة بغداد في حماية دار الخلافة من الأخطار التي تهددها، وحفظ أمنها، وبعدها أصبح جـيش الخلافـة يقوم بمهام عسكرية وأمنية داخل وخارج بغداد، كما أن الخليفة قد أولى هذا الجيش اهتماماً كبيراً؛ فقد خصص له جزءاً من نفقات الدولة كما يتضح من خطابه للسلطان محمود(512-525هـ/1118-1131م) محاولاً ثنيـه عـن الـسير إلـى بغـداد سنة520هـ/1127م فقد قال له:" إن العراق بعد ما خربها دبيس بن صدقة لا تفـي بي وبكم فإما أنا أو أنتم، وعندي عساكر واحتاج إلى الإنفاق عليهم، ومعكم عـساكر والبلاد خراب لا تفي بالجميع"[2].

وعمل الخليفة كذلك على إعادة العمـل بـديوان العـرض، وهـو الـديوان المخصص للجند(ديوان الجند)، ودون فيه أسماء الجند ورواتبهم، وما يلـزمهم مـن السلاح وغيره[3] وتكون جيش الخليفـة المستَرشِد من عناصر متعددة؛ فقد أشرك فيه الهاشميين مـن آل العباس وآل علـي، وأرباب الدولـة مـن وزراء، وقـضـاة وموظفيـن[4]، وعـرب مـن سكـان بغــداد وما جاورهـا[5]، والأتـراك[6]،

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص205-210؛ ابن الأثير، الكامل،جـ 9،ص219-221؛ ابن الأثير،التاريخ، ص26-27؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص109-110= الذهبي، تاريخ،حوادث ووفيات(501-520هـ)،ص297-299؛ الجميلي، تاريخ، ص67؛ ردايده، جيش، ص36-37.

(2) ابن العمراني، الإنباء،ص 216.

(3) ابن الجوزي،المنتظم، جـ17،ص 231 ؛ ردايده، جيش، ص39.

(4) ابـن العمرانـي، الإنبـاء، ص211-212، 216؛ سـبط ابـن الجـوزي، مـرآة، ق1،جـ8،ص101؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص 295.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص211-212، 216

(6) المصدر نفسه، ص211-212، 216؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8، ص 101

والأكراد[1] والتركمان والأعراب[2].

كما اهتم الخليفة المستَرشِد بتحصين مدينة بغداد فبعد انتصاره علـى دبـيس سنة 517هـ/1124م أمر ببناء سور حول بغداد لحمايتها من هجمـات دبـيس أو غيره من أخطار[3]، وجمعت تكاليف بناء هذا السور من الناس في بداية الأمـر إلا أنهم ضجوا من ذلك؛ فأعاد الخليفة ما جمع من الناس إليهم، وأتم بنائه علـى نفقتـه الخاصة[4]، كما أن وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك قد تبرع بمبلـغ خمـسة عشر ألف دينار من ماله الخاص في بناء السور [5]، ولعل ما فعله الخليفة والوزير كان دافعاً للناس للمساعدة في بناء السور إذ كان كل أهل محلة يعملون يوماً كـاملاً في بنائه وبشكل دوري حتى تم بناؤه[6]، وقد بقى هذا السور قائما حتى نقضه متولي شحنة بغداد الأمير بكبة على أثر أسر الخليفة المستَرشِد من قبل السلطان مـسعود سنة 529هـ/1135م[7].

وفي سنة 554هـ/1164م أتى فيضان نهر دجلة على ما تبقى منه، فأعاد الخليفة المقتفـي(532-555هـ/1137-1161م) ومـن بعـد المـستنجد(555-566هـ/1161-1170م) والمستضيء(566-575/1170-1179م)، بنـاءه مـن جديد [8].

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص215.

(2) المصدر نفسه، ص217.

(3) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي(ت597هـ/1201م)، مناقب بغداد، تحقيق محمد بهجـة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد 1924م، ص 15، سيشار إليـه تاليـاً: ابـن الجوزي،مناقب.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص110؛ الذهبي، تـاريخ ،حـوادث ووفيـات(501-520هـ)ص 298.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 225 ؛ النويري، نهاية، جـ23،ص267.

(6) ابن الجوزي، مناقب، ص15-18؛ الذهبي، تاريخ ،حـوادث ووفيـات(501-520هـ)، ص298.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 298؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص2.

(8) ابن الجوزي، مناقب، ص18.

وهكذا أصبح الخليفة المسترشد بالله يمتلك جيشاً قويا يأتمر بإمرته ويوجهه لتحقيق أهدافه؛ ففي سنة519هـ/1126م تعرضت بغداد لهجوم مشترك من الأمير طغرل ودبيس بن صدقة، فأعلن الخليفة النفير العام، وجمع الجيش، وقسمه إلى فرقتين واحدة يقودها بنفسه والأخرى بقيادة الوزير جلال الدين بن صدقة واستطاع جيش الخلافة هزيمة دبيس وأسره ثم العفو عنه بعدما توسل للخليفة، أما الأمير طُغْرلبك فقد مرض وهو في طريقه لمهاجمة بغداد؛ فلم يشتبك مع جيش الخليفة وعاد إلى بلاده[1]، وبعد هذا الانتصار بدأ الخليفة يتطلع لضم مناطق جديدة بالاعتماد على جيشه، ففي السنة نفسها أرسل الخليفة قسماً من جيشه بقيادة عفيف الخادم لاحتلال واسط لكن وليها عمادالدين زنكي استطاع هزيمته وحمايتها[2].

بدأت السلطنة السلجوقية تستشعر قوة جيش الخلافة، وأنه بات يشكل خطراً على نفوذها في العراق، فقد اشتكى متولي شحنة بغداد إلى السلطان محمود سنة 519هـ/1126م، من الخليفة وتحركاته العسكرية وقال له:" إن الخليفة يطلب الملك، وانه خرج من داره مرتين وكسر من قصده، وإن لم يدبر الأمر في حسم، ذلك اتسع الخرق، وصعب الأمر، وسيتضح لك حقيقة ذلك إذا أردت دخول بغداد، والذي يحمله على ذلك وزيره أبوعلي ابن صدقة، وقد كاتب أمراء الأطراف، وجمع العرب والأكراد[3].

كما أن السلطان سنجر(511-552هـ/1118-1158م) حذر ابن أخيه السلطان محمود من تنامي قوة الخليفة، وأنه أصبح يشكل خطراً على الدولة

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 298؛ ابن الأثير،الكامل،جـ9،ص 232-233؛ ابن كثير، البداية،جـ11،ص 241.

(2) ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص238؛ ابن الأثير، التاريخ، ص28؛ الديوجي، تاريخ الموصل،ص262.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 219؛ ابن الأثير،الكامل،جـ9،ص 237؛ إقبال، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205-1343هـ/820-1925م)، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة 1989م، ص 295، سيشار إليه تالياً، إقبال، تاريخ.

السلجوقية كلها، ونهاه عن الصلح معه، والركون إلى جانبه، فقد بعث السلطان سنجر رسالة إلى السلطان محمود جاء فيها:"أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك، فإذا اتفقتما علي، فرغ مني وعاد إليك فلا تلتفت إليه، وأنت تعلم أنه ليس لي ولد ذكر، وأنك ضربت معي مصافاً، وظفرتُ بك، فلم أسئ إليك، وقتلت من كان سبباً لقتالنا، وأعدتك إلى السلطنة، وجعلتك ولي عهدي، وزوجتك ابنتي، فلما مضت إلى الله تعالى زوجتك الأخرى، ورأيي فيك رأى الوالد، فالله الله أن تعول على ما قال لك، ويجب بعد هذا أن تمضي إلى بغداد، ومعك العساكر فتقبض على وزير الخليفة ابن صدقة، وتقتل الأكراد الذين قد دونهم، وتأخذ النزل الذي قد عمله وجميع آلة السفر، وتقول: أنا سيفك وخادمك وأنت تعود إلى دارك على ما جرت به عادة آبائك، وأنا لا أحوجك إلى تعسف فإن فعل وإلاّ أخذته بالشدة، وإلاّ لم يبق لك ولا لي معه حكم"[1].

وهكذا يبدو أن تنامي قوة جيش الخليفة، وشكوى متولي شحنة بغداد وتحذيرات السلطان سنجر(511-525هـ/1118-1158م) من أهداف الخليفة التوسعية والاستقلالية، قد جعلت السلطان محمود(511-529هـ/1118-1131م) يعيد النظر في علاقاته مع الخليفة، وعزم على التوجه إلى بغداد والسيطرة عليها، وتفريق جيش الخليفة، فحاول الخليفة ثني السلطان عن قصده بغداد، فأنفذ إليه كاتب الإنشاء ابن الأنباري، لكن السلطان أبى وتوجه إلى بغداد.

أمام ذلك كله قام الخليفة بتحصين بغداد وجمع العساكر واستعد للقتال، وعند وصول السلطان أطراف بغداد فرض عليها حصاراً شديداً، ووقع القتال بين الطرفين ولم يستطع السلطان هزيمة الخليفة ودخول بغداد، فاستنجد بعماد الدين زنكي والي البصرة، الذي زحف إليه بجيش كبير، وانضم إليه في حصاره بغداد، وبعد عدة أيام أجبر الخليفة على قبول الصلح الذي كان السلطان يعرضه عليه، ودخل السلطان محمود (511-552هـ/1118-1158م) بغداد، ونهبت بعض مناطقها وبعض دور

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 231.

الخلافة[1]، واتفق الطرفان على أن لا يقوم الخليفة بتكوين جيش خاص به، وأن يسلم ما لديه من أسلحة وآلة حرب، على أن تقوم السلطنة السلجوقية بحماية بغداد من أي خطر تتعرض له خاصة من قبل دبيس بن صدقة والي الحلة[2].

وثق الخليفة هذا الاتفاق عند السلطان سنجر؛ فقد بعث إليه النقيب ابن طـراد الزينبي بالخلع الأكرام، وطلب منه إبعاد دبيس عن دار الخلافة، فأكرمه الـسلطان وأظهر الطاعة للخليفة ووعده بإبعاد دبيس عن بغداد[3]، وفي سنة 522هـ/1129م قدم إلى بغداد مبعوث السلطان سنجر يسأل الخطبة له على منابرها، فكان لـه مـا أراد[4].

التزم الطرفان بما أتفق عليه فالخليفة توقف عن تكوين الجيش، والـسلطنة السلجوقية ممثلة بالسلطان محمود والسلطان سنجر حاولت حماية بغداد مـن خطـر دبيس بن صدقة، فقد وصلت أخبار في سنة 522هـ/1129م بتوجه دبيس واستعداده لمهاجمة بغداد، فأنزعج الخليفة وأهل بغداد من ذلك، وبعث الخليفة إلـى الـسلطان محمود مطالباً إياه القيام بواجبه في حماية بغداد ويذكره ما اتفقا عليه فقال له :إنك إن لم تمنعه – ويعني بذلك دبيس – من المجيء، وإلا احتجنـا، أن نخـرج إليـه، وينقض العهد الذي بيننا وبينك" فمنع السلطان محمـود دبـيس مـن مهاجمـة دار الخلافة[5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17، ص 241-242؛ زيار، حامد زيان غانم،الصراع السياسي والعسكري بـين القـوى الإسـلامية زمـن الحـروب الـصليبية، دار الثقافـة للنـشر والتوزيع، القاهرة 1983م، ص27، سيشار إليه تالياً، زيار، الصراع.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 205، 253، 263.

(3) المصدر نفسه، جـ17،ص 244؛ ابن كثير، البداية،جـ11،ص244؛ العـزام، الـوزارة، ص158.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 250؛ ابن كثير، البداية،جـ11،ص 245.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص249-250.

كما أن السلطان سنجر قد بعث من يحمي بغداد حين سمع بنية دبـيس فـي مهاجمتها سنة 523هـ/1130م وهزم دبيس وتاه في الصحراء حتى وقع في أسـر طغتكين صاحب دمشق سنة 525هـ/1131م[1].

لم يدم هذا الحال طويلاً إذ استطاع الخليفة تخليص نفسه ممـا أُتفـق عليـه مستغلا انشغال السلطان في القضاء على تمرد أخيه مسعود سنة 525هـ ـ/1131م وخشية الخليفة من أن يستغل دبيس هذا ويقوم بمهاجمة بغداد فأحل السلطان الخليفة مما أتفقا عليه بينهما سنة 521هـ/1128م، فكان للخليفة ما أراد، وعاد إلى تكـوين الجيش وأُعتبر ما أُتفق عليه بينهما منتهياً[2]، واستغل الخليفة كذلك انشغال السلاجقة في حروبهم الداخلية[3]، حول من يخلـف الـسلطان محمـود بعـد وفاتـه سـنة 525هـ/1131م، فأعاد العمل بديوان العرض وكون جيشاً خاصاً بـه، واسـتولى على جميع ما كان للأتراك بالعراق، وسير قائده إقبال المعروف بجمال الدولة إلـى الحلة وأمره على بابل وضم إليه عشرة آلاف فارس من العرب والتـرك والأكـراد وطوقه ولقبه حسام الدين سلطان الأكراد وملك العرب، كما جاءته العساكر من الشام وديار ربيعة [4].

وفي سنة 526هـ/1132م تحالف الخليفة مع مسعود بن محمد وأخيه سلجوق شاة ضد عمهم السلطان سنجر وأخيهم السلطان طغرل بن محمد فأرسـل الـسلطان سنجر كل من دبيس وصاحب الموصل عماد الدين زنكي لمهاجمة بغداد ، فاسـتعد الخليفة للقتال، وقاد جيشاً يتكون من ألفي فارس، واستطاع صد الهجـوم وهزيمـة المهاجمين، وقتل عدداً كبيراً من جنودهما[5] وعزم الخليفة على معاقبة عماد الـدين

---

(1) ابن الأثير، الكامل ، جـ9،ص249-258.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص263-264.

(3) $EI^2$, Saldjukids, VIII 943

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص217.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص271؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص265؛ أبو الفـداء، المختصر،جـ2،ص69؛ ابن سباط، حمزة بن احمد بـن عمـر(ت926هـ ـ/1521م)،=

زنكي والي الموصل على أفعاله، وضم الموصل إلى أملاك الخلافة، ففي عام 527هـ/1133م قاد الخليفة جيشه لمهاجمة الموصل وحصارها، وقد تباينت روايات المصادر في تحديد حجم جيش الخليفة، فذكر ابن الأثير، وابن واصل، وابن العبري وابن خلدون أن الخليفة سار إلى الموصل ومعه ثلاثين ألف مقاتل[1]، أما ابن الجوزي فقال أن المستَرشِد قد زحف إلى الموصل ومعه نيفاً وثلاثين ألف راجل واثنا عشر ألف فارس[2]، في حين ذكر اليافعي أن عدد جيش الخليفة اثنا عشر ألفا[3]، ويبدو أن جيش الخليفة كان كبيراً، وأنه كان يزداد كلما تقدم شمالاً بسبب انضمام أعداد كبيرة من المتطوعين وأمراء المناطق إليه[4]، وفرض الخليفة حصاراً شديداً على الموصل استمر ثمانين يوماً، لكنه لم يستطع دخولها لبراعة عماد الدين زنكي ونائبه فيها في الدفاع عنها، واضطر الخليفة إلى الرحيل عنها بعد وصول أخبار مفادها أن السلطان مسعود يستعد لمهاجمة بغداد وعزل الخليفة بالتحالف مع دبيس بن صدقة[5]، ورغم أن الخليفة لم يستطع تحقيق هدفه في ضم الموصل إلاّ أنه استطاع إظهار قوته وقدرته على معاقبة من يقف ضده وانه أصبح قوة لا يستهان بها، كما أجبر عماد الدين زنكي على طاعته والتحالف معه[6].

---

صدق الأخبار تاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار جروس برس، طرابلس الشرق1993م، جـ1،ص52، سيشار إليه تالياً ابن سباط، تاريخ.

(1) ابن الأثير، التاريخ، ص 47؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص270؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص52؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص204؛ ابن خلدون، العبر،جـ6،ص1050؛ خليل،عماد الدين، عماد الدين زنكي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت1982م،ص 55، سيشار إليه تالياً: خليل،عماد الدين

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص266.

(3) اليافعي، مرآة، جـ3، ص192.

(4) خليل، عماد الدين، ص 55.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص267؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص270.

(6) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص282؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص276؛ خليل، عماد الدين، ص 56؛ ردايده، جيش، ص43.

وأظهر الخليفة اهتمامه بجيشه الخاص، والذي يدين بالولاء له دون غيـره، ويأتمر بأمره، فقد استعرضه في يوم عيد الفطر سنة 528هـ/1134م، وكان تعداده خمسة عشر ألف فارس مسلحين بكافة أنواع الأسلحة المعروفة في ذلـك الوقـت، وظهر في أبهى حلة وحضر هذا الاستعراض كافة أرباب الدولة العباسية[1]، وخلـع على قائده إقبال الخادم خلع الملوك، ولقبه ملك العرب سيف الدولـة وكتـب بـذلك منشوراً[2] كما لفت هذا الجيش أنظار الشعراء إليه فنظموا فيه القصائد الطوال التي تتحدث عن عظمته وقوته وأسلحته وتضحياته، وتمدح قائده الخليفة المستَرشِد بـالله، فهذا الشاعر حيص بيص يصفه بقصيدة طويلة منها قوله:

| | |
|---|---|
| وعرمرمٍ كاليم هيج بعاصـفٍ | شَـرقَتْ بفضل عبابهِ البيـداء |
| نسج الفلا والصبح ركض جياده | فالأرض جو والصباح عشـاء |
| طردت فوارسه وما لاح العِـدا | حرصاً فكل كتيبةٍ دفـــــواء |
| تدنو له عنق القشاعمِ مثلمــــا | تـحتف بالمتصدق الفُقـراء |
| تجري مسابقَة السيوفِ فربمـــا | نَسرت وضربه طائحٍ رعـــلاء |
| والخيلُ تقتحم الغبار كأنهــــا | نبلُ الجفيرِ وقد أجيد رمـــاء |
| نزجي سنبكها سحاباً قطـره | منها مسيح هاطلٌ ودماء[3]. |

كما أن السلطنة السلجوقية تخوفت من هذا الجيش فسعى السلطان مسعود إلى عزل الخليفة ومبايعة أخيه المقتفي[4]، مما دعا المستَرشِد إلى التفكير في الخـروج إليه وتأديبه، وقد شجعه على ذلك قدوم عدد من الأمراء الأتراك، ومناصرتهم لـه، وحثه على محاربته؛ فخرج الخليفة المستَرشِد على رأس جيشه المكون مـن سـبعة

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 283؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص147؛ الذهبي، سير،جـ19، ص568.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 282.

(3) حيص بيص، ديوان، جـ3، ص 28-29.

(4) البنداري، تاريخ،ص161؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص293؛ الحـسيني، أخبـار، ص107.

ألاف فارس، وأبقى في عاصمته بغداد ثلاثة ألاف مع قائده إقبال الخادم[1]، وكان جيش الخليفة يفوق جيش السلطان مسعود، لكن الأمراء الأتراك مالوا إلى جانب السلطان مسعود فهزم جيش الخليفة وأسر الخليفة، وتم الصلح بين الطرفين، وتعهد الخليفة بعدم العودة إلى جمع العساكر وتدوينهم، وأن لا يتدخل في حرب أو فتنة تقع[2].

### 6.2: القضاء:

اهتمت الدولة العباسية بالقضاء والقضاة، فقد كان الخلفاء أنفسهم يعينون القضاة ويشرفون عليهم بشكل مباشر، واستمر ذلك في خلافة الخليفة المسترشد، الذي أظهر اهتماماً واضحاً بهذا الجهاز لما له من دورٍ كبيرٍ في حماية المجتمع.

أبقى المسترشد عند توليه الخلافة قاضي القضاة أبا الحسن علي بن محمد الدامغاني[3] على منصبه، وتولى الدامغاني أخذ البيعة للمسترشد بصفته قاضي القضاء ونائب الوزير [4]، وعرفَ عن هذا القاضي معرفته بالقضاء والفقه؛ إذ

---

(1) ابن الجوزي،المنتظم، جـ17،ص294؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص281-282؛ إقبال، تاريخ،ص 298؛ السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي(132-656هـ/749-1258م)، جامعة الموصل، الموصل 1988م، ص 292، سيشار إليه تالياً السامرائي.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ ابن العبري، تاريخ مختصر،ص204.

(3) هو علي بن الحسين بن محمد بن علي الزينبي، أبو القاسم الأكمل، ولد سنة 470هـ/1078م، وسمع من علماء عصره، كان قريباً من الخليفة المسترشد، وولاه قاضي القضاة سنة 513هـ/1120 وبقى كذلك حتى وفاة المسترشد سنة 529هـ/1135م، وبعد مقتل المسترشد كان مؤيداً لخلع الراشد، وبايع المقتفي الذي أعاده إلى منصبه وبقى يتوله حتى وفاته سنة 543هـ. انظر ابن الجوزي، المنتظم، جـ18،ص 68-69 ؛ ابن تغري بردي، يوسف(ت874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة جـ5، ص282.سيشار إليه تالياً ابن تغري بردي، النجوم .

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 162؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص81؛ الكازروني، المختصر، 223؛ الذهبي، سير، جـ19، ص 81-82.

تولى القضاء لمدة تزيد على ستة عشر عاماً[1]، وفي خلافة المستَرشِد بقي قاضي للقضاة حتى وفاته سنة 513هـ/1120[2]وعين المستَرشِد بعده أبا القاسم علي بن الحسين الزينبي(ت543هـ/1149هـ) [3]، ولقبه فخر الدين، وجعله قاضي القضاة شرقاً وغرباً[4]، وكان الزينبي قريباً من الخليفة، فكان في من أشرف على تسليم الأمير أبي الحسن علي بعد القضاء على حركته سنة 513هـ/1112م[5]، وشارك في حروب المستَرشِد ضد السلاجقة، فكان معه في حربه ضد السلطان مسعود سنة 529هـ /1135م وأسر في من أسر مع الخليفة [6]، وكان قاضي القضاة يشرف على الأوقاف؛ ففي سنة 523هـ/1130م، أوكل إليه الإشراف على أوقاف مدرسة أبي حنيفة ببغداد، والتي كانت تغل كل سنة ثمانين ألف دينار، ينفق على المدرسة ألف دينار، ويرسل الباقي إلى السلطان [7].

انحصر دور الخليفة العباسي في ظل السيطرة السلجوقية على تعيين قضاة بغداد والمناطق التابعة لها، أما قضاة الولايات والمدن الأخرى فكان يعينهم السلطان السلجوقي ونوابه فيها؛ فقد ذكر ابن الجوزي أن السلطان محمود قد خلع على قاضي القضاة أبي سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي(ت518هـ)، ونفذ أمره في

---

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص81-82.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 175-179؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص 189؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8،ص81-82؛ الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/) الإشارة إلى وفيات الأعيان، تحقيق إبراهيم صالح، ط1، دار ابن الأثير، بيروت (د.ت)، ص 261، سيشار إليه تالياً، الذهبي، الإشارة؛ القرشي، الجواهر،جـ1، ص373-374.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 171؛ الكازروني، المختصر، 223؛ الذهبي، سير، جـ19،ص 566 ؛ ابن كثير، البداية،جـ11،ص229.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص 210.

(5) المصدر نفسه، ص210.

(6) الأصفهاني، زبدة، ص204؛ 2؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص293-294؛ ابن الأثير، التاريخ، ص49-50؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 282؛ القلانسي، ذيل، ص237-238؛ الكازروني، المختصر،ص221.

(7) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص 13.

القضاء بجميع الممالك سوى العراق مراعاة لقاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لما يعلم من ميل المستَرشِد إليه [1].

ويمكن إجمال القضاة الذين تولّوا قضاء بغداد والمناطق التابعة لها في خلافة المستَرشِد كما في الجدول الآتي:

قضاة بغداد والمناطق التابعة لها في خلافة المستَرشِد

| القاضي | المنطقة التي تولاها | المصدر |
|---|---|---|
| الحسن بن إبراهيم الفارقي | عزل عن قضاء واسط سنة 513هـ/1119م | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص172؛ سبط ابن الجوزي،مرآة،ق1،جـ8،ص78-79 |
| علي بن أحمد البخاري | تولى قضاء واسط سنة 513هـ | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص172؛ سبط ابن الجوزي،مرآة،ق1،جـ8،ص78-79. |
| إبراهيم بن محمد الهيتي(ت537هـ) | نائب قاضي القضاة ببغداد | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص197،جـ18،ص28. |
| عبدالله بن محمد بن | بغداد | ابن الجوزي، |

[1] ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص193؛الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص286-287، وهو القاضي محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروى، تفقه على علماء عصره، قال عنه سبط ابن الجوزي: كان له اليد الباسطة في النثر والنظم،حديد الخاطر، سريع الفهم، تولى قاضي القضاة في الدولة السلجوقية، قتلته الباطنية سنة 518هـ وهو في طريق عودته إلى بغداد من خراسان حاملاً معه جواب السلطان سنجر على رسالة الخليفة المستَرشِد. نظر القلانسي، ذيل ،ص210؛ ابن سبط ابن الجوزي، مرآة،ق1،جـ8، ص515؛ ابن قضي شهبة، الكواكب، ص91.

| | | |
|---|---|---|
| البيضاوي (ت537هـ) | | المنتظم،جـ17،ص204،جـ18،ص29. |
| أبو الفرج | قضاء باب الأزج ببغداد | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص218. |
| عبدالله بن محمد بن علي الدامغاني(ت518هـ) | قضاء ربع الكرخ ببغداد | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص226. |
| ابن يعيش | باب الأزج بغداد والنظر في الوقوف والتركات والتّرب | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص276. |
| أحمد بن سلامة بن عبيدالله الرطبي الكرخي(ت527هـ) | باب الحريم والحسبة ببغداد | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص277، ابن الأثير، الكامل،جـ9،ص272. |
| محمد بن الحسن بن كردي(ت518هـ) | قضاء بعقوبا | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص227. |
| فضل الله بن محمد بن عبد العزيز(ت534هـ) | قاضي العراق | ابن الجوزي، المنتظم،جـ18،ص 7. |
| أحمد بن علي بن محمد الدامغاني(ت540هـ) | الجانب الغربي وباب الأزج ببغداد | ابن الجوزي، المنتظم،جـ18،ص45-46. |
| محمد بن احمد بن محمد الكرخي(ت556هـ) | باب الأزج، وواسط، وقضاء الحريم | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص249، جـ18، ص 151. |

زمن المستظهر
والمسترشد،
والراشد
والمقتفي

بالإضافة إلى أعمالهم الاعتيادية في القضاء، تولى القضاة زمن المسترشد تنفيذ مهام سياسية، ومن ذلك أن الخليفة أرسل القاضي أبا منصور إبراهيم الهيتي نائب قاضي القضاة إلى السلطان محمود سنة 515هـ/1122م يطلب منه إبعاد دبيس بن صدقة عن بغداد[1]، وأرسل القاضي أبا العباس ابن الرطبي سنة 516هـ/1123م لمعرفة أحوال المناطق التي تعرضت لفيضان نهر دجلة في بغداد وتقدير ما تحتاجه من مساعدات[2]، كما أمر الخليفة القاضي أبا الفرج قاضي باب الأزج بجمع الأموال التي تلزم لبناء سور بغداد سنة 517هـ/1124م إلا أن الناس ضجوا من هذا الإجراء فأعاد الخليفة الأموال إلى أصحابها[3]، وفي سنة 519هـ/1126م حمل القاضي أبو سعد محمد الهروي رسالة من الخليفة إلى السلطان سنجر [4] كما كان القاضي محمد بن أحمد الكرخي هو من حكم بفسخ ولاية الراشد سنة 530هـ/1136م[5].

**7.2: نقابات الأشراف**

اعتباراً من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ظهرت في الدولة العباسية مؤسسات اجتماعية إدارية خاصة بالأشراف من بني هاشم، تولت صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافؤهم في النسب[6] عرفت هذه المؤسسات

(1) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص197.
(2) المصدر نفسه، جـ17،ص203.
(3) المصدر نفسه، جـ17،ص217-218.
(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 234.
(5) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص312.
(6) عقلة، الخلافة، ص135-136.

باسم نقابة الأشراف، لكنها ومع مرور الزمن انقسمت هذه النقابة إلى نقابتين الأولى للعباسيين والثانية للعلويين .

### 1.7.2 - **نقابة العباسيين**

يرأسها نقيب يسمى نقيب العباسيين ونقيب الهاشميين ونقيب النقباء[1]، ومن مهامه الإشراف على سيرة الأشراف العباسيين، والتأكد من حسن سيرتهم وسمعتهم، وهو المسؤول عن إيقاع العقاب على من انحرف منهم عن جادة الصواب وإقامة الحدود على منتهكي الحدود من العباسيين وحماية أنسابهم وحفظ سجلات خاصة بهم خوفاً من محاولات الادعاء الانتساب إلى هذا النسب لما له من ميزات اجتماعية واقتصادية[2]

تولى نقابة العباسيين في خلافة المسترشِد علي بن طراد بن محمد بن علي الزينبي، والذي خلع عليه المسترشِد ولقبه الرضا ذا الفخرين، وبقى يترأسها إلى أن استوزره المسترشِد سنة 523هـ/1130م، فتولاها بعده أخوه أبو الحسن محمد بن طراد الزينبي[3]، واستمر يترأسها حتى وفاته سنة541هـ/1147م[4].

كان نقيب العباسيين علي بن طراد من الشخصيات الهامة في حكومة المسترشِد ففي بداية خلافته ناب في الوزارة ولفترات طويلة وأثناءها، فأرسله الخليفة إلى السلاطين والولاة[5] ففي سنة 516هـ/1123م طلب المسترشِد من النقيب ابن طراد استدعاء الوزير أبو نصر أحمد بن نظام الملك إلى مقام الخليفة حيث خلع عليه بالوزارة [6].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص166.

(2) عقلة، الخلافة، ص136-137.

(3) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص250؛ الذهبي، سير، جـ20، ص149-151.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص 53.

(5) انظر نائب الوزير سابقاً

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص206.

## 2.7.2- نقابة الطالبيين

يرأسها شخص يعرف بنقيب الطالبيين والعلويين يعين بعهد من الخليفة يحدد فيه مهامه واختصاصاته[1]، تشعبت مهام نقابة العباسيين إلى حد بعيد وتتمثـل فـي الإشراف على نسب الطالبيين، والتأكد من حسن سيرتهم وسمعتهم، ومعاقبـة مـن ينحرف منهم عن جادة الصواب وإقامة الحدود وحماية أنسابهم والإشـراف علـى زيجاتهم وغير ذلك من شؤونهم[2] وتولى هذه النقابة في خلافة المـستَرشِد النقيـب الطاهر أبو عبدالله بن عبيدالله [3].

---

(1) عقلة، الخلافة، ص138.

(2) المرجع نفسه، ص138-139.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص 120.

## الفصل الثالث

## المسترشد والسلاجقة(512-529هـ/1119-1135م)

### 1.3 : نشأة السلاجقة وعلاقتهم بالخلافة العباسية حتى سنة 447هـ/1056م

ترجع قبيلة السلاجقة[1] في أصولها العرقية إلى قبائل الغز التركمانية التـي كانت تقطن مناطق تركستان في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، [2] وينسب السلاجقة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن يقاق، ويقاق هذا كـان أحـد أمـراء ملـك تركستان بيغو[3]، وهو أول من اعتنق الإسلام من السلاجقة. وبعد وفاته تولى ابنـه سلجوق قيادة قبائل الغز، والذي بلغ مرتبة إمارة الجيش في عهد الملك بيغو، ولقب بيوساشي ( قائد الجيش). هاجرت قبائل الغز من موطنها الأصلي في تركستان إلى بلاد ما وراء النهر بسبب كثرة أعدادها، وازدحام مناطق سكناها الأصلية، وضـيق مراعيها، وحدوث نزاع بين الملك بيغو وقائدها سلجوق [4]. وقادت قبيلة الـسلاجقة هجرات قبائل الغز التركية، وسكنت مناطق نور بخارا[5] في بلاد ما وراء النهـر، التابعة آنذاك للدولة السامانيه.

---

(1) عن السلاجقة أنظر: EI[2], Saldjukids, VIII pp 936-979
Holt,P.M,and others
The Cambridge History of Islam, Cambridge university press Londan1970,pp141-149

(2) ابن العبري، تاريخ زمـان، ص 87؛ الحـسيني، العراضـة، ص 20؛ إقبـال، تـاريخ، ص 277.

(3) الحسيني، أخبار، ص1-2؛ ابن خلكان، وفيات، جـ5، ص64.

(4) الراوندي، راحة، ص145، الحسيني، أخبار، ص2، الحسيني، زبدة، ص23؛ ابن خلكـان، وفيات، جـ4،ص63-64؛ المقريزي، احمد بن علي (ت845هـ) السلوك لمعرفـة دول الملوك،تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط2، مطبعة لجنـة التـأليف والترجمـة والنـشر، القاهرة1956م، جـ1، ق1، ص30-31، سيشار إليه تالياً: المقريزي، السلوك.

(5) أحدى قرى مدينة بخارى عنـد جبـل مرتفـع، انظـر الحمـوي، يـاقوت بـن عبـدالله (622هـ/1226م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنـشر، دار بيـروت للطباعـة والنشر، بيروت1979، جـ5، ص310، سيشار إليه تالياً: الحموي، معجم البلدان

سمح السامانيون لقبائل الغز الإقامة في دولتهم نظراً للتقارب المذهبي بينهم باعتبارهم مسلمين من أهل السنّة، ولتعهدهم بمساعدتهم في الدفاع عن أرضهم ضد غارات القبائل التركية الوثنية [1]. واعتباراً من سنة 375هـ/985م بدأت هذه القبائل استيطانها المنظم في موطنها الجديد، فسكنت في البداية مدينة جنْد[2] على مقربة من نهر سيحون، لكنهم تركوها وهاجروا إلى مدينة بخارا؛ لخصوبة أراضيها، ومراعيها الواسعة، المناسبة لظروف معيشتهم لاعتمادهم على الزراعة والرعي[3].

تولى الأمير أرسلان بيغو(إسرائيل) بن سلجوق زعامة السلاجقة بعد وفاة والده سلجوق، وسار على نهجه في محاربة القبائل التركية الوثنية بالتحالف مع السامانيين، وفي عهده بدأ احتكاك قبيلة السلاجقة مع الدولة الغزنوية، إذ تمكن السلطان محمود الغزنوي(389-421هـ/999-1031م) من خديعة إسرائيل وأسره وحبسه في قلعة كالنجر في الهند، ليبقى فيها حتى وفاته سنة 422هـ/1032م[4] فانتقلت زعامة السلاجقة إلى أخيه ميكائيل، وبعده إلى ولديه طُغْرلبك وجغري بك داود[5] وبخاصة الأمير طُغْرلبك [6]، والذي لم يظهر عداءه للغزنويين، وإنما طلب منهم السماح لقبائل الغز بالعبور إلى خراسان والاستيطان فيها بحجة أن بلادهم لم

(1) الحسيني، أخبار، ص2؛ الحسني، العراضة، ص31-32.

(2) اسم مدينة في بلاد تركستان بينها وبين خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك مما وراء نهر سيحون، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص169.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص174؛ الروائدي، راحة، ص 145-146؛ الحسيني، أخبار، ص2؛ ابن خلكان، وفيات، جـ5، ص64؛ الحسيني، العراضة، ص 20؛ الجميلي، تاريخ، ص29.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص174؛ الحسيني، أخبار، ص2، الراوندي، راحة، ص146.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص174؛ الحسيني، زبدة، ص 35-36؛ الراوندي، راحة، ص 153-154؛ 20؛ المقريزي، السلوك، جـ1،ق1، ص31.

(6) الحسيني، أخبار، ص4؛ الجميلي، تاريخ، ص 31.

تعد تتسع لمواشيهم فأذن لهم[1] فهاجروا إليها واستطاعوا تثبيـت وجـودهم فيهـا مستغلين وفاة السلطان محمود الغزنوي سنة 421هـ ـ/1031م وانـشغال خليفتـه السلطان مسعود الغزنوي(421-433هـ/1031-1041م) في حروبه مـع شـقيقه محمد، وتراخي قبضة الدولة الغزنوية على مناطق خراسان[2].

أدركت الدولة الغزنوية خطورة وجود قبائل الغز وسيطرتهم على خراسان، فسعت إلى القضاء عليهم، إذ أرسل الـسلطان مـسعود(421-433هـ ـ/1030-1041م) جيشه لمعاونة حاكم خراسان في محاربتهم، والتحم الجيش الغزنوي مـع قبائل الغز في سنة 425هـ/1034م في معركة كبيرة، انتصرت فيها قبائل الغـز، فاضطر السلطان مسعود إلى عقد صلح معهم، منح بموجبه ولاية دهـستان[3] إلـى الأمير جغري بك، ولاية فراوة[4]، إلى الأمير بيغو، ولايـة نـسا[5] إلـى الأميـر طُغْرلبك[6].

وتجدد الصراع بين الطرفين بعد عودة السلطان مسعود من حروبه في الهند، وتبادل الطرفان النصر والهزيمة فـي الفتـرة (425-429هـ ـ/1034-1038م) لتنتهي هذه المرحلة بهزيمة ساحقة مني بها الغزنويون على يد قبائل الغز بزعامـة السلاجقة في معركة داندنقان سنة 429هـ/1038م، سيطرت على أثرها قبائل الغز

---

(1) الحسيني، أخبـار، ص 3؛ الراونـدي، راحـة، ص153-154؛ ابـن خلكـان وفيـات، جـ 5، ص63.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص188-190؛ الحسيني، أخبـار، ص3؛ الراونـدي، راحـة، ص154-155.ابن خلكان، وفيات، جـ 5، ص65.

(3) بلد مشهور في طرف مازندارن قرب خوارزم وجرجان، انظر الحموي، معجـم البلـدان، جـ2، ص492.

(4) بليدة من أعمال نسا بينها وبين دهستان وخوارزم ، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ ـ4، ص245.

(5) مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبينها وبين مرو خمسة أيام ، انظـر الحمـوي، معجم البلدان، جـ2، ص169.

(6) الحسيني، أخبار، ص5؛ الراوندي، راحة، ص156.

على خراسان وعاصمتها نيسابور[1]، وأعلن السلطان طُغْرلبك نفسه حاكماً عليهـا وخطب باسمه[2]، وتعد سنة 429هـ/1038م البداية الفعلية للدولة السلجوقية فقد خطب لجغري بك داود في مدينة مرو[3]، في أول جمعة من شهر رجب سنة 428هـ/1037م. وخطب لطُغْرلبك في مدينة نيسابور في شهر ذي القعدة سنة 429هـ/1038م، وضربت النقود باسمه في البلاد التي أتم السلاجقة السيطرة عليها[4].

أخذت الدولة السلجوقية في التوسع والسيطرة على المناطق المجاورة لخراسان، واعتمد السلاجقة في حكمهم للبلاد المفتوحة على أفراد البيت السلجوقي، بهدف ترسيخ نفوذ عائلتهم في مواجهة الجماعات الغزنوية والتركمانية الأخرى[5]، وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون بينهم وتجنب النزاع على السلطة، واعتبار السلطان طُغْرلبك(429-455هـ/1038-1064م) قائدهم الأعلى. قام السلطان طُغْرلبك على أثر ذلك بتقسيم البلاد بين أفراد البيت السلجوقي، وترك لكل منهم السلطة الكاملة على ما بيده من بلاد وما يفتحه من البلاد المجاورة، فولى أخاه جغري بك داود معظم مناطق خراسان، الذي اتخذ مدينة مرو عاصمة له، وولى عمه موسى بيغو ولايتي بست[6]

(1) مدينة عظيمة ما بين جيحون والقادسية وبينها وبين الري مائة وستون فرسخاً ، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص331.

(2) الفارقي، تاريخ، ص159؛ البنداري، تاريخ، ص 6؛ ابن خلكان، وفيات، جـ5، ص66.

(3) من مدن خراسان وقصبتها، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص115.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8،ص 226-227؛ الحسيني، أخبار، ص ص7-9؛ ابن خلكان،الوفيات، جـ5، ص66؛ البنداري، تاريخ، ص 7-9؛ الحسيني، العراضة، ص32-34؛ اليافعي، عبدالله بن أسعد(ت768هـ/1367م) مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م، جـ3،ص59 سيشار إليه تالياً، اليافعي، مرآة ؛ المقريزي، السلوك، جـ1،ق1، ص32؛ .

(5) الحسيني، أخبار، ص7-9.

(6) مدينة تقع بين سجستان وهرات ، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ1، ص414-415.

وهرات[1] ومنطقة سجستان[2]، ومنح قتلمش بن إسرائيل جرجـان[3] والـدامغاني، وولى شقيقه من أمه إبراهيم ينال مناطق قهستان وجرجان، وركز السلطان طُغْرلبك جهوده في فتح مناطق العراق أرمينية وأذربيجان والموصل وغيرها مـن منـاطق الدولة العباسية [4].

توالت فتوحات السلاجقة وانتصاراتهم، فاستولى طُغْرلبك على طبرستان سنة 433هـ/1041م[5]، وضم خوارزم والري واتخـذ الأخيـرة عاصـمة لـه سـنة 434هـ/1042م[6] واستولى على بلاد فارس سنة 435هـ/1044م[7]، وسـيطر إبراهيم ينال على همدان سنة 437هـ/1046م[8] وفي سـنة 443هـ/1052م. استولى طُغْرلبك على أصفهان بعد هزيمة صاحبها أبي منصور علاء الدولـة بـن كاكويه منهياً بذلك حكم أسرة آل كاكويه الفارسية لهمذان وأصفهان[9].

وجه السلاجقة جهودهم بعد ذلك للقضاء على البـويهيين، فـسار الـسلطان طُغْرلبك إلى أذربيجان وقصد مدينة تبريز، وأطاعه صاحبها الأمير أبو منـصور

---

(1) هرات أو هراة مدينة عظيمة من أمهات المدن بخراسان: انظر الحموي، معجـم البلـدان، جـ5، ص396-397.

(2) ناحية كبيرة وولاية واسعة بينها وبين هرات عشرة أيام، أو ثمانون فرسخاً، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ3، ص190.

(3) مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان ، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص119.

(4) الحسيني، أخبار،ص 17؛ البنداري، تاريخ، ص 8-9؛ الراوندي، راحة، ص 167-168؛ الحسيني، العراضة، ص37.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص274؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص250.

(6) الفارقي، تاريخ، ص155؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، جــ8، ص286؛ إقبـال، تـاريخ، ص 231.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، 266.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، ص302؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص270.

(9) الفارقي، تاريخ، ص155؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص293؛ ابـن حمـدون، التـذكرة، ص149؛ ابـن العبـري، تـاريخ مختـصر، ص184-185؛ ابـن خلكـان، وفيـات، جـ5، ص64. أنظر الملحق: رقم(و)، ص208-209.

وخُطب له على منابرها سنة 446هـ/1054م وخُطب له في الأنبار بالعراق واستولى الأمير السلجوقي إبراهيم بن اسحق على مدينة الدسكرة في سنة 447هـ/1056م وضم مناطق خوزستان [1].

استطاعت السلطنة السلجوقية بعد الإعلان عن تأسيسها سنة 429هـ/1038م الاستيلاء على جميع البلاد الإيرانية، والمجاورة لمناطق الخلافة العباسية التي كانت في ذلك الوقت تعيش حالة من الضعف في عهد الخليفة القائم بأمر الله (422-467هـ/1032-1075م)[2]. ولم يكن نفوذ القائم والذي يفترض أنه يشمل الكيانات السياسية في كل دار الإسلام في واقعه إلا نفوذاً شكلياً اقتصر على دار الخلافة ببغداد، وكانت أموره جميعها بيد أحد غلمان بهاء الدولة الديلمي، وهو أبو الحارث ارسلان البساسيري رئيس الجند الأتراك، إذ لم يكن الخليفة القائم يقطع أمراً دونه، وتراجع نفوذ الخليفة في مقابل نفوذ البساسيري وجنوده[3].

لذا كانت الدولة العباسية بحاجة ماسة إلى قوة إسلامية جديدة تعتمد عليها في إعادة هيبة الخلافة، فبادرت إلى الاتصال بالسلاجقة، بعد انتصارهم في معركة داندنقان سنة 429هـ/1038م ودخولهم مدينة نيسابور، فقد أرسل إليهم الخليفة القائم (422-467هـ/1032-1075م) رسالة يأمرهم فيها ويخوفهم ويذكرهم بالله، ويحملهم على رعاية عباده، وعمارة بلاده[4]، وفي الوقت نفسه كان السلاجقة

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص188؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 15، ص344؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص316-319؛ إقبال، تاريخ، ص 234-236؛ الجالودي، تطور،ص31.

(2) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص399؛ الكازروني، مختصر، ص203-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص199؛ القرماني، أخبار، ص171-173.

(3) الكازروني، مختصر؛ ص205؛. القلانسي، ذيل، ص 87؛ القرماني، أخبار، ص172؛ البساسيري: مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة، تقدم في الدولة العباسية حتى بلغ مرتبة قائد الجند الأتراك ببغداد، واسمه ارسلان وكنيته أبو الحرث وهو منسوب إلى مدينة نسا ببلاد فارس، ابن لأثير، الكامل، جـ8، ص347-348

(4) البنداري، تاريخ، ص 7؛ الجالودي، تطور،ص32؛ وهيبي، أديل سليمان محمود،، مدينة الري، في العصر السلجوقي،(434-590هـ/1042-1193م) رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية 2004م ، ص69، سيشار إليه تالياً وهيبي، الري.

بحاجة إلى تكوين علاقة مع الخلافة العباسية والاتصال بها والذي عده الـسلاجقة بمثابة اعتراف رسمي من الخلافة بدولتهم الفتية، فقد رحبوا برسول الخليفة أبي بكر الطوسي، وخلعوا عليه ثلاث عشرة خلعة وتباهى السلاجقة برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة[1]، واعتبر طُغْرلبك رسالة الخليفة اعترافاً به حاكماً على خراسـان ورئيساً للسلاجقة، وأخذَ يتقرب من الخليفة وأظهر نفسه حريـصاً علـى مـصالح المسلمين، فقد نهى شقيقه داود عن نهب مدينة نيسابور محتجاً برسالة الخليفة [2].

جاء رد السلاجقة على رسالة الخليفة القـائم سـريعاً ومتعـدداً، إذ أرسـل السلطان طُغْرلبك رسالة باسمه أظهر فيها تبعيته للخلافة وسعيه لنيل رضى الخليفة عن أعماله بدأها بقوله:" عبدكم وتبعكم طُغْرلبك..."، وأرسل الأمير قزل بن يحيـى زوج شقيقة طُغْرلبك كتاباً إلى الخليفة استهله بالقول:" عبدكم ووزيركم قـزل بـن يحيى..." [3]، وفي رسالة ثالثة والتي تبدو وكأنها صادرة باسم السلطنة الـسلجوقية برر فيها مرسلها قيام الدولة السلجوقية ومحاربة الغزنويين والتأكيد على تبعيتهـا للخلافة العباسية، وإظهار حرصها على إرضاء الخليفة عن طريق التمسك بأهداف الدين الإسلامي، وتنفيذ أوامره، وربط دفاعها بمبادئ الإسلام وعدله، والحديث عن مساوئ الغزنويين، وظلمهم للبلاد والعباد، وأحقية السلاجقة في حكم الـبلاد بـدلا منهم... [4]، :" وأنهم لما وجدوا ابن يمين الدولة مائلاً عن الخير والسمو، مـشتغلاً بالشر والعتو، غاروا للمسلمين والبلاد، وهم عبيد أمير المؤمنين في حفـظ الـبلاد

---

(1) البنداري، تاريخ، ص 7؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص90.

(2) ابن العمراني، الإنبـاء، ص 186؛ البنـداري، تـاريخ، ص7؛ ابـن العبـري، تـاريخ زمان،ص90؛ بيات، فاضـل مهـدي، "علاقـة الـسلاجقة بالخلافـة العباسـية 429-447هـ/1038-1055م"، مجلـة آداب المستنـصرية، العـدد التاسـع 1984م، ، ص 258سيشار إليه تالياً بيات، "علاقة"

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 90.

(4) الراوندي، راحة، ص 166-167.

والعباد، وقد سنّو سنّة العدل، وأسنوا سنا الفضل، وأبطلوا مراسم العسف وعطلـوا مراسم مواسم الحيف"[1].

استمر السلاجقة في إرسال الرسائل إلى الخلافة العباسية، وينفرد ابن العبري بإيراد رسالتين من هذه الرسائل كانت الأولى من إبراهيم ينال[2]، شقيق الـسلطان طُغْرلبك، وأحد قادته إلى الخليفة القائم، مفادها أن السلطان طُغْرلبك بعد أن انتهـى من السيطرة على خراسان وخوارزم، قد عقد العزم على التوجه إلى بغداد بجيـشه لتأمين طريق الحج مما يفعله البدو، وطلب من الخليفة ضرورة الاستعداد لاسـتقبال هذا الجيش [3]، وكانت الرسالة الثانية من السلطان طُغْرلبك إلى الخليفة بعـث بهـا سنة 435هـ/1044م يطلب فيها الحصول على أكثر ممـا كـان يحـصل عليـه السلاطنين محمود ومسعود الغزنويين من امتيازات وقال فيها":إني خادم لإمام الدولة العربية وقد أذعتُ المناداة باسم الخليفة في البلاد التي ملكتها، وأنقذتُ النـاس مـن مظالم السلطان محمود والسلطان مسعود اللذين سبقاني ولستُ أضعف منهما، فقـد كانا هما من عبيد الخليفة، ثم استبدا بالسلطنة، أما أنا فإني حر من عتـرة الملـوك الهونيين، فإذا عزرتموني مثلهما، أصبحت أفضل منهما بطاعتي وتقادمي .... "[4].

كما اهتم السلاجقة برسول الخليفة؛ إذ أظهر احتراما كبيراً له ولقيه طُغْرلبك على بعد أربعة فراسخ[5] إجلالاً لرسالة الخليفة، وكان السلطان طُغْرلبك يدرك مـا

---

(1) البنداري، تاريخ، ص ص7-8.

(2) هو شقيق السلطان طُغْرلبك، كان ينافس السلطان طُغْرلبك منذ أن تولى طُغْرلبـك زعامـة السلاجقة سنة429هـ/ 1038م، وثار عليه سنة 437هـ/1046م، فهزمه طُغْرلبك، ثـم عاد ينال، وأعلن تمرده على السلطان سنة 448هـ/1056م، فتـرك الـسلطان العـراق وتوجه إلى همدان، وهزم ينال وقتله سنة 451هـ/1060م، انظر: ابن الأثيـر، الكامـل، جـ8، ص341؛ الحسيني، أخبار، ص 22؛ الحسيني، العراضـة، ص44؛ الحـسيني، زبدة، ص64.

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 92.

(4) المصدر نفسه، ص 92.

(5) الفرسخ: يتألف من ثلاثة أميال، كل ميل 1000باع، وكل باع أربعة أذرع شـرعية، أي أن طول الفرسخ كان حوالي 6كم، انظر هنتس، ڤالتر، المكاييـل والأوزان الإسـلامية ومـا

قصده الخليفة من إرسال شخصية كبيرة كالماوردي سفيراً إليهم والذي عـده دلـيلاً على الأهمية التي يعلقها الخليفة على العلاقة بين الطرفين[1].

على أن روايات المؤرخين قد تباينت حول رد الخليفة على رسائل السلاجقة فيذكر الراوندي: أن الخليفة أرسل هبة الله بن محمد المأمون إلى السلطان طُغْرلبك، وأمره بالتقرب من السلطان حتى يحضره إلى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره، لكن هبة الله أقام عند السلطان ثلاث سـنيين لانـشغال الـسلطان بفـتح النـواحي والولايات [2]، في حين ذكر ابن الأثير وابن خلكان واليافعي أن الخليفـة أرسـل قاضي القضاة الماوردي[3] إلى السلطان طُغْرلبك سنة 435هـ/1044م قبيل وفـاة جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة ملك البويهين ببغداد، وأمر الخليفة الـسلطان طُغْرلبك أن يقرر الصلح بين الملك جلال الدولة وأبي كاليجار[4]، أما ابن العبـري فيورد رسالة حملها الماوردي سنة 436هـ/1045م تبدو وكأنها رد على رسـالة طُغْرلبك سالفة الذكر -والتي إنفرد ابن العبري بنشرها- وتضمنت رسالة الخليفـة أربعة أمور يجب على طُغْرلبك تنفيذها حتى يحصل على الاعتراف الرسمي مـن الخليفة والخلع، وهي:

1- أن أمير المؤمنين يقول لك: تكفيك أيها الأمير طُغْرلبك ما احتللته مـن البلاد، فلا تطمعن بسائر بلاد ملوك العرب ولا تُؤْذِينهم.

---

يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية: كمال العسلي، ط2، منشورات الجامعـة الأردنية ، عمان(د، ت)، ص 94، سيشار إليه تالياً هنتس، المكاييل.

(1) بيات، علاقة، ص 262.

(2) الراوندي، راحة، ص 168-169.

(3) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري، كان من وجوه فقهاء الشافعية، وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه، تولى القضاء ببلدان كثيـرة، تـوفى سـنة 450هـ/1059م، انظر: البغدادي، تاريخ، جـ12، ص102 ؛ابن الجـوزي، المنـتظم، جـ16، ص41 ؛ ابن خلكان، وفيات، ج3، ص282..

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 266؛ا بن خلكان ، وفيـات، جـ 5، ص 66؛ اليـافعي، مرآة، جـ3، ص59.

2- أن تطِيعنا وتحلف لنا شرعاً بأنك إن خالفت أمرنا لزمك أن تطلّق نساءك وتعتق عبيدك وتزكي أموالك كلّها.

3- أن تلزم العدل وتحجم عن الظلم، ولا تولّ الظلاّم شؤون أبناء الرعية.

4- أن تبعث كل سنة بجزية البلاد التي اغتصبتها كعادة من سبقك، فإذا نفذت ذلك عززناك بتحفٍ، وألقابٍ كريمةٍ، وأصبحت سلطنتك شرعية منزهة عن الظلم والغدر.

ويضيف ابن العبري أن السلطان أجاب على هذا المطالب بالقول " إن جنودي كثيرون لا تكفيهم هذه البلاد، فقال السفير- الماوردي- لأنك خربتها، فلو ملكت الأرض كلّها وأخربتها لما كفتك وكفت شعبك.

وقال مجيباً على الطلب الثاني: أن هذه النوع من الحلف يكاد يجهله العلماء فكيف يتيسر لي التوقّي في تصرفاتي الأمور الزهيدة، فقال السفير: حسبك أن تعرب بكل قلبك عن طاعتك وتلزم العدل فلن تزلّ.

وعن الطلب الثالث قال: أنني أفرغ الجهد قدر طاقتي في أن ألزم العدل في حكمي، ولكن ما حيلتي إذا أذنب أحد الجياع الذين معي؟

وقال رداً على الطلب الرابع: أطلعني على مقدار الجزية، أدفعها إن تيسر، ويعقب ابن العبري على رد السلطان طُغْرلبك بقوله: "على أن الحقيقة هي أن طُغْرلبك لم يقبل مسألة واحدة من المسائل الأربع" [1].

أفضت سفارة الماوردي إلى اعتراف الخلافة بالسلطنة السلجوقية كنظاما سياسياً بالمشرق الإسلامي [2]، كما اطمأن الخليفة القائم(422-467هـ/1032-1075م) إلى طاعة السلطان طُغْرلبك (429-455هـ/1038-1064م) وتعظيمه لأوامره ووقوفه عندها؛ فكثف الخليفة اعتماده على طُغْرلبك وزالت شكوكه نحوه [3]، لكن الخطبة لم تتم لطُغْرلبك على منابر بغداد قبل سنة

(1) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 94-95.

(2) بيات، علاقة، ص 262.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص266.

447هـ/1055م[1] بالرغم مما ذكره الراوندي من أن الخليفة القائم أمر بالخطبة للسلطان طُغْرلبك على منابر بغداد سنة 437هـ/1046م وأن اسمه ينقش على السكة وأنه تلقب بالسلطان ركن الدين أبو طالب محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين[2].

تراجعت العلاقة بين الطرفين في الفترة(436-442هـ/1045-1051م) إذ أن المصادر لم تشر إلى حدوث تبادل للرسائل في هذه الفترة، ولعل ذلك ناتج عن عدم التزام السلطان طُغْرلبك بما طلبه منه الخليفة القائم[3] أو أن ذلك كان ناتج عن تأثير البويهيين على الخلافة العباسية، إذ رأى البويهيون في السلاجقة خطرا على دولتهم وبدأوا في التصدي لهم، فاستطاعوا التأثير على الخليفة القائم لمساندتهم في مواجهة السلاجقة، إذ أرسل الخليفة صاحب المردوستي[4] للمشاركة في التصدي لحملة بويهية ضد لسلاجقة سنة 437هـ/1046م[5] كما أن السلطان طُغْرلبك كان مشغولاً في فتوحاته وحروبه.

---

(1) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص400؛ ابن حمدون، التذكرة، ص156؛ الكازروني، مختصر، ص205؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص348؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص322-323؛ الحسيني، أخبار، ص17؛ النويري، نهاية، جـ23، ص221؛ المقريزي، احمد بن علي(845هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي محمد، القاهرة1971م ، جـ2، ص233؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص339.

(2) الراوندي، راحة، ص169.

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 95؛ الراوندي، راحة، ص128-129؛ اليافعي، مرآة، جـ3، ص33.

(4) هو الحسين بن علي المردوستي(ت478هـ/1085م)، خدم الدولة العباسية في زمن البويهيين وأدرك السلاجقة، وكان صاحب باب النوري. أنظر : ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص 243-244.

(5) ابن الفوطي،عبد الرزاق بن أحمد(723هـ/1324م)، تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، ق4،جـ2،ص1136-1137، سيشار إليه تالياً، ابن الفوطي، تلخيص.

على أن ذلك لم يدم ذلك طويلاً؛ إذ حاول السلطان طُغْرلبك الاتصال بالخلافة العباسية رغبة منه في الحصول على اعتراف رسمي منهـا بـه سـلطاناً شـرعيا للـسلاجقة، فيـذكر ابـن العبـري أن الـسلطان طُغْرلبـك سـأل الخليفـة فـي سنة443هـ/1050م، أن يشّرفه بألقاب ملكية وفي هذه الأثناء كتب أهالي أصفهان للخليفة القائم يتوسلون إليه أن يطلب من السلطان طُغْرلبك فك الحصار عن مدينتهم، والذي دام تسعة أشهر، فرأى الخليفة أن يختبر صدق نوايا طُغْرلبـك فـي تبعيتـهِ للخلافة، فأرسل إليه الماوردي مرة ثانية وحمله رسالة، نعت فيها طُغْرلبك بالملِـك الشرعي وملاذ المسلمين وركن الدين وسأله بشأن أهالي أصفهان وكان السلطان يتوقع مثل هذه النعوت منذ زمن؛ فأرسل إلى الخليفة يشكره لإنعامه عليـه بـالخلع والألقاب وأرسل إليه بعشرة آلاف دينارٍ باسم خزانتـه، وألفـي دينـار باسـم حاشيته[1].

بدأت الخلافة العباسية التفكير جدياً في هذا الوقت فـي الارتبـاط بالدولـة السلجوقية، واكتشف الخليفة القائم (422-467هـ/1032-1075م) تـدريجياً قـوة السلاجقة، وخاصة بعد تغلبهم على الغزنويين وتأسيس دولتهم، فسعى إلى الارتباط بهم والإفادة من قوتهم الناشئة في إعادة هيبة الخلافة العباسية وتخليصها مما تعانيه من أخطار بويهية وفاطمية[2]، فقام بتوجيه دعوة للسلطان طُغْرلبك لزيـارة بغـداد حتى ينعم بالخلع والألقاب، لكن السلطان طُغْرلبك لم يتمكن من تلبية هـذه الـدعوة لانشغاله في تدعيم دولته، الأمر الذي جعل العلاقات بين الطرفين في الفترة(429-443هـ/1038-1052م) لا تتعدى السفراء والرسائل وتوثيق عرى التواصل بينهما حتى ساد جو من الوفاق بينهما[3].

---

(1) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 97.

(2) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص400-401؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ8، ص 300-302؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ق1، ص20؛ أبو النصر، السلاجقة ، ص54-60.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص344-345؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ8، ص302-303؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص94-97،95.

كان الخليفة القائم مضطراً إلى تقديم دعوة للسلطان طُغْرلبك للقدوم إلى بغداد سنة447هـ/1056م إذ تراجعت قوة البويهيين وتراخت قبضتهم على العراق، وأيقن الخليفة أنهم لم يعودوا قادرين على حماية العراق، وضبط أموره، وأن دولتهم شارفت على نهايتها[1]، خاصة بعد تزايد قوة البساسيري وإحكامه سيطرته على العراق، فغدا المتحكم بالعراق ولم يعد للخليفة والملك الرحيم إلا مجرد الاسم، كما قدمه الخليفة على جميع القادة الاتراك: " لم يكن الخليفة يقطع أمراً دونه، ولا يحل ولا يعقد إلا عن رأيه"[2]، إضافة الى تزايد خطره على الخلافة العباسية بعد أن وصلت إلى الخليفة أخباراً تحمل في ثناياها أن البساسيري يراسل الخليفة الفاطمي بمصر ويرغبه في تملك العراق وإنهاء الخلافة العباسية [3]، كما أن علو مكانة البساسيري أثارت حفيظة رجال الدولة العباسية وفي مقدمتهم وزير الخليفة رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن مسلمة (437-450هـ/1046-1059م)، والذي كان يتطلع للتحكم في أمور الدولة دون غيره، فعمل على التخلص من البساسيري بإفساد علاقته مع الخليفة فاتهمه بالاتصال بالفاطميين، وتشجيعهم على مد نفوذهم إلى العراق والمشرق الإسلامي[4]، ونجح ابن مسلمة في تحقيق مأربه، إذ أرسل الخليفة إلى الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيري عن بغداد، مما دفعه إلى الاتصال بالفاطميين، وجعل الخليفة يوجه دعوته إلى السلطان طُغْرلبك[5].

---

(1) الفارقي، تاريخ، ص154؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ط1، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1996م، ص239، سيشار إليه تالياً طقوش، تاريخ

(2) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص400؛ الفارقي، تاريخ، ص155-156؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص348؛ الحسيني، زبدة، ص59؛ المقريزي، اتعاظ، جـ2، ص232-233.

(3) الأربلي، خلاصة، ص265؛ ابن الدقماق، الجوهر، ص156؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ق1، ص 154.

(4) ابن حمدون، التذكرة، ص156؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص344؛ النويري، نهاية، جـ23، ص224.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8،ص322؛ مرتضي، نظمى، كلشن خلفا، نقله إلى العربية، موسى كاظم نورس، المجمع العلمي العراقي، بغداد(د.ت)، ص96-97. سيشار إليه تالياً مرتضى، كلشن خلفا

ترك هذا الصراع السياسي بين رجال الدولة العباسية أثره السيئ على أحوال السكان في بغداد إذ شهدت في هذه الفترة انتشار الفتن المذهبية بين السنة والشيعة كما حدث في سنوات 441هـ/1050م[1]، 443هـ/1052م[2]، 444هـ/1053م[3]، 445هـ/1054م[4]، 447هـ/1056م[5]، وبين الحنابلة والشافعية سنة447هـ/1056م[6]، وبين الجنود الأتراك سنة 446هـ/1055م[7].

كما تزايد النفوذ الفاطمي في العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم(422-467هـ/1032-1075م) ، واستغل دعاته انتشار الفوضى والفتن المذهبية وثورات الجند الأتراك لنشر مذهبهم، فانتشروا في العراق وبلاد فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر وإقليم الديلم، واستجاب له أناس كثيرون [8].

على ضوء هذه الأحداث حاولت الخلافة العباسية مقاومة المد الفاطمي، فقام الخليفة القائم بإعادة إعلان الاعتقاد القادري[9] سنة 433هـ/1041م [10]، وليس هذا فحسب ففي سنة 444هـ/1053م أصدر القائم محضراً تضمن القدح في نسب الفاطميين أصحاب مصر، وأنهم كاذبون في ادعائهم النسب إلى آل البيت، ووقّع

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص319؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص292.

(2) ابن حمدون، التذكرة، ص149.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص335-336؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8،ص 310.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص340؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص312.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص347-348؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص325.

(6) ابن حمدون، التذكرة، ص156؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص325

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص315-316.

(8) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص400-401؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص53-54؛ المقريزي، اتعاظ ، جـ2،ص 232-233.

(9) نسبة إلى الخليفة القادر بالله(381-422هـ/922-1032م) والذي كتب في خلافته سنة402هـ/1012م محضر تضمن القدح في نسب خلفاء مصر العلويين وعدم صحة نسبتهم إلى آل البيت، وشهد عليه القضاة و الفقهاء، ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص73.

(10) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15؛ 279-281؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص310

عليه الفقهاء والقضاة والأشراف والشهود وأُرسلت منه نسخ إلى بلدان الخلافة العباسية [1].

نجحت هذه الدعاية العباسية في تحقيق بعض المكاسب السياسية[2]، لكنها لم تكن كافية للحد من المد الفاطمي في العراق والمشرق الإسلامي، مما جعل الدولة العباسية في الحاجة ماسةٍ إلى قوة سنّية جديدة تساعدها في الوقوف في وجه هذا المد الشيعي[3]، فلجأ الخليفة القائم إلى السلاجقة ووجه الدعوة إلى السلطان طُغْرلبك للقدوم الى بغداد[4]، فأحسن السلطان طُغْرلبك استغلال هذه الدعوة؛ فبعد أن اطمأن إلى توطين أركان دولته في إيران والعراق توجه إلى بغداد متظاهراً برغبته في الحج وتأمين طريقة، ومحاربة الفاطميين والقضاء على دولتهم في الشام ومصر[5]، ودخل بغداد وخُطب له فيها سنة 447هـ/1056م[6].

بدأ السلطان طُغْرلبك بعد دخوله بغداد يعمل من أجل القضاء على ثورة البساسيري الذي فر من بغداد عندما علم بخبر تحرك السلطان نحوها، حيث اتجه إلى الموصل ونزل على نور الدولة دبيس بن مزيد[7]، لكن السلطان استطاع استمالة

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص336؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص310؛ اليافعي، مرآة، جـ3،ص 48-49.

(2) $EI^2$, Saldjukids, VIII pp 937

(3) الجالودي، تطور، ص54.

(4) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص400؛ ابن حمدون، التذكرة، ص156؛ الكازروني، مختصر، ص205؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص348؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص322-323؛ الحسيني، أخبار، ص17؛ المقريزي، اتعاظ، جـ2، ص233؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص339.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص322؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص98.

(6) الفارقي، تاريخ، ص155-156؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص323؛ البنداري، تاريخ، ص10، الحسيني، أخبار، ص19؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص98؛ ابن الدقماق، الجوهر، ص156؛ طقوش، تاريخ، ص240.

(7) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص400؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص322؛ المقريزي، اتعاظ، جـ2، ص233.

نور الدولة وطلب منه إبعاد البساسيري ففعل، فاتجه البساسيري إلى رحبة مالك بن طوق بالشام، وكاتب المستنصر الفاطمي ودخل في طاعته[1]، ثم اتسع نطاق ثورته وتفاقم أمره بعد انضمام عدد كبير من أمراء العرب في العراق والشام إلى جانبه[2]، وحصوله على دعم دعاة الفاطميين في هذه المناطق [3]، ومد نفوذه إلـى منـاطق واسعة فيها[4].

فأخـذت القـوات الـسلجوقية بملاحقـة البـساسيري، فاسـتطاعت فـي سنة448هـ/1057م استعادة تكريت[5] وفي سنة 449هـ/1058م وكذلك تمكنـت من استعادت الموصل وسنجار، لكنها اضطرت إلى التوقف عن ملاحقة البساسيري بعد عودة السلطان طُغْرلبك إلى همدان على أثر سماعه خبر عصيان أخيه إبـراهيم ينال وثورته عليه[6]، فترك بغداد دون حماية تذكر، فاستغل البساسيري ذلك واتّجـه نحوها وسيطر عليها دون مقاومة وذلك في يوم الأحـد الثـامن مـن ذي القعـدة سنة450هـ/1059م [7] وقطع خطبة العباسيين، وخطب باسم المستنصر الفـاطمي في سائر مساجدها [8]، وأخذ كتاباً على الخليفة القائم أشهد فيه الشهود على أنـه" لا

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص325؛ الحسيني، أخبار، ص18؛ الحسيني، زبـدة، ص61-62؛ المقريزي، اتعاظ، جـ2، ص233

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص8؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ9، ص331-332؛ الكازروني، مختصر، ص205؛ النويري، نهاية، جـ23، ص235.

(3) الحسيني، أخبار، ص18؛ المقريزي، اتعاظ، جـ2، ص235؛ النويري، نهايـة، جـ23، ص235-236.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص341؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص337-338.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص333؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص58.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص341؛ الكازروني، مختصر، ص206؛ الحـسيني، أخبـار، ص19؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص104.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص333-335؛البنداري، تاريخ، ص12-13؛ النويري، نهاية، جـ23، ص227-228؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص100.

(8) ابن العمراني،الإنباء، ص192؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص340؛ البنـداري، تـاريخ، ص14؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص104؛ الحسيني، زبدة، ص62.

حق لبني العباس في الخلافة بوجود بني فاطمة الزهراء". [1] ثم أسر الخليفة وسلمه إلى حليفه قريش بن بدران[2]، الذي بدوره سلمه إلى ابن عمه مهارش بن المجلـي، فسار به إلى حديثة عانة وبقي فيها حتى عودته إلى بغداد[3]، وقـبض البـساسيري على رئيس الرؤساء ابن المسلمة وشُهر به وقتله[4]

استطاع السلطان طُغْرلبك القضاء على ثورة أخيه إبراهيم ينال وقتله بمساعدة ابن أخيه الأمير ألب أرسلان، وأعاد بذلك للدولة الـسلجوقية وحـدتها وقوتهـا[5]، فتوجه على الفور إلى العراق للقضاء على ثورة البساسيري، ودخـل بغـداد دون مقاومة وإعادة الخطبة للعباسيين، وطلب من قريش بن بدران رد الخليفة إلـى دار الخلافة، ففعـل ووصـل الخليفـة القـائم إلـى بغـداد فـي شـهر ذي القعـدة سنة451هـ/1060م واستقبله السلطان طُغْرلبك في مقدمة جيشه وقبل الأرض بين

(1) المقريزي، اتعاظ، جـ2، ص234

(2) هو قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين (391-453هـ/1001-1062م)، تحالف مع البساسيري في ثورته على الخليفة القائم سنة 450هـ/1059م، لكنه حفـظ الخليفـة وأعاده إلى بغداد بناء على طلـب الـسلطان طُغْرلبـك بعـد مقتـل البـساسيري سـنة 451هـ/1060م، وتوفي بدران سنة 453هـ/1062م ، انظر: ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ 8، ص355.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص343-344؛ ابن العبـري، تاريخ زمان، ص104؛ القلقشندي، عبدالله، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق، عبـد الستار أحمد، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت 1964م، جـ1، ص340.سيشار إليه تالياً، القلقشندي، مآثر

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص343-344؛ النـويري، نهاية، جـ23، ص229-230؛ الكازروني، مختصر، ص209؛ابن العبري، تاريخ زمان، ص104؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ق1، ص21.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص195-196؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ8، ص344-345؛ البنداري، تاريخ، ص15.

يديه سبع مرات، وأظهر طاعته وتبعيته للخليفة[1]، وأرسل السلطان طُغْرلبك أحد قادته إلى الكوفة فهزم البساسيري وقبض عليه وقتله وبعث برأسه إلى السلطان طُغْرلبك ببغداد[2].

### 2.3 : علاقة الخلافة العباسية بالسلطنة السلجوقية قبل خلافة المسترشد(447-512هـ/1056-1119م)

بدخول السلاجقة إلى بغداد وسيطرتهم عليها سنة 447هـ/1056م تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الخلافة العباسية، خضعت لسيطرة قوة جديدة [3]، واستمر السلطان طُغْرلبك في سياسته الرامية إلى إخضاع العراق وما جاورها من بلاد الخلافة لسيطرته، إذ كان يدرك ما آلتْ إليه أوضاع الأمراء البويهيين من ضعف ناتج عن تنافسهم على السلطة، وما عانته بغداد من صراعات داخلية بين السنة والشيعة[4]، وبين الجند الأتراك والديلم الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم من الجيش البويهي[5]، مما دعا الخليفة القائم إلى دعوة السلطان طُغْرلبك لزيارة بغداد، فاستغل السلطان هذه الدعوة، وأعلن قدومه إلى بغداد بهدف الدفاع عن الخلافة العباسية التي تتفق معه في المذهب الديني في وجه أعدائهم البويهيين والفاطميين

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص196؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص345-346؛البنداري، تاريخ، ص16-17؛ الحسيني، أخبار، ص19-20؛ الحسيني، العراضة، ص39-42؛ الأربلي، خلاصة، ص266؛ ابن الدقماق ، الجوهر، ص157؛ إقبال، تاريخ، ص 239.

(2) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص403؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص347؛ الحسيني، زبدة، ص64.

(3) Muir, The Caliphate, its rise, decline, and fall, pp576.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص319، 329-331، 335-336، 340، 347-348؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص292، 301-302، 310، 312، 325.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص315-316؛ عبد الخالق، شريف، دراسة الأوضاع العلمية و التعليمية في عهد بني بويه و السلاجقة(334-656هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان 1990، ص17-18. سيشار إليه تالياً: عبد الخالق، دارسة.

الشيعة، واستعادة ما سيطروا عليه من أراض الخلافة العباسية في الشام والعراق والحجاز ومصر وإعادة الخطبة على منابرها للخليفة العباسي[1].

ترافق الاحتلال السلجوقي لبغداد مع حدوث عمليات سلب ونهب قامت به الجماعات الغزنوية؛ فنهب درب يحيى ودرب سليم وترب الخلفاء وغيرها من مناطق بغداد[2]، وامتدت عمليات السلب والنهب لتشمل مدن تكريت والموصل وسنجار وغيرها[3]، فاستغل السلطان طُغْرلبك هذه الحوادث واتهم الملك الرحيم البويهي بها، وأمر بالقبض عليه وحبسه في إحدى القلاع مع أنه كان قد منحه الأمان بطلب من الخليفة،[4]، مما أدى إلى توتر العلاقة بين الخليفة والسلطان فلم يكن خافياً على الخليفة ما قام به السلطان فأثار ذلك غضبه، حيث استدعى عميد الملك وزير السلطان وحمله رسالة إلى السلطان جاء فيها: "قد أنهى إلى ما سمعته أذني وشاهدته عيني ومن ارتفاع الدعاء، ما أنا به مطالب هذا إلى ما أخافه من سريع المكافأة، وأنا مع ركن الدين بين قسمين: إما اعتماد الحق واستعمال العدل وإنصاف الرعية أعفاهم من كل أذية، وإعادتهم إلى مساكنهم وصيانتهم في معايشهم وأمانتهم في نفوسهم وحراسة أموالهم أو المساعدة على مفارقتي لهذا البلد وبعدي عن هذا البدع، ولا أقلّ من اعتزال عنها والتبري عند الله منها"[5]، كما طلب الخليفة من السلطان طُغْرلبك إخراج الملك الرحيم وأصحابه من السجن " أنهم خرجوا إليك بأمري وأماني فإن أطلقتهم، وإلا أفارق بغداد، فإني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً مني أن تعظيم الأوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وأرى الأمر بالضد"[6].

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص189؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص348؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص952-953.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص348-349؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص324.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص4؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص332-333.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص348-349؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص324؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص952-953.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ) ص7-8؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص99.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ8، 324.

أظهر السلطان طُغْرلبك احترامه للخليفة والتزامه بأوامره، فـأطلق بعـض الأمراء المحبوسين، لكنه لم يطلق سراح الملك الرحيم حرصاً منه على إنهاء الدولة البويهية[1]، كما حاول السلطان استرضاء الخليفة، وبعث برسالة إلى الخليفة عبـر فيها عن تبعيته للخليفة " أنا الخادم الطائع في كل حال وما علمتُ بمـا جـرى ولا أمرتُ به ولا من عادتي، إلا أن هذا العسكر كثير لا قدرة لي على حفظـه وربمـا بدت منهم أفعال لا أرحناها، وسأتقدم فما يبين أثر ويحسن موقعه[2]، وتوثيقاً لعلاقته مع الخليفة قبل طُغْرلبك في سنة 448هـ/1057م زواج ابنة أخيـه خفـري مـن الخليفة القائم [3]، ومع أن الخليفة بعث إليه كتاباً أمـره فيـه بالعـدل والإنـصاف والوعظ[4]، إلا أن العلاقات بين الطرفين بقيت متوترة؛ إذ أن السلطان بقـى ثلاثـة عشراً شهر في بغداد دون أن يحظى بمقابلته[5].

حرص السلاطين على إظهار احترامهم للخليفة العباسي بـشكل واضـح[6]، وتحسن مركز الخلافة نسبياً واستعاد الخلفاء بعض الاحتـرام، إذ كـان الـسلاطين السلاجقة يحرصون على إظهار احترامهم للخليفة رغبة منهم في الظفـر بموافقـة الخليفة على توليهم عرش السلطنة وحتى يكسبون الصفة الشرعية، لكن ذلـك لـم يمنعهم من التمتع بعلامات السلطنة إذ شارك السلاطين الخليفة العباسـي بعلامـات الرئاسة السياسية والدينية، فكان يخْطب لهم إلى جانب الخليفة وتـضرب أسـماؤهم على العملة، وتضرب لهم الطبول في أوقات الصلاة. وحـرص الـسلاطين علـى

---

(1) المصدر نفسه، جـ8، ص323-324؛ إقبال، تاريخ ، ص238؛ بيات، علاقة، ص269.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ) ص8؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص99.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ)، ص7-8؛ ابن العبري، تـاريخ زمان، ص99.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ)، ص8.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص4؛ ابن الأثير، الكامل،، جـ8، ص327؛ سـبط ابـن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ) ص؛ ابن العبري، تاريخ، زمان، ص99.

(6) ابن العمراني، الإنباء، ص189-190؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص19؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص337-338.

الحصول على تفويض من الخليفة بحكم البلاد والتحكم بها[1]، إذ طلب السلطان طُغْرلبك مقابلة الخليفة القائم لينعم عليه بالخلع والألقاب، فحصل على مراده هذا سنة 449هـ/1058م، وكان في استقباله وزير الخليفة، وعندما رأى السلطان الخليفة القائم جالساً على عرشه الذي يعلو عن الأرض سبعة أذرع، وكان معمما بعمامة موشحه برداء أسود، وبيده صولجان ذهبي وإلى جانبيه حاجبان فانحنى السلطان عند دخوله وقُبلّ الأرض دفعات وجلس على كرسي نُصب له دون عرش الخليفة[2].

وفي مقابلته للخليفة حصل السلطان طُغْرلبك على تفويض كامل من الخليفة بحكم بلاد الخلافة العباسية نيابة عنه" إن أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفضاك مستأنس بقربك وقد ولاك، جميع ما ولاه الله من بلاد، ورد عليك مراعاة عباده، فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الرعية"[3]

اتخذ السلاطين السلاجقة هذا التفويض أساسا لعلاقتهم بالخلافة العباسية، ضمنوا بموجبه تخلي الخليفة عن السلطة الدنيوية لهم، وأعطى لهم الحق في حكم البلاد نيابة عنه، واكتفى الخلفاء بسلطتهم الدينية [4]، وأتاح هذا التفويض للسلاطين السلاجقة الانفراد بالحكم واتخذوه سبيلاً للحد من تطلع الخلفاء لتعزيز سلطتهم[5]،

---

(1) الفارقي، تاريخ، ص197؛ ابن العمراني، الإنباء، ص199؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص87، 145؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص322، 366-367، 394-395؛ الحسيني، العراضة، ص44؛ ابن العبر، تاريخ زمان، ص106.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص199؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص337؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448—480هـ)، ص25؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص102-103.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص192؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص19-20 ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص337؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ) ص25؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص102؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص33.

(4) القزاز، الحياة، ص17؛ ردايده، جيش، ص32.

(5) القزاز، الحياة، ص17-18..

وكما سعى السلاطين الذين جاءوا بعد طُغْرلبك للحصول على مثل هذا التفـويض، فعندما تولى السلطان ألب ارسلان سنة455هـ/1064م أرسل يطلب الخطبة والعهد من الخليفة القائم، فجلس الخليفة إلى رسول السلطان، وشافهه بتقليد السلطان وسملت الخلع بمشهد من الخلق، ولقبه بالولد المؤيد كما اقترح هو[1]، وكتب إليـه تفويـضاً بحكم البلاد" ...إن أمير المؤمنين بما وكله الله إليه من الأمور العامة للبلاد والعبـاد وملكه من زمام الإصدار والإيراد، وناطه به حفظ النظام وفرضه عليه في الصلاح الشامل العام..."[2].

كما منح الخليفة المقتدي (467-487هـ/1075-1095م)، السلطان ملكشاة مثل هذا التفويض وذلك عند قدومه لبغداد سنة 479هـ/ 1087م فـوض بموجبـه الخليفة إلى السلطان أمر البلاد والعباد وأمره بالعدل[3]، وفي حال حدوث النزاعات بين السلاطين السلاجقة كان الخلفاء يخطبون للمنتصر بين المتنازعين، كما حـدث في النزاع الذي نشب بين ورثة السلطان ملكشاة(465-485هـ/1073-1093م) إذ خطب الخليفة المقتدي للسلطان محمود بن ملكشاة سنة 485هـ/1093م إثر وفـاة والده[4]، وعنـدما انتـصر بركيـاروق سـنة 487هـ ـ/1095م[5] وفـي سـنة 492هـ/1099م خطب الخليفة المستظهر للسلطان محمد بن ملكـشاة علـى إثـر

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص87؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص366؛ سـبط ابـن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ)، ص112-113.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات( 448-480هـ)، ص115.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص260؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص449؛؛ سبط ابـن الجوزي، مرآة، حودث سنوات(448-480هـ)، 115-116.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص418الحسيني، أخبار، ص75-79..

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص493؛ اليافعي، مرآة، جـ3، ص109.ابن الوردي، تـاريخ، جـ2، ص13؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص102-103.

هزيمته للسلطان بركياروق[1] وقطعت خطب السلطان محمد وأعيدت خطب بركياروق سنة 493هـ/1100م إثر هزيمة محمد في هذه السنة[2].

وفي الجانب الاقتصادي وضع السلاجقة أيديهم على موارد العراق المالية، فأصبحت تحمل إلى خزينة السلطان، ضمن سياسة مالية تقوم على تضمين بغداد وغيرها من المدن العراقية لشخص معين يدفع للسلطنة مبلغاً مالياً متفقاً عليه معها مقابل قيامه بجمع ضرائب هذه المدينة، ففي سنة452هـ/ 1061م ضمن السلطان طُغْرلبك بغداد لأبي الفتح المظفر بن الحسين مدة ثلاث سنين بمبلغ أربعمائة ألف دينار وفي سنة 451هـ/ 1060م، ضمنتْ واسط لعلي بن فضلان بمائتي ألف دينار، وضمنت البصرة لأبي سعيد سابور بن المظفر[3].

ولم يكن الخليفة يحصل إلا على القليل من إيرادات العراق عن طريق ما يخصه من الإقطاع والذي كان قابلاً للنقص والزيادة حسب رغبة السلطان ورضاه عن الخليفة[4]، يضاف إلى ذلك ما كان الخلفاء يحصلون عليه من مبالغ مالية كبيرة وهدايا من السلاطين والأمراء الطامعين بالسلطنة والساعين للحصول على رضا الخليفة، فالسلطان طُغْرلبك حمل إلى خليفة القائم هدايا كبيرة من المال والثياب[5] يرغب فيها الخليفة القائم بالموافقة على تزويجه من ابنته، فكان له ما أراد رغم عدم رضا الخليفة القائم على تزويجه[6]، كما أن السلطان ملكشاة زاد في إقطاع الخليفة المقتدي عندما فوض إليه حكم البلاد سنة479هـ/1087م [7] ، وترك السلاطين

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص22؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص20.

(2) بن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص52-53؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص25؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص21.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص351.

(4) المصدر نفسه، جـ8، ص449؛ القزاز، الحياة ، ص18.

(5) ابن الجوزي، المنتظم،جـ16، ص75.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ8،ص 449؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص358.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص449؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص13.

للخلفاء حرية التصرف في إقطاعاتهم، إذ أن الخليفة القائم أعطى ضمان أملاكه في واسط إلى صرصر بن اسحاق اليهودي[1].

أصبحت دار الخلافة (بغداد) في عصر السيطرة السلجوقية جزءاً من الدولـة وعدها السلاطين العاصمة الثانية للدولة[2]، فاتخذ طُغْرلبك نيسابور عاصمة لـه[3]، واتخذ السلطان ألب أرسلان مدينة الري عاصمة له[4]، في حـين اتخـذ الـسلطان ملكشاة وولديه محمود وبركياروق من مدينة أصفهان عاصمة لهم[5].

واستحدث السلاجقة في بغداد وغيرها من المدن العراقية وظـائف إداريـة عرفت بالعميد والشحنة واللتين يصعب التمييز بين عمل متوليهما، وكثيراً ما كـان يحدث تداخل بينهما ففي بدية عصر السيطرة السلجوقية كان العميـد يمثـل نائـب السلطان في بغداد والعراق كلها، وأُنيطت به كثير من أعمال الشحنة [6].

كانت العلاقات بين الخليفة القائم والسلطان طُغْرلبك قائمـة علـى الاحتـرام المتبادل، إذ أظهر السلطان احترام الخليفة في كثير من المواضع فطلب من قريش بن بدارن الاهتمام بخدمة الخليفة وتأمين سلامته خلال فتنة البـساسيري[7]، وكـان السلطان ينحني ويقبل الأرض كلما قابل الخليفة[8]، لكن هذه العلاقات لم تدم علـى

---

(1) القزاز، الحياة ص22.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص227؛ ابن العبري، تاريخ مختـصر، ص185؛ القلقـشندي، مآثر، جـ1، ص339؛

(3) الفارقي، تاريخ، ص159؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص227؛ البنـداري، تـاريخ، ص6؛ ابن خلكان ، وفيات، جـ5، ص65؛ الحسيني، العراضة، ص34.

(4) الفارقي، تاريخ، ص186؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص368؛ ابـن العبـري، تـاريخ مختصر، ص185.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، 425؛ ابن خلكان، وفيات، جـ1، ص268.

(6) انظر الفصل الثاني: موظفو السلطنة السلجوقية في بغداد.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص345-346؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حـوادث سـنوات ( 448-480هـ)، ص55-56.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص20-21؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ8، ص337؛ القلقشندي، ، مآثر، جـ1، ص339.

هذا الحال إذ أخذت بالتدهور وخاصة بعد أن قضى السلطان على ثورة البساسيري، وأعاد الخليفة إلى بغداد، فشعر السلطان أنه صاحب فضل على الخليفة فهو من أحيا الخلافة العباسية بعد ما قضى عليها البساسيري، ودفعه شعوره هذا إلى التقدم لخطبة ابنة الخليفة القائم، فرفض الخليفة هذا الطلب، وعد طلبه تجاوزاً لما جـرت عليـه العلاقة بين السلاطين والأمراء والخلفاء: "هذا ما لم تجر العادة به ولم يسم به أحـد من الخلفاء مثله"[1]، مما دفع السلطان الى ممارسة مزيد من الضغوط على الخليفـة عن طريق عميد العراق مما اضطر الخليفة إلى قبول هذا الزواج، وقـدم الـسلطان فعقد قرانه على ابنة الخليفة وذلك في سنة 455هـ/1064م [2]، لكن الـسلطان لـم يهنأ بهذا الزواج، إذ توفى في السنة نفسها[3].

تولى السلطنة بعد وفاة السلطان طُغْرلبك الـسلطان ألـب أرسـلان(455-465هـ/1064-1073م) والذي سعى منذ بداية سلطته إلى تحسين علاقاتـه مـع الخليفة القائم فأعاد ابنته إليه[4]، وقبض على عميد الملك وزير السلطان طُغْرلبـك، والذي كان له يداً في زواج السلطان طُغْرلبك من ابنة الخليفة[5]، وأعفى شحنة بغداد

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص65؛ ابن الأثير، الكامل، جـ ـ8، ص357؛ النـويري، نهاية، جـ23، ص234؛ ابن خلكان، وفيات، جـ5، ص66.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص198-199؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ ـ16، ص80-81؛ ابـن الأثير، الكامل، جـ8، ص360؛ ابن العبري، تاريخ زمـان، ص106؛ ابـن الـدقماق، الجوهر، 1058؛ ابن خلكان، وفيات، جـ5، ص66؛ زيار، الصراع، ص25-26.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص199؛ الفارقي، تاريخ، ص186؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ ـ16، ص82؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص360؛ ابن العبـري، تـاريخ زمـان، ص107؛ الحسيني، العراضة، ص44.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص366؛ سبط ابن الجوزي، مـرآة، حـوادث سـنوات(448-480هـ)، ص112 ؛ النويري، نهاية، جـ23، ص235.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص364-365؛ سبط ابن الجوزي، مـرآة، حـوادث سـنوات، 448-480هـ)، ص112؛ ابن خلكان، وفيات، جـ5، ص141-142؛ اليافعي، مـرآة، جـ3، ص60.

من منصبه وولى مكانه الأمير ايتكين السليماني؛ فرضي الخليفة عنه، وخلع عليه ولقبه بالولد المؤيد كما كان يرغب هو[1].

على أن ذلك لا يعني تخلي السلطان ألب أرسلان عن إدارة بغداد عن طريق نوابه فيها، والتدخل في شؤونها، وممارسة الضغوط على الخليفة كلما دعت الحاجة إلى ذلك، بل وصل الأمر بصاحب شحنة بغداد إلى الاستخفاف بالخليفة نفسه، ففي سنة 464هـ/1071م أقدم متولي الشحنة الأمير ايتكين السليماني على قتل أحد غلمان دار الخلافة، ولم يستطع الخليفة الرد على هذا التصرف، واكتفى بأن بعث قميص غلامه الملطخ بالدم إلى السلطان علّه يعزل صاحب الشحنة من منصبه لتجاوزه الحد في الاعتداء على الخلافة[2]، فلبى السلطان طلب الخليفة وعزل صاحب الشحنة[3].

توفي السلطان ألب أرسلان سنة 465هـ/1073م وملك بعده ابنه السلطان ملكشاة (465-485هـ/1073-1093م)[4] وبعد عامٍ من وفاته، توفي الخليفة القائم (422-467هـ/1032-1075م) وبويع حفيده الخليفة المقتدي (467-487هـ/1075-1095م)[5]، فاستمرت علاقة الخلافة بالسلاجقة على حالها، إذ بقيت السلطة الفعلية بيد السلطان ونوابه:" فلم يكن للخليفة المقتدي من الأمر سوى الاسم ولا يتعدى حكمه بابه، والتدبير إلى ملكشاة"[6]، يؤكد ذلك أن السلطان ملكشاة ونوابه كانوا يستخفون بالخليفة المقتدي، وأن صلاحيات الخليفة تراجعت كخليفة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص366-367.

(2) ابن الأثير، الكامل ، جـ8، ص391؛ النويري، نهاية، جـ23، ص245؛عقلة، الخلافة، ص305-308.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص391؛ النويري، نهاية، جـ23، ص247-248.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص394؛ الحسيني، العراضة، ص51-54؛ الحسيني، زبدة، ص177-119؛ الحسيني، أخبار، ص56-58؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ق1، ص33-34. أنظر الملحق: رقم(و)، ص208-209.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص164-165؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص406-408.

(6) المقريزي، السلوك، جـ، ق1، ص21؛ ابن خلكان، وفيات، جـ5، ص288.

للمسلمين، من ذلك ما حدث سنة 471هـ/1078م عندما أمر السلطان ملكشاة الخليفة المقتدي على عزل وزيره فخر الدين بن جهير [1]، فامتنع الخليفة عن تنفيذ أمر السلطان؛ فهدده السلطان "بكلام يطول شرحه" [2]، وبالغ صاحب الشحنة في بغداد في الاستخفاف بالخليفة إذ حضر إلى دار الخلافة وهو سكران وخاطب الخليفة:" إن سلم الوزير إلي وإلا دخلت أخذته، وإن كلمني في معناه إنسان قتلته [3]، فأجاب الخليفة إلى ما طلب السلطان [4]، فعزل وزيره ابن جهير واستوزر مكانه محمد بن الحسين الروذراوي [5]، ثم عاد السلطان في سنة 476هـ/1084م ورضي على الوزير ابن جهير؛ فطلب عزل أبي شجاع وإعادة ابن جهير[6]، ولم يكتفِ عميد العراق أبو الفتح ابن الليث بهذا، بل تمادى في أفعاله، حتى أن الخليفة المقتدي هدد في سنة 475هـ/1083م، أن يترك بغداد إن لم يعزل هذا العميد، فلم ينفذ السلطان طلب الخليفة واكتفى بكف يد العميد عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة[7].

حاول السلاطين السلاجقة توثيق علاقاتهم بالخلفاء عن طريق مصاهرتهم، ففي سنة 448هـ/1057م[8] تزوج الخليفة القائم من ابنة داود أخي السلطان

---

(1) هو محمد بن محمد بن جهير، خدم في دولة القائم ووزر للمقتدي و المستظهر، توفي في سنة 493هـ، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص59-60؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص28-29؛ شندب، الحضارة، ص90.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص198 ؛عبد الخالق، دارسة، ص22.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص201؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص198.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص202؛ الكازروني، مختصر، ص214؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص198-199.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص201؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص198-199؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص417.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص227.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص428؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ)، ص218.

(8) ابن الأثير، الكامل، جـ8،ص327. سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ)، ص213.

طُغْرلبك، وفي سنة 480هـ/1088م، تزوج الخليفة المقتدي من ابنة السلطان ملكشاة[1]، ولم يكن هدف السلاطين من وراء هذه الزيجات يقتصر على توثيق علاقاتهم بالخلفاء، بل تعدى ذلك إلى محاولة بعض السلاطين جمع السلطنة والخلافة في نسلهم [2]، ففي سنة 481هـ/1089م طلب السلطان ملكشاة من الخليفة المقتدي نقل ولاية العهد من ابنه المستظهر إلى ابنه جعفر[3] من ابنة السلطان، لكن الخليفة عد هذا تدخلاً سافراً في شؤون الخلافة، ولم يقم بتنفيذ طلب السلطان، مما أغضب السلطان وطلب من الخليفة مغادرة بغداد على الفور، وأن يختار الإقامة في مكة أو المدينة أو البصرة أو أصفهان، ففضل الخليفة الإقامة في مدينة أصفهان، وطلب من السلطان مهلة عشرة أيام ريثما يرتب شؤونه، فرفض السلطان ذلك وتدخل وزيره تاج الملك أبو الغنائم في الأمر، وطلب مهلة للخليفة، فقنع السلطان بإعطاء الخليفة مهلة قدرها عشرة أيام، ولم ينقِذْ الخليفة من الطرد خارج بغداد سوى وفاة السلطان ملكشاة خلال هذه المهلة[4].

تحسنت أحوال الخلافة أثر وفاة ملكشاة، ونشوب الخلافات بين ورثته حول خلافته، وحاول الخليفة المقتدي تدعيم قوته في مواجهة السلاجقة، فرفض أن يخطب لمحمود بن ملكشاة خاتون والذي استطاعت أمه تركان خاتون تنصيبه بعد أن نجحت بجعل أبيه يوصي له بالحكم، بحجة أنه طفلٌ صغير لا يصلح لهذا الأمر

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص451-452؛ ابن الساعي، علي بن أنجب ( 674هـ/1276م)، نساء الخلفاء، المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق: مصطفى جواد، دار المعارف ، القاهرة(د.ت)، ص109-110، سيشار اليه تالياً، ابن الساعي، نساء

(2) EI², Saldjukids, VIII pp 941 ؛ طقوش، تاريخ، ص243.

(3) هو جعفر بن المقتدي، ولد سنة 480هـ/1088م من زوجته خاتون بنت السلطان ملكشاة ، وتوفي سنة 486هـ/1094م، انظر ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص5؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص491.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص203-204؛ الفارقي، تاريخ، ص265؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 120؛ القرماني، أخبار، ص173؛ ابن الدقماق، الجوهر، ص160؛ مرتضى، كلشن خلفا، ص111.

"ولأن السلطنة والرئاسة والمحافظة على أصول السياسة وتعمير العالم ليس أمراً هيناً، ومن الصعوبة أن يتمكن طفل عديم التجربة أن يقرر قواعد السلطنة ويدفع حساد المملكة وأعداءها، ولم يشبع محمود لبن الرضاعة حتى الآن، فلا يستطيع أن يكون درعاً يصد عن الدولة سيف كل جبار، والمثل يقول: الصبي صبي ولو كان ابن نبي"[1]، لكن الخليفة استجاب في نهاية الأمر لرغبات تركان خاتون التي مارست ضغوطاً شديدة لتحقيق غرضها، واشترط الخليفة أن يكون محمود سلطاناً بالاسم فقط، وأن ينفرد الخليفة بالخطبة وحده[2]، واستغل الخليفة المقتدي ذلك لتقليص نفوذ السلاجقة في العراق، فأصدر عملة نقدية ( دينار) تخلو من أي ذكر للسلاطين السلاجقة، وعرف هذا الدينار باسم دينار المقتدي وكان ذلك في سنة 486هـ/1094م ، نقش عليه اسم الخليفة "الإمام المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين" واسم ولي عهده " ذخر الدين أبو العباس" [3]وتعد هذه المحاولة الأولى من نوعها منذ السيطرة البويهية، لكنها لم تدم طويلاً إذ انتصر بركياروق على أخيه محمود سنة 487هـ/ 1095م وألزم الخليفة أن يقطع الخطبة لمحمود وأن يخطَب له[4].

رفض الخليفة الخطبة لتتش بن ألب أرسلان الذي أعلن الثورة على السلطان بركياروق بعد توليه السلطنة، واستولى على بلاد الشام وطلب من الخليفة أن يعترف به سلطاناً على جميع الدولة السلجوقية[5].

وفي خضم هذه الأحداث وصراعات البيت السلجوقي توفي المقتدي سنة487هـ/1095م، وأثيرت حول وفاته في هذا التوقيت العديد من الشكوك ومدى صلة السلاجقة بها، ويبدو أنه من غير المستبعد أن يكون لهم يد في ذلك إذ توفي

---

(1) الحسيني، العراضة، ص72.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص484؛ القلانسي، ذيل، ص126؛ الحسيني، زبدة، ص155.

(3) الجالودي، تطور، ص100، نقلاً عن: الحسيني، دينار عباسي نادر، ص 65-73.

(4) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17، ص10-11؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص493؛ الحسيني، زبدة، ص156-157؛ النويري، نهاية، جـ23، ص251؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص13.

(5) ابن خلكان، وفيات، جـ1، ص295.

المقتدي مسموماً على يد جاريته شمس النهار[1] والتي قد تكون متعاونةً مع السلاجقة لقتل الخليفة.

بويع بعد وفاة الخليفة المقتدي ابنه وولي عهد الخليفة المستظهر بـالله(487-512هـ/1095-1119م)، والذي كان صغيراً لم يتجاوز عمره ستة عشر ربيعاً[2]، ولم يكن هذا الخليفة على قدر من المسؤولية؛ إذ فوض أموره إلى الوزير ابن جهير "الأمور مفوضة إليك والتعويل عليك، فدبرها بما تراه"[3]، كما أن خلافته جاءت في فترة اشتد فيها تنافس السلاطين السلاجقة الساعين إلى السلطنة ( بركياروق، محمد، وسنجر) ودام هذا الصراع طوال الفترة (487-497هـ ـ/1095-1104م) [4] فلـم يتدخل الخليفة بهذا الصراع[5] وكان يخطب لمن ينتصر منهم فعند بيعته أقر الخطبة لبركياروق الذي خطب له أبوه المقتدي قبيل وفاته[6]، ثم أمر المـستظهر أن تقطـع الخطبة لبركياروق وأن يخطب لمحمد على أثر انتصاره سنة 492هـ/1099[7] وثم أمر في سنة 493هـ/ 1100م بقطع الخطبة لمحمد والخطبة لبركياروق[8] وبلغ به الأمر أن يخطب في سنة 498هـ/1105م للـسلاطنيين فـي آن واحـد؛ فخطـب

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص10؛ ابن الأثير، الكامل، جـ ـ8، ص493؛ القرمـاني، أخبار، ص173؛ القلقشندي، مآثر، جـ2، ص1.

(2) ابن حمدون، التذكرة، ص87؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص12؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص493؛ القلقشندي، مآثر، جـ2، ص11.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص12.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ ـ9، ص79-80؛ الحـسيني، أخبـار،ص 79؛الحـسيني زبـدة، ص197؛ القلانسي، ذيل، ص147؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص127 .

(5) حتاملة، عبد الكريم عبده، "دور الخليفة المستَرشِد بالله في مواجهة نفـوذ الـسلاجقة(512-529هـ/1118-1135م)"، مجلة جامعة أم القرى، السنة الحادي عشر، ع11، الـشريعة والدراسات الإسلامية(2)، 1419هـ/1999، ص272.سيشار إليه تالياً، حتاملة، "دور"

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص12-13؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص494 ؛ بيـات، "السياسة"، ص101.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص48؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص22.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص53.

لبركياروق بن ملكشاة في الجانب الشرقي من بغداد وخطب لمحمد بن ملكشاة فـي جانبها الغربي [1].

لم يبدِ الخليفة المستظهر أي محاولة لاستعادة سلطاته الدنيوية بل ركن إلـى الراحة وترك السلاجقة يتصارعون على السلطنة[2] وفوض إليهم أموره؛ ففي سـنة 495هـ/1101م فوض الخليفة المستظهر إلى السلطان محمد بن ملكشاة سـلطاته الدنيوية جميعها، وولاه ما وراء بابه[3]، وتصرف السلاطين السلاجقة بهذه السلطات كما شاءوا حتى إن بغداد نفسها لم تسلم مـن أذى جنـودهم أثنـاء صـراعاتهم[4]، إذ وصلها الأمير ينال بن أنوشتكين الحسامي أحد أمراء السلطان محمد بن ملكـشاة سنة 496هـ/1103م على رأس سبعمائة من جنوده واستولى عليها وظلـم النـاس وصادر أموالهم وشمل أذاهم العامة من سكانها بالضرب والقتـل، فبعـث الخليفـة المستظهر القاضي أبا الحسن الدامغاني إلى الحسامي هذا يطلب كف جنـوده عـن أفعالهم لكنه لم ينههم واستمروا فيها، فاستنجد الخليفة بأمير الحلـة سـيف الدولـة صدقة، الذي حضر إلى بغداد وأخذ العهد على الحسامي بالكف عـن أذى النـاس، وبعد رحيل سيف الدولة عاد جنود الحسامي إلى أفعالهم، فأرسل سيف الدولة ابنـه دبيس ومعه ألف فارس، فلما سمع الحسامي بقرب وصوله فر مـن بغـداد قاصـداً السلطان محمد[5]

وفي مجال الوزارة كان السلاطين السلاجقة في عهـد المـستظهر يولـون ويعزلون من يشاءون من وزرائه، ففي سنة 493هـ/ 1100بعث مؤيد الملك بـن نظام الملك الطوسي وزير السلطان محمود إلى الخليفة يطلب عزل وزيـره عميـد الملك بن جهير فعزله الخليفة[6]، وأمر السلطان محمد سنة501هـ/1108م، بعـزل

---

[1] ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص80؛ القلقشندي، مآثر، جـ2، ص12.

[2] الجالودي، تطور، ص108؛ المقابلة، إحياء، ص47.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص75.

[4] المصدر نفسه، جـ17، ص12-13؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص494 .

[5] ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص61-62.

[6] المصدر نفسه، جـ9، ص28494؛ شندب، الحضارة، ص89.

الوزير مجد الدين بن عبد المطلب فعزله الخليفة، ثم أعيد إليها بإذن السلطان شريطة التزامه العدل وحسن السيرة ، وأن لا يستعمل أحد من أهل الذمة(1).

وهكذا يبدو أن الخلفاء العباسيين في هـذه الفتـرة(447-512هـ ـ/1056-1119م) كانوا خاضعين لإرادة السلطنة السلجوقية في عهد سلاطينها الكبـار، وأن هؤلاء السلاطين كانوا يتحكمون بالخلفاء كيفما يشاءون(2)، وهذا ما ذكره المـؤرخ البنداري حين قال: "كانت السدة الشريفة الأمامية، قد منيت بجور الأعاجم، ولم يزل عودها من عداوتهم تحت سن العاجم، وكان أهون ما عندهم خلاف الخليفة وعناده، وتمردهم عليه بأن يحصل مرادهم لا مراده، ولم تزل بغداد مظلمة، مشحونة مـنهم بالشحن الظلمة، ولهم من الديوان العزيز مطالب، لا يفي بها خواصه، ومغارم تلحقه منهم يتعسر منها خلاصه، والحرم من جناياتهم خائف، والشرف لمهـابتهم عـائف وشريعة الشريعة مكدرة، والدماء والفروج مستباحة مهـدورة، والخليفـة يغـضى ويغضب، ويعتِب ولا يعتب ويقدر عليه ولا يقدر ويغدر به، وهو علـى العهـد لا يغدر" (3).

## 3.3 : سـلاطين الـسلاجقة فـي عهـد الخليفـة المـسترشد (512-529هـ/1119-1135م)

أدت الصراعات والحروب التي أعقبت وفاة السلطان ملكشاة إلـى ضـعف الدولة السلجوقية، وفقدانها لوحدتها وتماسكها، وعم الفساد واضطربت أحوال السكان وهجر الفلاحون أراضيهم، وانتشرت المجاعات. وقد وصف ابن الأثير هذه الحالـة فقال "... والحروب تطاولت وعم الفساد فصارت الأموال منهوبة، والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة، والسلطنة مطموعاً فيها، وأصبح الملوك مقهـورين بعد أن كانوا قاهرين ... شمل البلاد الخراب وطمع عدو الإسلام فيه"(4)، واسـتمر هذا الحال بعد وفاة بركياروق، فمـع أن الـسلطان محمـد بـن ملكـشاة (498-

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص122؛ النويري، نهاية، جـ23، ص258.

(2) بيات، "السياسة"، ص101-102.

(3) البنداري، تاريخ، ص214.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص70-71.

511هـ/1105-1118م) استطاع بمساعدة أخيه سنجر الـسيطرة علـى الحكـم، وتنحية ابن أخيه محمود بن بركياروق[1]، إلا أن عهده شهد العديـد مـن حركـات التمرد والعصيان، التي قام بها أمراء من العائلة السلجوقية والأمراء التابعين لهم[2]، إضافة إلى ذلك كانت الدولة قد فقدت وحدتها وانقسمت إلى دويلات متناحرة في مـا بينها، فسيطر سنجر على الأجزاء الشرقية منها( خراسان وبلاد مـا وراء النهـر) وأصبح حاكمها الفعلي[3]، واستقل أبناء تاج الدولة تتش ببلاد الشام[4] واستقل كـذلك أبناء سليمان بن قتلمش بآسيا الصغرى في ما عرف تاريخياً بـسلاجقة الـروم[5]، وخضعت كرمان لأبناء قاودر السلجوقي[6]، فانحصرة سيطرة السلطان محمد فـي مناطق إيران والعراق مما مهد لظهور ما عرف بسلاجقة العـراق والـذي يمكـن اعتبار السلطان محمد أول سلاطينهم [7].

زاد من ضعف الدولة وانقسامها ظهور نظام الأتابكيات، والذي كان له الدور الأكبر في تفتت الدولة إلى إمارات صغيرة متناحرة في ما بينها[8]، وتعود نشأة هذا النظام إلى عهد السلطان ملكشاة، ويقوم على أن يعهد السلطان بتربية أبنائه الـذكور لأمراء من أتباعه ويمنحهم حق الوصاية عليهم، فيتولى كل أمير تربية أحد الأبنـاء

---

(1) المصدر نفسه، جـ9، ص79-80؛ الحسيني، أخبار،ص 79؛الحـسيني زبـدة، ص197؛ القلانسي، ذيل، ص147؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص127 .

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص88، ص102-103

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص34-35؛ الحسيني، أخبار، ص77؛ اليافعي، مرآة، جـ3، ص153؛ الجميلي، تاريخ، ص55-57.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص418؛ الحـسيني، أخبـار،ص 63-64؛الحـسيني زبـدة، ص131-132.

(5) الجميلي، تاريخ، ص48-51؛ الجالودي، تطور، ص90. أنظر الملحق: رقم(د)، ص204.

(6) الحسيني، أخبار، ص58.

(7) ابن العمراني، الإنباء، ص211؛ سبط ابن الجـوزي، مـرآة، ق1، جـ ـ8، ص78-79؛ الحسيني، زبدة، ص197-199؛ الراوندي، راحة، ص302؛ البنداري، تاريخ، ص165؛ القلانسي، ذيل، ص218؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص134.

(8) Lane-poople, The Mohammadan Dynasties, pp152.

وتدبير شؤونه، ويحدد له منطقة معينه يحكمها باسم ابن السلطان [1]، لكـن هـؤلاء الأمراء سيطروا على هؤلاء الأبناء لصغر سنهم وحولوا هذه الأتابكيات إلى إمارات وراثية لهم ولأبنائهم من بعدهم وأصبحوا المسيطرون عليها[2].

وفي عهد السلطان محمد استفحل الخطر الإسماعيلي، وانتـشر دعاتـه فـي مناطق واسعة من الدولة، وسيطروا على كثير من القلاع الهامة، والتي شكلت نقاط ضعف في جسم الدولة وجعلت الدولة تكرس كثيراً من جهدها فـي محاربـة هـذا الخطر والحد من آثاره [3].

كما واجهت الدولة السلجوقية في عهد السلطان محمد الخطـر الـصليبي إذ تمكن الصليبيون من الاستيلاء على مناطق واسعة في بلاد الشام والجزيرة الفراتيـة واسيا الصغرى فترة قصيرة لم تتجـاوز العقـد (489-498هـ ـ/1097-1105م) وأسسوا لهم إمارات حصينة في هذه المناطق كإمارات الرها وإنطاكيـا وطـرابلس ومملكة بيت المقدس التي احتلوها سنة 492هـ/1099م[4].

تُوفـي السلطان محمـد بن ملكشـاة سنة 511هـ ـ/1118م وخلفـه ابنـه محمود والـذي كان عمـره لم يتجـاوز أربـع عـشـرة سنـة وبـضعـة شهور[5]، وأعلـن نفسـه سلطاناً عامـاً للسلاجقـة[6]، وخُطـب لـه بالـسلطنة

(1) ابن خلكان، وفيات، جـ2، ص328-329؛ الجالودي، تطور، ص85.

(2) ابن الأثير، الباهر، ص71-52.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص204؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص168-169؛ سـبط ابـن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص2؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص22-24؛ الحـسيني، زبدة، ص139-141، ابن العبري، تاريخ مختصر، ص192-193.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص47-48؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ9، ص19 ابن الأثير، الباهر، ص32-33؛ خليل، عماد الـدين، ص135-136؛ إقبـال، تـاريخ، ص272-274. أنظر الملحق: رقم(و)، ص208-209.

(5) أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص50؛ ابن الأثير، الباهر، ص20-21.

(6) ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص167؛ القلانسي، ذيل، 199؛ ابن العبري، تـاريخ زمـان، ص136، السيوطي، تاريخ، ص338، أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص 50.

ببغـداد[1]، لكن ذلك لم يكن ليرضي عمه سنجر بن ملكشاة والذي كان يعـد نفـسه كبير السلاجقة بعد وفاة أخويه السلطانين بركياروق ومحمد، مما دفعه إلى أن يعلـن نفسه سلطاناً للسلاجقة [2]، وفرض سيطرته على المناطق الممتدة من كاشغر شـرقاً إلى أقصى بلاد اليمن ومكة وخطب له على منابرها[3] ولم يتعرض لحكم ابن أخيـه محمود احتراماً لأخيه السلطان محمد، وأبقى له الولايات التي كانت تحت حكم أخيه محمد[4]، لكن أمراء محمود، استغلوا ضعفه وصغر سنه، فأسرفوا الأموال التي كان أبوه قد جمعها واقتسموها في ما بينهم مما أحدث أزمة مالية فـي دولـة الـسلطان محمود[5]، وحرضوه على عمه سنجر فاستمع إليهم وأعلن تمرده عليه وسـار إلـى حربه والتقى معه عام 513هـ/1120م بالقرب من ساوة، لكن سنجر انتصر عليه وشتت جيشه[6] واعترف الخليفة المستَرشِد له بهذا النصر وخطب له ووضع اسـمه مكان اسم ابن أخيه محمود، وذلك في السادس والعشرين من جمـادى الأول سـنة 513هـ/1120م [7] ثم قبل السلطان سنجر شفاعة أم السلطان محمود لابنها وسـار محمود لاسترضاء عمه، فعفا عنه واتفق الطرفان أن يكون سنجر السلطان الأعظـم للسلاجقة ويلقب محمود بالسلطان، ويخطب له بعد سنجر في المناطق التي يحكمها، وأن يكون تابعاً لسنجر، وأعاد له المناطق التي كان يحكمها ما عدا مدينة الري التي

---

(1) ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص167؛ القلانسي، ذيل، ص198- 199؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص135- 136، السيوطي، تاريخ، ص338.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص168؛ البنداري، تاريخ، ص115.

(3) البنداري، تاريخ، ص110، الراونـدي، راحـة، ص257-260؛ الحـسيني، العراضـة، ص178-184، إقبال، تاريخ، ص276.

(4) ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص182؛ إقبال، تاريخ، ص275-276 .

(5) الحسيني، أخبار، ص88-89.

(6) ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص182-184؛ البنداري، تـاريخ، ص113-114؛ الحـسني، أخبار، ص92.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص184؛سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص89؛ ابـن الوردي، تاريخ، جـ2، ص41

ضمها لمناطق حكمه ليراقب منها تصرفات السلطان محمود كما نَصبه ولياً لعهـده وزوجه ابنته وعندما توفيت زوجه بأُختها[1].

يعد هذا الاتفاق513هـ/1120م التاريخ الرسمي لظهـور دولـة سـلاجقة العراق والتي يعد السلطان محمود أول سلاطينها، كما برز في خراسـان سـلاجقة خراسان والذين يمثلهم السلطان سنجر، وعرفوا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن سـلاجقة العراق كما سموا بالسلاجقة العظام، وكان سلاجقة العراق يعترفون لسنجر بزعامـة السلاجقة، وكما يعترف الخليفة العباسي لهم بذلك[2]، وازدادت بعد هذا الاتفاق قوة السلطان سنجر وأصبح سيد السلاجقة دون منافس واتسع سلطانه، وبعث عماله لجمع الضرائب من كل المدن العراقية وغيرها وبسط نفوذه على سـائر أنحـاء الدولـة السلجوقية[3].

اتّصف حكم السلطان محمود بالضعف فمع أن عمه السلطان سـنجر منحـه المناطق الممتدة من حدود خراسان إلى بلاد الشام، إلا أن معظـم هـذه المنـاطق تقاسمتها الأتابكيات وسلاطين السلاجقة الذين استقلوا ببعض هذه المناطق كـسلاجقة الروم الذين استقلوا في آسيا الصغرى وسلاجقة الشام، واحتل الـصليبيون منـاطق واسعة من بلاد الشام وآسيا الصغرى، لينحصر حكم السلطان محمود فـي منـاطق العراقين العربي والعجمي[4]. كما شهد حكمه ثورات متتالية قام بها إخوته طغـرل ومسعود وسلجوقشاة وأتابكتهم [5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص172؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص185؛ الحسيني، أخبار، ص88-89.280.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص185؛ حلمي، السلاجقة، ص55.

(3) الراوندي، راحة، ص260.

(4) أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص53؛ الحسيني، العراضة، ص115؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص41.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ـ17، ص 186؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ ـ9، ص191-192،207 ؛ أبـو الفـداء، المختـصر، جـ ـ2، ص53؛ الـذهبي، تـاريخ، حـوادث ووفيـات(501-520هـ ـ)، ص181-182، 283-284؛ الأصـفهاني، خريـدة، =

خطب الخليفة المستَرشِد للسلطان محمود وأضفى عليه الخلع، وقلده السلطنة ببغداد بحضور أخيه مسعود [1]، وبقي محمود يحكم سلاجقة العراق حتى وفاته سنة 525هـ/1131م[2].

اشتد تنافس أفراد البيت السلجوقي وأتابكتهم للوصول إلى السلطنة بعد وفـاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م ، فطالب السلطنة كل مـن إخـوة محمـود، مسعود[3] وطغرل[4] وسلجوقشاة[5] وأبناء محمود داود[6] والطفل ألب ارسـلان[7]، واشتبكت هذه الأطراف في نزاعات شديدة[8] تمكن في نهايتها طغرل ابن الـسلطان محمد بمساعدة عمه السلطان سنجر تنصيب نفسه سلطانا لسلاجقة العراق وذلك سنة 526هـ/1132م[9] لكن حكمه لم يسلم من ظهور منافسين له إذ ثار عليـه أخـوه

---

ص191-192؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص 233؛ ابـن خلـدون، العبـر ،جـ ـ6، ص1031-1032، ص1035.

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص192؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص87.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص264؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص259؛ ابن كثير، البداية، جـ11؛ ابن خلدون، العبر ، جـ6، ص1046.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262.

(4) المصدر نفسه، جـ9، ص262؛خليل، عماد الدين، ص 51؛ الوزنة ، الدولـة، ص132-133؛ السامرائي، الدولة، ص289؛ الديوجي، تاريخ، ص271

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ ـ9، ص263؛ أبـو الفداء، المختصر، جـ2، ص68؛ابن الوردي، تاريخ، جـ2، 59-60.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص264؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص259؛ ابن كثير، البداية، جـ11 ؛ابن خلدون، العبر ، جـ6، ص1046.

(7) ابن واصل ، مفرج،جـ1، ص46؛ خليل، عماد الدين، ص51؛ الديوجي، تاريخ، ص271

(8) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262.

(9) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270-271؛ ابن الأثير، الكامل، جـ ـ9، ص263-265؛ أبو الفداء ، المختصر، جـ2، ص68؛ ابن العمـاد، شـذرات، جـ ـ4، ص77؛ الجالودي، تطور، ص93.

مسعود وتبادلا النصر والهزيمة[1]، حتى وفاة طغرل سنة 529هـ/1135م فاستولى مسعود على الحكم وأعلن نفسه سلطاناً لسلاجقة العراق[2].

### 4.3: علاقة الخليفة المسترشِد بالسلاجقة(512-529هـ/1119-1135م)

#### 1.4.3- مرحلة الاستعداد للمواجهة(512-517هـ/1119-1131م)

بويع المسترشِد بالله بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر سنة 512هـ/1119م وقبيل خلافته اشتدت حالة التنافس بين السلاطين السلاجقة الطامحين للسلطة، إذ تحارب السلطان محمود مع عمه السلطان سنجر وتمكن سنجر من هزيمة محمود، ثم عفى عنه وأعاده إلى حكمه[3]، كما ظهر منافسون آخرون للسلطان محمود هم إخوته ( طغرل ومسعود وسلجوقشاه) ونشبت بين هؤلاء الإخوة صراعات امتدت طوال فترة حكم السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م)[4] وأدت هذه الصراعات إلى انشغال السلاطين عن أمر العامة وتركوا إدارة الأقاليم لنوابهم، الذين استغلوا ذلك، فتعدوا على السكان ومارس العديد منهم أعمال الظلم والتعسف؛ ففي سنة 512هـ/1119م قام شحنة بغداد الأمير منكبرس بمصادرة أموال الناس وظلم الأهالي، وأشاع الرعب بينهم: "فاختفى أرباب الأموال وانتقل جماعة منهم إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه، وبطلت معايش الناس وكثر أصحاب الفساد"[5] كما لجأ بعض النواب السلاجقة إلى فرض المزيد من الضرائب، ففي سنة 515هـ/1122م عزم

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص275؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269؛ أبو الفداء، المختصر،جـ2، ص70.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص291؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص278؛ الأصفهاني، زبدة، ص99؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص62.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص184؛أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص53؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص89؛ البنداري، تاريخ، ص113-114؛الحسيني، العراضة، ص115؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص41

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 186؛الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص283-284.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 177؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات (501-520هـ)ص 279؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص10261027.

السلطان محمود على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق،[1]، وإلزام الباعة بدفع ثلثي ما يأخذون من الدلالة[2] " فتزايد الأمر في ذلك وكثر الأذى" [3]، وفي كثير من الأحيان كانت الضرائب تُجبى أكثر من مرة في العام الواحد نتيجة لتغير المحتلـين في ذلك العام[4]، وزاد تردي أحوال الأهالي حدوث الفيضانات وغرق المحاصيل[5]، وانتشار الأمراض والأوبئة[6] وارتفاع الأسعار بشكل كبير عجز معه النـاس عـن تأمين قوت يومهم[7] فأمر الخليفة المستَرشِد أن يتعامل الناس بالدراهم، عشرة بدينار والقراضة اثنا عشر بدينار[8].

كما انحل أمن البلاد وتزايد نشاط العيارين، ففي سنة 512هـ/1119م كثـر أمرهم بالجانب الغربي من بغداد ولم يستطع صاحب الشحنة القضاء عليهم، فنهبـوا محال الناس واستولوا على أموالهم[9] واشتد تمـردهم وأخـذوا يقطعـون الطـرق ويتعرضون للأهالي واستولوا على زوارق قادمة من الموصل إلـى بغـداد سـنة

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص193؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 211.

(2) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص290.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص193.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232-233؛ القلانسي، ذيل، ص210؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1040-1041.

(5) شهدت العراق حدوث فيضانات في سنوات:512هـ/، 515هـ ـ/1122م، 516هـ ـ/1123م، 520هـ/1127م، 517هـ/1124م، ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص196-197، 203-204، 232؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص211، 218)

(6) شهدت العراق انتشار الأمراض والأوبئة في سنوات:512هـ/1119م، 517هـ/1124م، 518هـ/1125م ( ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص163، 224، 232؛ ابن الأثيـر، جـ9، ص225)

(7) ارتفعـت مـستويات الأسـعار فـي سـنوات :512هـ ـ/1119، 516هـ ـ/1123م ،520هـ/1127م، 517هـ/1124م، (ابن الجوزي، المنتظم، جـ ـ17، ص207، 221؛ ابن الأثير،الكامل، جـ9، ص179؛ 225؛ القلانسي، ذيل، ص208)

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207.

(9) المصدر نفسه، جـ17، ص163؛ ابن الأثير،الكامل، جـ9، ص193، ابن كثير البدايـة، جـ11، ص225.

514هـ/1121م، وفتكوا بأهل السواد عدة مرات، ودخلوا بيوتهم وأخذوا ما فيها[1]، وقد أدت هذه الأوضاع بمجملها إلى تردي أوضاع الناس المعيشية، وهجر سكان الأرياف أراضيهم، وتراجع الإنتاج الزراعي، وارتفعت معدلات البطالة[2].

كان الخليفة المسترشِد ورغم أن المصادر لم تذكر توليه مناصب سياسية أو عسكرية قبل خلافته، مطلعا على ما آلت إليه علاقة الخلفاء مع سلاطين السلاجقة وتعديهم على الخلفاء، وكان يدرك أن هذه الأوضاع المتردية ناجمة عن سياسة السلاجقة في العراق وسعيهم لتحقيق مصالحهم بغض النظر عن أحوال السكان، وعبر عن رفضه لهذا الحال حين قال: "فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق، فبغوا علينا، فطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وكثيراً منهم فاسقون"[3]، كما أن الخليفة المسترشِد ولما عرف عنه من صفات الزهد والشجاعة والتدين والإقدام وعلو الهمة [4]، لم يكن ليرضى بهذا الحال، بل كان يسعى إلى تقليص نفوذ السلاجقة ، لكنه كان يدرك أن تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى فترة من الاستعداد والتهيؤ لمواجهة السلاجقة، وفي البداية سار المسترشِد على نهج من سبقه من الخلفاء، بهدف استرضائهم والتودد إليهم، فكان يعلن تأييده للمنتصر منهم في حال حدوث نزاع بينهم. فعندما بويع بالخلافة سنة 512هـ/1119م، كان أبوه قبله يخطب للسلطان محمود بن محمد،

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص185؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص281-282.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص177، ابن كثير، البداية، جـ11، ص256.

(3) النظامي العروضي السمرقندي، چهار مقالة، ترجمة عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب، ص31، نقلاً عن أمين، تاريخ، ص141.

(4) الفارقي، تاريخ، ص285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ بن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 162؛ ابن الأثير، الكامل ، جـ9، ص 283؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص 156؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص 73؛ السبكي، طبقات، جـ7، ص258؛ النّويري، نهاية ، جـ23، ص 277 ؛ الذهبي، سير، جـ19،ص 563؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 259؛ القرماني، أخبار، ص174؛ ابن دقماق، الجوهر، ص163 ؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص 62؛ السيوطي، تاريخ، ص 339؛ ابن العماد ، شذرات، جـ4، ص 86.

فاستمر في الخطبة للسلطان محمود، وفي سنة 513هـ/1120م حدث نزاع بين السلطان محمود والسلطان سنجر وانتصر سنجر فقطع خطبة محمود، واكتفى بالخطبة لسنجر وحده [1]، ثم عفا السلطان سنجر عن ابن أخيه محمود، وأعاده إلى ملكه، فخطب الخليفة المستَرشِد لهما في آن واحد[2]. وفي سنة 514هـ/1121م، أعلن مسعود بن محمد تمرده على أخيه السلطان محمود، فهزمه محمود وقضى على تمرده، ثم عفا عنه وقدما معا إلى بغداد فاستقبلهما كبار موظفي الخليفة، ومثلا بين يديه وقبّلا الأرض فخلع الخليفة على السلطان محمود ووعظه وتلا عليه قوله تعالى" فَمن يعملْ مِثْقَالَ ذَرةٍ خَيراً يره ومن يعملْ مِثْقَالَ ذَرةٍ شَراً يره "[3]، وأمره بالإحسان إلى الرعية ، فقال السلطان محمود: "وفقني الله لقبول أوامر مولانا أمير المؤمنين وارتسامها، فالسعادات معها ..... وسلم الخليفة إلى الوزيرين سيفين، وأمرهما بتقليد السلطان بهما، فلما فعلا قال: أقمع بهما الكفار والملحدين، وعقد له بيده لوائين[4]، واستمر الخليفة يخطب لسلطانيين سنجر ومحمود حتى وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م[5].

لم يتدخل الخليفة المستَرشِد في نزاعات السلاجقة، وظهرا حياده، واعتمد على نوابهم في حماية بغداد، - فعندما حدث نزاع في سنة 512هـ/1119م، بين مسعود وأتابكه البرسقي من جهة ودبيس ومنكبرس متولي شحنة بغداد من جهة

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص184؛ البنداري، تاريخ، ص113-114؛ الحسيني، أخبار، ص92.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص185؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص185.

(3) سورة الزلزلة، الآية 7-8.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص196؛ القلانسي، ذيل، ص238؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص287-288.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص264؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص259؛ ابن كثير، البداية، جـ11 ؛ الحسيني، العراضة، ص115؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.

أخرى، فنهبوا السواد نهباً فاحشاً، واستباحوا النساء- لم يستطع الخليفـة أن يفعـل شيئا، وأرسل إليهما منكراً عليهما ما قاما به ويأمرهما بحقن الدماء وترك الفساد [1].

كما لم تذكر المصادر أن المستَرشِد قام بفعل شيء إزاء ما فعله منكبـرس ببغداد في فترة توليه شحنتها (512-513هـ/1119-1120م) من ظلم وتعدي على الناس ومصادرة أموالهم، واكتفى بالشكوى إلى السلطان محمود من أفعال صـاحب الشحنة[2]، واستفحل خطر دبيس فـي 514هـ ـ/1121م، إذ اسـتغل صـراعات السلاجقة ونهب البلاد وفعل الأفاعيل، فاكتفى الخليفة بالطلب من السلطان محمـود كف دبيس عن فعله[3]، ما جعل دبيس يستمر في أفعاله فنهب بغداد وسوادها وقتـل وسفك دماء أناس كثر، ولم يستطع الخليفة الرد على هذه الأفعال، فبعث إلى دبـيس ينكر عليه ما يقوم به ويأمره بالكف عنها، ولم يستمع دبيس إلى أوامـر الـسلطان محمود له بالكف عن أفعاله، وسار دبيس بنفسه إلى بغداد ونزل بـالقرب مـن دار الخلافة فاضطر السلطان محمود إلى أن يأمر متولي شحنة بغداد بمحاربته فهـرب دبيس إلى الحلة ومنها إلى واسط [4]، وفي سنة 516هـ/1123م تجدد النزاع بـين البرسقي ودبيس بعد أن تولى البرسقي شحنة بغداد وكلفه السلطان محمود بمحاربـة دبيس، والتقى الطرفان في معركة لم يشترك فيها الخليفة ، انتـصر فيهـا دبـيس وفرض شروطه على البرسقي والخليفة[5] .

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص186-187؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ ـ9،ص 176-177.

(2) المصدر نفسه، جـ9،ص 177؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيـات (501-520هـ ـ)ص 279؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1026-1027.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص186-187؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص194؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1033.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 195-197؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ ـ9،ص 193-194؛

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 204-205؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ ـ9،ص 213-214؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص235-236؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1036.

وفي مجال الوزراء وتعينهم سار الخليفة المسترشد في هذه الفترة (512-516هـ/1119-1123م) على نهج الخلفاء السابقين، إذ امتثل لإرادتهم في تعيين من يرونه مناسباً، وعزل غيره، فبعد بيعته أقر الوزير أبا شجاع محمد بن الحسين (ت561هـ/1166م) وذلك نزولاً عند رغبة أبيه وزير السلطان محمود، لكنه عاد وعزله سنة 513هـ/1120م إثر مقتل والده [1]، وفي سنة 516هـ/ 1123م، عزل وزيره ابن صدقة وولّى مكانه الوزير نظام الملك أحمد بن نظام الملك الطوسي، بتأثير من أخيه شمس الدين عثمان بن نظام الملك الطوسي وزير السلطان محمود [2]، ثم عزله بعد عدة شهور عندما طلب منه ذلك السلطان محمود[3].

ويبدو أن الخليفة المسترشد كان مضطراً إلى هذه السياسة في هذه الفترة من خلافته لإدراكه أنه لا يستطيع مواجهة السلاجقة، فعمل على إرضائهم مع الاستعداد لمواجهتهم فبعد بيعته سنة512هـ/1119م سعى الخليفة إلى تثبيت أركان دولته فعمد إلى القضاء على حركة أخيه أبي الحسن بالاعتماد على جيش دبيس بن صدقة، كما خلص إدارته من غير الموالين له، فعزل صاحب المخزن يوسف بن أحمد الخرزي (ت513هـ/1120م) وقبض على القضاة علي بن كمونة وابن غيلان و الكاتب علي بن افلح البغدادي وجماعة معهم بتهمة التعاون مع حركة أخيه، ودبيس ابن صدقة [4].

عمل المسترشد على التقرب من العامة للاعتماد عليهم في ما قد يحدث من نزاعات مع السلاجقة، فأظهر تمسكه بأهداب الدين الإسلامي وأراق الخمور في

---

(1) ابن الدبيثي، ذيل، جـ1، ص 227-228؛ الذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص293.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص516؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 304.

(3) ابن العمراني، الإنباء،ص 216؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص250-251؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص248؛ سبط ابن الجوزي مرآة، ق1،جـ8، ص127؛ ؛ابن كثير، البداية، جـ11،ص246؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص66.أنظر الفصل الثاني: الوزارة في خلافة المسترشد .

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص163؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص169-170؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص83.

سوق السلطان ونقض بيوت أصحابها[1]، وأسقط من الإقطاع المختص به كل جور، وأمر أن لا يؤخذ إلا ما جرت به العادة القديمة، وأسقط مـا اسـتحدثه الـسلاطين ونوابهم من ضرائب فأسقط ضمان غزل الذهب، محاولاً التخفيف عـن الـصناع والتجار ما يلقونه من أذى العمال وخسارة أموالهم[2]. كما ضبط الخليفة أمـور دار الضرب إثر ما حدث فيها من مخالفات، إذ اشتكى عمالها أنهم يخـسرون، وحـين عرض الأمر على صاحب المخزن ابن طلحة، منعهم من الشكوى، فسمع الخليفـة بالخبر، فأمر بإجراء تحقيق في الأمر، فأظهرت التحقيقات أن العمال يربحون، وأن صاحب المخزن يعاونهم في ذلك، مقابل حصوله على سبعين ديناراً شهرياً، فـأمر الخليفة باعتماد الوزير الزينبي مسؤولاً عن دار الضرب، فأثر على إيرادات صاحب المخزن[3] واستطاع بعدها عمال الضرب التأثير على الوزير ابن طراد والذي حقق الأرباح الكبيرة، بدليل أنه عزل وقبض عليه، كما قبض معه على كاتب الزمام ابـن الوزان، فكانت ثروة الوزير كبيرة، "عثر عنده على سبعين قطعـةً فـضة سـوى المراكب، ونيفاً وثلاثين قطعة فضة ومعضدة وقيمتها مائة ألف دينار، واستمر نقـل ما عنده من أثاث ثلاثة أيام"[4]، كما استغل الخليفة انشغال السلاجقة فـي نزاعـاتهم وتهديدات دبيس لبغداد وغاراته عليه لمرات عديدة، لتأسيس جيش خاص به خصص له الأرزاق والسلاح وأعاد العمل بديوان العرض الخاص بالجند، ونما هذا الجـيش بسرعة حتى بلغ تعداده سنة 517هـ/1124م، اثني عشر ألف فارس [5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص187؛ الـذهبي، تـاريخ ، أحـداث ووفيـات (501-520هـ)، ص285.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 179؛ فوزي، فاروق عمر، النهوض العربي فـي العـراق والأقاليم المجاورة في العصور العباسية الأخيرة(247-656هـ ـ/861-1258م)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد 1989م، ص130، سيشار إليه تالياً فوزي، النهوض

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص269.

(4) ابن حمدون التذكرة، ص173؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص272؛ سبط ابن الجوزي، مرآة،ق1، جـ8، ص140.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 179؛ سبط ابن الجوزي، مـرآة، ق1، جـ ـ 8، ص109-110؛ النويري، نهاية، جـ23، ص266.

كان لهذه الإجراءات التي قام بها المستَرشِد أثرها الواضح في نفوس الناس، فازداد ولاؤهم له فأصبحوا يحبونه لرحمته بهم، والتفوا حوله في حروبه مع دبيس والسلاجقة طوال فترة خلافته(512-529هـ/1119-1135م) " وكان محبباً فيهم بمرة، لما فيه من الشجاعة والعدل والرفق بهم"[1] كما حاز المسترشِد على ثقة السلاطين السلاجقة رغم تخوفهم منه، فأقطعه السلطان سنجر سنة 513هـ/1120م عشرة آلاف دينار، كما نال الوزير المبلغ نفسه[2]

### 2.4.3- المرحلة الثانية: المواجهة الأولى (517-525هـ/1124-1131م)

كان الخليفة المستَرشِد يدرك أن السلاطين السلاجقة لم يهتموا بحماية بغداد بالقدر الكافي، وأنهم كانوا قادرين على إزالة ما يشكله دبيس بن صدقة من تهديد لكنهم أرادوا إبقاءه أداة ضغط على الخليفة لتحقيق أهدافهم والحد من طموحاته، وهذا ما ذكره ابن الجوزي حين قال" فإن دبيس كان يعادي المستَرشِد بالله، ويكره خلافته، ولم يكن يعلم أن السلاطين إنما يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارعة المستَرشِد..." [3]، فبادر الخليفة المستَرشِد إلى الاعتماد على جيشه الخاص في مواجهة تهديدات دبيس، ومحاولة التقليص من النفوذ السلجوقي في العراق[4]، فبعد هزيمة شحنة بغداد من قبل دبيس سنة 516هـ/ 1123م، وفرض شروطه على الخليفة ومتولي الشحنة[5]، أظهر دبيس ولاءه للخليفة وطلب الصفح والعفو فعفا عنه [6]، لكنه لم يلتزم بما أُتفق

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص205-210؛ الكازروني، مختصر، ص22؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219-220؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8، ص109-110؛ الأزدي، أخبار، جـ2، ص443؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص297-299؛ الذهبي، سير، جـ19، 565-566.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص173.

(3) المصدر نفسه، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 285؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص204.

(4) EI$^2$, Saldjukids, VIII pp 943.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 214؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ 8، ص 100-101، ابن العديم ، بغية، جـ7، ص3480.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 214.

عليه مع الخليفة واستمر في اعتداءاته على بغداد وما جاورها فنهب واسط وأخذ كل ما للخليفة فيها ونهب منطقة نهر مالك ببغداد وأجلى الناس عنها [1]، فاستعد الخليفة لمواجهة دبيس وجمع عساكره[2]، واستغل مركزه الديني والروحي في استنهاض أهل بغداد [3]، فاستصدر فتوى شرعية تبيح قتال دبيس" لأنه يسب الصحابة، ويترك الصلوات، وليس في بلاده مؤذن، ولا جمعة، وأنه يشرب الخمر في نهار رمضان، وأنه يسفك الدماء"[4]، فالتف حوله العامة، وخرج الخليفة يقود جيشه بنفسه[5]، في موكبٍ عظيمٍ يضم كبار رجال دولته وعليه بردة الرسول (صلى الله عليه وسلم)[6]، واشتبك مع دبيس في معركة كبيرة قاتل فيها الخليفة بنفسه، وانتصر فيها، وقتل وأسر عدد كبير من عسكر دبيس[7].

اكتسب هذا الانتصار أهمية خاصة في هذه الفترة من حياة الخلافة العباسية في ظل السيطرة السلجوقية، وحقق الخليفة بعض المكاسب منها:

1- مثّل هذا الانتصار نقطة تحول في تاريخ خلفاء هذه الفترة، فلأول مرة في ظل السيطرة السلجوقية يقف الخليفة بوجه معارضيه ويحاربهم بنفسه في معركة كبيرة، فبدت الخلافة قادرةً على أن ترد المعتدين عنها [8].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص209؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 215.

(2) القزاز، الحياة، ص62-63.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 219؛ فوزي، النهوض ، ص131.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ 8، ص 100-101؛ الجالودي، تطور، ص17.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 219.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 219.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص205-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص219-221. ابن الأثير،الباهر،ص26-27؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص109-110. الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات(501-520هـ)،ص297-299.

(8) السامرائي، الدولة، ص 284.

2- التأكيد على قوة الخليفة الروحية ودوره في إثارة العامة للمشاركة في الدفاع عن بغداد والوقوف في وجه المعتدي[1].

3- مواجهة التهديد الذي يمثله دبيس والحد من قدرته على الاستمرار في تنفيذ مخططاته في الاعتداء على بغداد[2].

4- شكل هذا الانتصار نقطة تحول في سير العلاقات بين الخليفة والسلاطين السلاجقة، إذ أكد على قدرته على التأثير في مجريات الأحداث في العراق وجوارها، وبدأ السلاجقة يتخوفون من تأثير الخليفة على نفوذهم في العراق[3].

عاد الخليفة بعد انتصاره إلى بغداد، وهو يدرك ما سيترتب عليه من تحول في علاقته مع السلاطين السلاجقة، فأخذ يعد عاصمته لمواجهة هذه النتائج؛ فعمل على تحصينها عن طريق إحاطتها بسور يساعد في حمايتها. وبدايةً جمعت الأموال اللازمة لهذا السور من العامة والتجار لكن هؤلاء ضجوا على ذلك ، فأعاد الخليفة أموال الناس إليهم، واستمر في بنائه من ماله الخاص[4]، مما دفع الناس إلى الالتفاف حوله والمشاركة في بناء السور؛ إذ كان كل أهل محلة يعملون يوماً حتى تم بناءه [5]، وأدى إتمام هذا السور في زيادة تماسك أهل بغداد، ووحدتهم ومكنّهم من مواجهة الأخطار وزاد ولائهم للخليفة" ... وحق الله يا مولانا أن الذي تتحدث به الناس فيما بينهم من أن أحدهم كان يعود من معيشته ويأوي إلى منزله، فيدعو بالنصر والحفظ للدولة"[6]. وتنبه السلاجقة لما كان يحدث في بغداد، وأدركوا أن

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 219.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص228-229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232-233؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241.

(3) السامرائي، الدولة، ص285.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص110؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات(501-520هـ)ص 298.

(5) ابن الجوزي، مناقب،ص15-18؛ الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص298.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص218-219.

الخليفة المستَرشِد بات يشكل خطراً على نفوذهم في العراق، وأنه يسعى للاسـتقلال بالعراق.

كان الأمير طغرل بن محمد حاكم ساوة وآرة وزنجار أول المبـادرين مـن السلاجقة لمحاربة الخليفة إذ أنه كان يرغب في التمرد على حكم أخيه الـسلطان محمود منذ عام 513هـ/1120م[1] ، لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه بسبب ضـعفه في مواجهة قوة أخيه محمود، وفي سنة 518هـ/1125م أتيحت له إمكانية تحقيـق هدفه بالتعاون مع دبيس الذي فر إليه بعد هزيمته من الخليفة سنة 517هـ/1125م وحرضه على احتلال العراق، وإجبار الخليفة على أن يخطب له بدلاً من الـسلطان محمود، فاتفقت مصالح الاثنين؛ فطغرل يسعى إلى الإطاحة بحكم أخيـه محمـود، ودبيس يسعى إلى الثأر من الخليفة والعودة إلى إمارته في الحلة [2].

وعلم الخليفة بنوايا دبيس وطغرل في مهاجمة بغداد؛ فأخذ يستعد لمواجهـة هذا التحالف فمن الناحية السياسية عمل الخليفة على تحسين علاقاتـه مـع كبيـر السلاجقة السلطان سنجر، فسعى إلى الزواج من ابنته، وبعث قائد جيشه الأمير نظر وكاتب الإنشاء ابن الأنباري إلى خراسان لخطبتها إليه، وتـم الـزواج فـي سـنة 518هـ/1125م، وكان المتولي للعقد والخطاب القاضي أبو سعيد الهروي[3]، ومن الناحية العسكرية لم يبد الخليفة أية علامات للتنازل أو المساومة، بل أمر وزيره ابن صدقة بالتأهب لمحاربتهم وجمع الجيوش، واستنجاد الأجناد لمواجهة تحالف دبـيس وطغرل ومضى الخليفة سنة كاملة يعد جيشه ويتأهـب لمواجهتهمـا،[4] وحـرض العامة على الاستعداد لمواجهة الخطر الذي يهدد بغداد ووزع السلاح بينهم [5].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص181-182؛ الذهبي، تـاريخ، حـوادث ووفيـات (501-520هـ)، ص213؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1035

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 219-220، 228؛ ابن الأثيـر، الكامـل، جـ9، ص221.ابن خلدون، العبر ، جـ6، ص1040.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص224-225؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 224؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232.

(5) المصدر نفسه، جـ9، ص232.

أما الدولة السلجوقية ممثلة بالسلطانين سنجر ومحمود ، فلم تذكر المـصادر أي دور لهما في وقف هذا الهجوم، لا بل يبدو أن السلطان سنجر سـمح لـدبيس وطغرل بالقيام به، إذ إنهما لجأ إليه بعد هزيمتهما من قبـل الخليفـة واسـتجاب لتحريضهما ضد الخليفة(1).

بعد أن أكمل الخليفة استعداداته سار على رأس جيشه والذي قدر عدده باثني عشر ألف فارس، بالإضافة إلى من شاركه من عامة بغداد، فخرج من باب النصر يرتدي السواد وعليه البردة وبيده القضيب، يرافقه كبار رجال دولته وقسم جيشه إلى فرقتين قاد الأولى بنفسه، وأوكل للوزير ابن صدقة قيادة الثانية، واتخذ من منطقـة الدسكرة على مشارف بغداد معسكراً لقواته(2)، فيما نزل طغرل في منطقة جلولاء، ونزل دبيس في منطقة الهارونية(3).

تخوف طغرل ودبيس من مواجهة الخليفة بعدما سمعا عن قوتـه، ووضـعا خطة جديدة تقوم على أن يلتقيا ويصلا إلى بغداد فينهباها، وقام دبيس بتنفيذ مهمتـه من الخطة، في ما أعاق المرض والمطر طغرل عن تنفيذ ما تعهد بـه، واقتربـت جنود دبيس من بغداد، فخشيهم الناس وأخذوا أسلحتهم، وخشي الخليفة على بغـداد بعدما سمع بقرب جنود دبيس منها، فأسرع وأدرك دبيس من غيـر أن يعلـم بـه، وقبض عليه ثم عفا عنه، فهرب واتصل بطغرل الذي بقي في معسكره بعيداً عـن بغداد، وسارا إلى السلطان سنجر وحرضاه على الخليفة والسلطان محمود(4)، كـان رأي الوزير ابن صدقة قتل دبيس لكن الخليفة عفا عنه وأخلى سـبيله، ويبـدو أن

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص233؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1042.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص224 ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1041.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص228؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1041.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1042.

الخليفة أخطأ في ذلك إذ بقي يشكل خطـراً علـى الخلافـة حتـى وفاتـه سـنة 529هـ/1135م .

أثار انتصار الخليفة مخاوف السلطانين سنجر[1] ومحمود، فمـع أن سـنجر أظهر ولاءه وتبعيته للخليفة فسجن دبيس تقرباً له، إلا أنه بدا يفكر في الخطر الذي يشكله الخليفة وما يتمتع به من قوة روحية وعسكرية، فعزم على مهاجمـة بغـداد وتوعد الخليفة، ووزيره، فكتب إليه الوزير ابن صدقة مهدداً إياه قـائلاً:" والله لـئن تحركت لأقطعن جميع ما وراءك عنك، وأقطعك عنه، ولئن سرت فرسخاً لأسـيرن إليك فرسخين"[2]، ولكنه تراجع عن تنفيذ مخططه في مهاجمة بغداد وقد يكون ذلك عائداً لانشغاله في حروبه في بلاد ما وراء النهر، وخشيته من قوة الخليفة خاصـة بعدما سمعه من تهديدات الوزير ابن صدقة.

وكان الخليفة يعرف ما يكنه السلطان سنجر له من عداء وأنه يسعى لتقليص نفوذه، والحد من طموحاته في الاستقلال بالعراق، فسعى إلـى عقـد تحـالف مـع السلطان محمود ضده، وتبادل الخليفة الرسائل مع السلطان محمود، وشكر محمـود الخليفة على موقفه في وجه طغرل ودبيس: " قد علمت ما فعلت لأجلي، وأنا خادمك وصائر إليك" واتفق الخليفة ومحمود على التحالف في وجه سنجر وأن يشتركا فـي قتاله ويكون محمود في السلطنة وحده [3] .

خشي السلطان سنجر من هذا التحالف، وأدرك أن الخليفة يسعى إلى التخلص من السيطرة السلجوقية، وأن تحالفه مع محمود مجرد وسيلة لتحقيق أهدافه، فأرسل إلى ابن أخيه محمود وحذره من التحالف مع الخليفة، وأن الخليفة سيغدر به بعـدما يتخلص من سنجر، فقال له : " أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك، فإذا اتفقتما علي، فرغ مني، وعاد إليك، فلا تلتفت إليه، وأنت تعلم أنه ليس لي ولـد ذكر، وأنك ضربت معي مصافاً، وظفرتُ بك، فلم أسئ إليك، وقتلت من كان سـبباً

---

[1] حتاملة، "دور"، ص280.

[2] ابن الطقطقا، الفخري، ص305..

[3] ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص231؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ) ص308؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص242.

لقتالنا، وأعدتك إلى السلطنة، وجعلتك ولي عهدي، وزوجتك ابنتي، فلما مضت إلـى الله تعالى زوجتك الأخرى، ورأيي فيك رأى الوالد، فالله الله أن تعول على ما قـال لك، ويجب بعد هذا أن تمضي إلى بغداد، ومعك العساكر فتقبض على وزير الخليفة ابن صدقة، وتقتل الأكراد الذين قد دونهم، وتأخذ النزل الذي قد عمله وجميـع آلـة السفر، وتقول: أنا سيفك وخادمك وأنت تعود إلى دارك على ما جـرت بـه عـادة آبائك، وأنا لا أحوجك إلى تعسف، فإن فعل وإلاّ أخذته بالشدة، وإلاّ لم يبق لـك ولا لي معه حكم"[1].

وتزامنت تحذيرات سنجر مع شكوى الأمير برنقش الزكوي متـولي شـحنة بغداد من الخليفة، الذي جرى بينه وبين موظفي الخليفة خلافات سيطر على أثرهـا الخليفة على أملاك السلاجقة في بغداد، فخشي الزكوي على نفسه، وغـادر بغـداد واتجه إلى السلطان محمود وحذره من الخليفة ونواياه، وأنه يجمع العـسكر ويعـد للاستقلال بالعراق وإنهاء السيطرة السلجوقية، وأنه قاد العساكر وخاض الحـروب وزادت ثقته بنفسه، وإذا لم تعالج هذا بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعاً ومنعك، وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيده [2]، وأن الخليفة كون جيشاً خاصاً تألف من عناصر متعددة مثل العرب والأكراد، كما استطاع الخليفة اسـتقطاب الأمـراء المناوئين للسلاجقة، فزادت قوته بهم [3].

كان لتحذيرات السلطان سنجر وشكوى متولي شحنة بغداد أثرها الواضح في نفس السلطان محمود فأخذ يتخوف من نوايا الخليفة،[4]، وعزم على التوجـه إلـى بغداد والسيطرة عليها، والقضاء على قوة الخليفة[5].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص231-235؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيـات(501-520هـ) ص308.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص237؛ابن خلدون، العبر،جـ6، ص 1042-1043.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229.

(4) الجالودي، تطور، ص118.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص238؛ابن خلدون، العبر،جـ6، ص 1043.

أما الخليفة المسترشد فعمل في البداية على محاولة ثني السلطان محمود عن السير إلى العراق وأرسل إليه كاتب الإنشاء ابن الأنباري يقول له " تقنع أن تتـأخر في هذه السنة عن بغداد لقلة الميرة والناس في عقب الغلاء"[1]، وتعذر الخليفة بـأن العراق لا يكفي لعسكر السلطان، وخاصة بعدما خربه دبيس، كما أن الخليفة يمتلـك العسكر الذي يحتاج إلى نفقات كبيرةٍ لا يمكن للعراق أن يكفها إذا مـا دخـل إليـه عسكر محمود [2]، لكن ذلك لم يثن السلطان محمود عن عزمه على التوجـه إلـى بغداد، فلجأ الخليفة إلى الاستعداد لملاقاته والدفاع عن عاصمته، فسعى إلى استقطاب العامة حوله مستغلاً مكانته الدينية وحب الناس له[3]. وفي الجانب العسكري شـرع في حفر الخنادق وتوزيع الأسلحة على الناس وجمع العساكر وأمر النـاس بـإخلاء الجانب الشرقي من بغداد، والعبور إلى الجانب الغربي، وأغلق أبواب السور، ولـم يبقَ منها سوى باب النوبة[4]، وحاول ضم بعض المناطق المجاورة، وفتح جبهـات جديدة ضد السلطان محمود ونائبه في البصرة عماد الدين زنكي، فأرسـل الخليفـة قائده (عفيف) إلى واسط للسيطرة عليها، ومنع نواب السلطان من دخولها، فوصـلها عفيف والتقى بعماد الدين زنكي، ووقع القتال بين الطرفين، فانتصر زنكـي وفـر (عفيف) وعاد إلى بغداد[5].

وصل السلطان محمود إلى مشارف بغداد في الرابع مـن ذي القعـدة سـنة 520هـ/1127م وفرض عليها حصاراً شديداً، ونهب جنوده بعض دور الناس، لكنه لم يستطع دخولها[6]، فحاول فرض الصلح على الخليفة ودخول بغداد، وأرسل إليـه

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 231؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ) ص308.

(2) ابن العمراني، الإنباء،ص 216.

(3) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات( 501-520هـ)، ص309.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 232 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص238؛ابن خلـدون، العبر،جـ6، ص 1043.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص238.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 232 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص238؛ابن خلـدون، العبر،جـ6، ص 1043.

شحنة بغداد الزكوي، الذي اجتمع مع الخليفة بحضور كبار موظفي دولته في رفض الخليفة عرض السلطان محمود، والسماح له بدخول بغداد، ورد على هذا العرض بالقول:"أن أقول له يجب أن تتأخر هذه السنة عن العراق فلا تقبل، ما بيني وبينك إلا السيف" وكان الخليفة في حالة شديدة من الغضب، إذ كاد يقتل الزكوي لولا أن ذكره الوزير ابن صدقة أن هذا رسول [1].

غضب السلطان من رد الخليفة، وشدد حصاره على بغداد، وحصل بعض القتال بين الطرفين، ودخل جنود السلطان إلى دار الخلافة في الجانب الشرقي ونهبوا القصر وحجر الخليفة وذلك في الأول من محرم سنة 521هـ/1128م، فضج الناس واجتمعوا وثاروا ونادوا الغزاة الغزاة وجاءوا من كل ناحية، ولما رآهم الخليفة نادى بأعلى صوته: يالهاشم، يالهاشم، وأمر بالعبور إلى الجانب الشرقي، فعبر الخليفة ومعه ثلاثون ألفاً من العسكر والعامة، واشتبكوا مع جنود السلطان، وقتلوا عدداً منهم وأخرجوهم من بغداد، وأمر الخليفة بحفر الخنادق؛ فحفرت بالليل ووقع القتال لعدة أيام[2]، اضطر الخليفة بعدها لقبول الصلح حقنا لدماء أهل بغداد[3] ولانسحاب بعض الأمراء من جيش الخليفة، وانضمامهم إلى جيش محمود، كما وصل عماد الدين زنكي في جيش كبير لمساعدة السلطان[4]، وأتفق الطرفان على إنهاء القتال والسماح لجنود السلطان بدخول بغداد ، ومع أن المصادر لم تذكر ما أتفق علية بشكل صريح، لكن يمكن من خلال متابعة الأحداث اللاحقة نستخلص أنهما اتفقا على:

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 232؛ المقابلة، إحياء، ص58.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 239 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص239؛ الذهبي، دول، جـ 2، ص31؛ ابن خلدون، العبر،جـ6، ص 1043-1044.

(3) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات( 501-520هـ)، ص310-311.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 242-243؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص239؛ ؛ الذهبي، دول، جـ 2، ص 31؛ ابن خلدون، العبر،جـ6، ص 1044؛ السامرائي، الدولة، ص288؛ مقابلة، إحياء، ص58.

1- أن يتعهد الخليفة بأن لا يعود إلى جمع الجيوش، ولا يخرج لقتـال ولا يقود الجيوش[1]، ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة 525هـ/1131م، أن الـسلطان محمود اضطر لمغادرة بغداد، والتوجه لقتال أخيه مسعود الذي أعلن تمرده عليـه، فخشى الخليفة أن يهاجم دبيس بغداد بعد مغادرة السلطان محمود فقال للسلطان:" إنك تعلم ما بيني وبينك من العهد واليمن، وإنني لا أخرج ولا أدون عسكر، وإذا خرجت عاد العدو وملك الحلة، وربما يتجدد منه ما تعلم، فقال له: متى رحلت عن العـراق وجدت له حركة وخفت على نفسك وعلى المسلمين وتجدد لي أمر مع أخي فلم أقدر على المجيء، فقد نزلت عن اليمين الذي بيننا، فمهما رأيت من المصلحة فافعله"[2].

2- أن يدفع الخليفة مبلغاً من المال للسلطان، وأن يسلم ما عنده من سلاح وخيل وغير ذلك من معدات الحرب[3].

3- أن يتعهد السلطان بحماية بغداد من دبيس .

4- أن يقوم السلطان بعزل برنقش الزكوي عن شحنة بغداد[4].

أظهرت هذه الأحدث مدى قدرة الخليفة على اسـتنهاض العامـة وتجميـع الجيوش وقيادتها، وما يتمتع به من سلطات روحية جعلت أهل بغداد يلتفون حولـه ويدافعون عن الخلافة بكل قوة، كما كان الخليفة قادراً على استقطاب القوى المناوئة للسلاجقة.

حقق ما أُتفق عليه الخليفة والسلطان محمود مصالح السلاجقة، وثبت نفوذهم في العراق، وحد من طموحات الخليفة في الاستقلال، ونص على ما طلبه السلطان سنجر من السلطان محمود حين أمره بالتوجه إلى بغداد سـنة 519هـ ـ/1126م، واستقرت علاقات المستَرشِد مع السلاجقة بعد هذا الاتفاق وحاول الخليفـة توثيـق علاقاته مع السلطان سنجر لما له من تأثير في مجريات الأحدث فبعث إليه النقيـب

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص239.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 263-264.

(3) 232 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص239؛الحسيني، العراضة، ص115.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 244 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص241.

ابن طراد الزينبي ومعه الخلع وطلب منه إبعاد دبيس من بلاده، فأكرم السلطان ابن طراد لكنه أبقى على دبيس بجواره[1].

اتسمت علاقات الخليفة بالتوازن في الفترة المتبقية من حياة السلطان محمود (522-525هـ/1129-1131م)، إذ نفذ كل طرف ما أُتفق عليه وكان الخليفة يخطب للسلطان سنجر والسلطان محمود[2]، وقام السلطان بواجبه بحماية بغداد من دبيس، ففي سنة 522هـ/1129م، وصلت أخبار تفيد بنية دبيس مهاجمة بغداد، فانزع الخليفة وأهل بغداد وكتب الخليفة إلى السلطان محمود " إنك إن لم تمنعه من المجيء، وإلا احتجنا أن نخرج إليه، وينتقض العهد الذي بيننا" فبادر السلطان إلى المجيء إلى بغداد ومنع دبيس من الاعتداء عليها[3].

### 3.4.3- المرحلة الثالثة: المواجه الثانية والاستقلال(525-529هـ/1131-1135م)

سعى الخليفة المستَرشِد في هذه الفترة إلى الاستقلال بالعراق مستغلا إنشغال السلاطين السلاجقة في نزاعاتهم حول السلطة[4] بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م، وحروب سنجر مع القبائل القرخطائية في بلاد ما وراء النهر [5].

فقبيل وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م، استطاع الخليفة التخلص مما أُتفق عليه مع محمود سنة 521هـ/1130م مستغلاً عدم مقدرة السلطان على الوفاء بما تعهد به من حماية بغداد من دبيس بسبب انشغاله في القضاء على تمرد أخيه مسعود، وترك السلطان محمود للخليفة حرية تكوين الجيوش لحماية بغداد في

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 244 .

(2) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17، ص 249.

(3) المصدر نفسه، جـ17، ص 250-252.

(4) EI², Saldjukids, VIII pp 943

(5) إقبال، تاريخ، ص282-283.

حال عدم مقدرته على ذلك، فلم يستطع محمود تنفيذ واجبه تجاه بغداد ولذلك اعتبر الخليفة ما اتفق عليه منتهيا"[1].

عاد الخليفة إلى تنظيم الجند وتدوينهم في ديوان العرض، واستولى بعد وفاة السلطان محمود على جميع ممتلكات السلاجقة في بغداد، وسير قائده (إقبـال) إلـى الحلة وأمره على بابل وضم إليه عشرة آلافِ مقاتل من العرب والترك والأكراد[2]، واستقطب الأمراء المناوئين للسلاجقة في الشام والعراق والجزيرة الفراتية، وجاءته العساكر من الشام وديار ربيعة وانضم إليه الأعراب والأكراد ووقعت الهيبـة فـي قلوب السلاجقة "[3].

تجددت صراعات السلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان محمود، إذ أوصـى السلطان محمود قبل وفاته بالحكم لابنه داود، وأقيمت له الخطبة في بـلاد الجبـل وأذربيجان، يعاونه أتابكه آقسنقر الأحمديلي ووزيره أبو القاسم الأنساباذي[4]، وبعث يطلب الخطبة من الخليفة، فرفض الخليفة لعلمه بمنافسة أعمامـه أبنـاء الـسلطان محمد( مسعود، طغرل، سلجوقشاة) له، [5] وكما رفض المستَرشِد طلب عماد الدين زنكي الخطبة للطفل ألب أرسلان بن محمود والذي يتولى زنكي أتابكته[6]، ورفض الخليفة كذلك طلب مسعود بالخطبة له[7]، وأخرج الخليفة نفسه من دائرة الـصراع حول السلطة، وأرجع أمر تحديد سلطان سلاجقة العراق إلى السلطان سنجر ، فهو

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 263-264؛ القـزاز، الحيـاة، ص 47؛ الجـالودي، تطور، ص119؛مقابلة إحياء، ص58.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص217.

(3) المصدر نفسه، ص217

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 264؛ ابن الأثير، الكامل، ص259؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262.

(6) أبو الفداء، المختصر، ص66-67؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.السامرائي، الدولة، ص288-289.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262.

المتحكم بالخطبة ولا يخطب لأحد من دون علمه، كونه "عم القـوم وكبيـرهم "[1]، ويبدو أن الخليفة أقدم على هذا الفعل مدفوعاً بالعوامل التالية:

1- أن الخليفة يدرك أن قوة السلاجقة تكمن في سنجر الذي يمتلك خراسـان ويسيطر على مناطق واسعة، فأراد الخليفة بذلك توجيه أنظـار المتنافـسين حـول السلطة إلى هذه القوة، سعياً منه إثارة نقمتهم عليها وإحداث نزاعات معها[2].

2- أن الخليفة لا يمكنه الركون لأي من المتنافسين لتكافئهم في القوة وعدم ثقتهِ بأي منهم لفرض سيطرته التامة على الآخرين[3].

3- أراد الخليفة إبعاد السلاجقة عن العراق و بغداد بشكل خاص خشية منـه على أهلها وتجنيبها عواقب صراعاتهم[4].

كسب الخليفة بفعله هذا رضى السلطان سنجر وضمن تأييده له[5]، وأصـبح يقوم بدورٍ محوري في صراع السلاجقة، وعمل على تأجيج الصراع بينهم فبعد أن رفض الخطبة لأي من السلاطين المتنافسين عاد في سنة 526هـ/1132م وخطب لداود بن محمود، مما أثار غضب مسعود بن محمد الذي طلب العون من صـاحب الموصل عماد الدين زنكي، فوعده بالمساعدة واشتبك مسعود مع ابـن أخيـه داود وانتصر عليه [6]، وزاد عدد الساعين للسلطة؛ فطلبها بالإضافة إلى داود ومـسعود سلجوقشاه بن محمد بتحريض من أتابكه قراجة الساقي صاحب فارس وخوسـتان ، وسار سلجوقشاه إلى بغداد فأكرمه الخليفة، وتبعه أخوه مسعود، ووقع القتال بين جند زنكي المتحالف مع مسعود وجند سلجوقشاه فَهزم زنكي[7].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 47؛ ابـن خلـدون، العبر، جـ 6، ص1046

(2) ابن خلدون، العبر،جـ6، ص1046.

(3) أبو الفداء، المختصر، ص66؛ السامرائي، الدولة، ص288-289.

(4) السامرائي، الدولة، ص289؛ المقابلة، إحياء، ص56.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263 ؛ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263؛ أبو الفـداء، المختصر، ص68؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047.

أما السلطان سنجر فأراد القضاء على صراعات داود ومسعود وسلجوقشاه وتنصب طغرل بن محمد المقيم عنده منذ هزيمته من الخليفة سنة 519هـ/1127م[1] وسار إلى بغداد على رأس جيش كثيف ومعه طغرل، فحاول الخليفة تكوين جبهة مضادة لهذا التحالف، وجرى مفاوضات مطولة بين مسعود وداود وسلجوقشاة، أفضت إلى عقد تحالف بينهم، تعاهدوا فيه على الوقوف في وجه السلطان سنجر وطغرل وعلى أن يكون العراق للخليفة وحده، وتكون السلطة لمسعود ويكون سلجوقشاة ولياً للعهد وتعاهدوا على محاربة سنجر [2]، بهذا يكون الخليفة قد ضم تأيد هؤلاء المتنافسين لاستقلاله بالعراق ووقوفهم إلى جانبه في وجه سنجر، ومحاولاته الحد من طموحات الخليفة.

علم سنجر بهذا التحالف فخشي على نفسه، وأرسل إلى الخليفة مظهراً طاعته له وقال" أنا العبد ما أردت مني فعلت" فلم يقبل الخليفة منه ذلك ورفض الخطبة له[3] كما حاول سنجر تفكيك هذا التحالف عن طريق فتح جبهة جديدة ضد الخلفية فبعث دبيس، وأقطعه الحلة، وولى زنكي شحنة بغداد، وأمرهما بالسير لمحاربة الخليفة والسيطرة على بغداد[4].

سار مسعود وسلجوقشاه وقراجة لملاقاة السلطان سنجر وطغرل ، والتقى الطرفان بالقرب من الدينور، وكان سنجر يتفوق عليهم عدداً، واستطاع الانتصار

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص233؛ أبو الفداء المختصر، ص68؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1042-1043.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 47-48؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270.

(4) المصدر نفسه، جـ17، ص271؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص265؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص69؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 48؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص59؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047-1048.

عليهم وقتل قراجة ونصب سنجر طغرل على سلاجقة العراق وعفى عن مـسعود وسلجوقشاه واكرمهما وأعادهما إلى إقطاعاتهم، وعاد هو إلى خراسان[1].

أما الخليفة فكان ينوي مرافقة مسعود وسلجوقشاة، لكنه سمع بخبـر توجـه زنكي ودبيس إلى بغداد، فعاد إلى بغداد وعبر إلى جانبها الغربي، وحشد العامـة حوله بإظهاره تمسكه بأهداب الدين الإسلامي " خرج كل من فـي البلـد وضـاع العسكر بين الخلق وأخرجوا كل ربعة ومصحف في البلـد ونـشروا المـصاحف، وأخذوها بأيديهم مفتوحة يقرأون منها بين الصفين"[2]، واشتبك الخليفة مـع دبـيس وزنكي في معركة كبيرة، هزمهما فيها وقتل وأسر عدداً كبيراً مـن جنـودهم [3]، ورفض قبول طلب السلطان سنجر بتولية زنكي شحنة لبغداد، واشترط على زنكـي طرد دبيس من الموصل إذا أراد مصالحة الخليفة وهدده بالزحف إلى الموصل[4].

سعى الخليفة بعد هذه الأحداث إلى تثبيت استقلاله، فمع أنه أعـاد الخطبـة للسلطان سنجر بعد انتصاره على مسعود وسلجوقشاه[5] إلا أنـه رفـض الخطبـة للسلطان طغرل، واشترط عليه القدوم إلى بغداد وإظهار طاعتـه؛ حتـى يحـضى بالخلع والخطبة، فلم يقبل طغرل بذلك ولم يخطب له ببغداد طـوال فتـرة حكمـه (526-529هـ/1132-1135م)[6] واستولى الخليفة على أمـلاك الـسلاجقة فـي العراق، وطالب موظفيهم في بغداد بما فيهم الشحنة، أن يكونوا تابعين له ويأتمرون بأمره، إذ طلب الخليفة من الأمير بهروز شحنة بغداد مرافقته فـي حربـه ضـد صاحب الموصل عمادالدين زنكي سنة 527هـ/1133م فاعتذر بهروز بشيخوخته،

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263-264؛ أبو الفداء، المختصر، ص69؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص48-49؛ البنـداري، تـاريخ، ص143-145؛ ابن العماد ، شذرات، جـ 4، ص77.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص217؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص50-51.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص265؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص48؛ الـذهبي، دول، جـ2، ص33.

(4) ابن العبري، تاريخ زمان ، ص145.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 272.

(6) الحسيني، أخبار، ص101

وعدم مقدرته على الحرب، فطلب منه الخليفة تسليم القلعة والأموال التي معه والدخول في طاعة الخليفة، فأجاب إلى طاعة ورفض تسليم القلعة والأموال [1]، فأرسل الخليفة العسكر وحاصر القلعة ووقع القتال بين الطرفين وأجبر بهروز على تقديم الأموال، و طرده الخليفة وسيطر على دار السلطنة [2].

لم يكتفِ الخليفة بالسيطرة على بغداد بل بعث ولاته إلى المدن العراقية الأخرى، فكان قد سير قائده (إقبال) إلى الحلة منذ سنة 526هـ/1132م واستولى عليها وتصدى لدبيس حين أراد مهاجمتها وهزمه، وسار في أثره وهزمه مرة أخرى بالقرب من واسط[3] وفي سنة 528هـ/1134م، سير الخليفة قائده بهروز إلى تكريت فحاصرها وصالح أهلها على مال يدفعونه للمسترشد[4].

حاول الخليفة في سنة 527هـ/1133م كسب عماد الدين زنكي صاحب الموصل إلى جانبه في صراعه مع السلاجقة، ووضع حد لاتخاذ الموصل ملجأً لأعداء الخلافة، فأرسل إليه الشيخ بهاء الدين أبا الفتح الإسفرايني الواعظ، ولكن مهمته لم تنجح وقبض عليه زنكي وأهانه وسجنه[5] فلم يرض الخليفة بهذا، وأخذ يفكر جدياً في ضم الموصل ومعاقبة زنكي على أفعاله، فخرج على رأس جيش بلغ تعداده اثنى عشر ألف مقاتلٍ[6] وفي طريقه إليه أخضع المستَرشِد كل المناطق التي مر بها كالرملة وتكريت والمزرقة، لتمتد دولته من الموصل شمالاً إلى البصرة جنوباً، وفرض حصاراً شديداً على الموصل، اضطر لرفعه بعد ثمانين يوماً أثر سماعه أخبار بتوجه مسعود إلى بغداد ونيته في السيطرة عليها[7].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 276.

(2) المصدر نفسه، جـ17، ص 283.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 283؛ ابن الأثير، الكامل، ص265.

(4) المصدر نفسه، جـ9، ص276.

(5) المصدر نفسه، جـ9، ص270؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 52؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1050.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص266.

(7) المصدر نفسه، جـ17، ص276؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 52؛ الذهبي، دول، جـ2، ص34؛ القلانسي، ذيل، ص249.

ومع أن الخليفة لم يحقق هدفه في ضم الموصل إلا أن حملته جعلتـه موقـع احترام من السلاطين والأمراء وأخذوا يتسابقون إلى توثيق صلاتهم به[1]، وزاد ثقته بجيشه وقوته؛ فاستعرضه في عيد الفطر سنة 528هـ/1134م[2] كما سعى زنكـي إلى استرضاء الخليفة، ومصالحته فأرسل إليه في سنة 528هـ/1134م أحد قضاته حاملاً التحف والهدايا طالبا منه العفو، وعرض عليه الصلح، فوافق الخليفة شريطة أن يقدم زنكي ابنه (غازي) رهينة ليقيم عند الخليفة في بغداد ليتيقن الخليفـة مـن صدق نواياه، وقَبِلَ زنكي ذلك فتم الصلح بين الطرفين[3].

استمر الخليفة المستَرشِد في هذه الفترة في العمل على تأجيج الصراعات بين السلاطين السلاجقة، فبعد انتصار السلطان طغرل على أخويه، وتنصيبه سلطاناً من قبل السلطان سنجر سنة 526هـ/1132م[4] تمرد عليه ابن أخيه داود بن محمـود وجمع العساكر بأذربيجان، وبلاد كنجة وسار لحرب طغرل فالتقيـا بـالقرب مـن همدان، لكن جنود داود تفرقوا عنه، وهرب أتابكه آقسنقر الأحمديلي ، فاتجـه داود إلى بغداد فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان[5]، وعمل على استقطاب مسعود بن محمد والذي جاء إلى بغداد سنة 526هـ/1132م، وأجرى الخليفة مفاوضات بـين داود ومسعود أفضت إلى تحالفهما مع الخليفة ضد السلطان طغرل،[6]" نزل مسعود بدار السلطان... وخاطب في الخطبة فأجيب إلى ذلك، وخطب لداود بعـده وخلـع عليهما، ودخلا إلى الخليفة فأكرمهما، ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود إلـى

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص218-219؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص278؛ القزاز، الحياة، ص50؛ حسنين، إيران، ص145؛ الجالودي، تطور، ص212.

(2) ابن الأثير، الباهر، 47؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص204؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1050؛ خليل، عماد الدين، ص55.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص218؛ ابن العبري، تاريخ زمـان ، ص 204؛ الـذهبي، دول، جـ2، ص34.

(4) البنداري، تاريخ، 145-146؛ الذهبي، دول، جـ2، ص34.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص266-267؛ الحسيني، أخبار، ص101-102.

(6) الأصفهاني، زبدة، ص184-187؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269؛ الحسيني، أخبـار، ص102؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1049.

أذربيجان وأن يرسل الخليفة معهما عسكر"[1] وخاطب الخليفة مسعود قائلاً " تلـقّ هذه النعمة بشكرك وأتق الله في سرك وجهرك....وقلده بسيفين، وعقد له لـواءين بيده ..وسلم الملك داود بن محمود، وأوصاه به مشافهة ، وقال له: انهض وخذ مـا آتيتك بقوة وكن من الشاكرين"[2].

سار على أثر ذلك مسعود وداود إلى أذربيجان، واستطاعا هزيمـة طغـرل مستغلين انشغال السلطان سنجر في محاربة القبائل القرخطائية[3]، واستولى مسعود على همدان، وتبع طغرل الذي فر إلى أصفهان، ومنها إلى فارس، وانتصر عليـه مسعود مرة أخرى ثم عاد مسعود واستقر في همدان[4]، لكن طغرل أعـاد تجميـع قواته من جديد، واستمال بعض أمراء مسعود والتقى معه بالقرب من قزوين وهزمه لقلة جنوده، فأرسل مسعود إلى الخليفة يستأذنه في القدوم إلى بغداد فأذن له وجـاء معه نائبه في أصفهان وأخوه سلجوقشاة وأكرمهم الخليفة، وأعطى لسلجوقشاة عشرة آلاف دينارٍ، وقدم لمسعود الخيام و السلاح والدواب وكثير من الأمـوال[5] بقـي الصراع محتدماً بين مسعود وطغرل وتبادلا النصر والهزيمة حتى وفاته في أوائـل سنة 529هـ/1135م[6].

### 4.4.3- الحرب مع السلطان مسعود ومقتل الخليفة ( 529هـ/1135م)

أصبح الخليفة مع نهاية سنة 528هـ/1134م يحكم دولةً تمتد من الموصـل شمالاً حتى البصرة جنوباً، كما كون جيشاً قويا يأتمر بأمره أخضع به معظم مناطق

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269 .

(2) الحسيني، أخبار، ص102.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269-270؛ الحسيني، أخبار، ص103-104.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص270؛ القلانسي، ذيل، ص238؛ الحسيني، أخبار، ص103-104؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص53؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1050

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 274؛ القلانسي، ذيل، ص237-238؛ ابن سباط، تـاريخ، جـ1، ص56؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1051.

(6) ابن الجوزي،المنتظم، جـ9، ص283.

العراق،[1] وهابه السلاطين ودانت له البلاد[2]، ولكن ذلك لم يكن يرضي السلاجقة، ولولا انشغالهم في حروبهم، وما كانوا ليسمحوا للخليفة القيام بما قام به، فقبيل وفاة السلطان طغرل وعلى الرغم من تحالف مسعود مع الخليفة إلا أن مسعود بدأ يفكر في الخروج على الخليفة، والقضاء على قوته الفتية، ففي بداية سنة 529هـ/1135م، نشب خلاف بين الخليفة ومسعود وكاد القتال أن يقع بين الطرفين لولا مغادرة مسعود لبغداد بعد سماعه نبأ وفاة أخيه السلطاناً طغرل[3].

بعد ذلك استطاع مسعود السيطرة على همدان وأعلن نفسه سلطاناً واعترف السلطان سنجر له بذلك وبقي الخليفة ملتزماً له بالخطبة منذ سنة 527هـ/1133م[4] لكن علاقاته مع الخليفة تأزمت أثر تواتر الأنباء بتغير مسعود وأنه جمع العساكر، وينوي قصد بغداد[5] وزاد من ذلك انضمام بعض الأمراء السلاجقة إلى جانب المستَرشِد وهم الجاولي شحنة بغداد وكنجه وأرغش وجماعة من السلاحية في ألفين وخمسمائة فارساً وكذلك انضم إليهم البازدار وابن برسق وقزل ويرنقش، وسنقر الخمارتكين والي همدان وعبدالرحمن بن طغايرك وغيرهم وتحريضهم الخليفة على مسعود وتهوين أمره عنده[6].

بادر الخليفة إلى الاستعداد لملاقاة مسعود وقتاله، فرحب بالأمراء الخارجين على سلطته وبعث إليهم ابن الأنباري بالأمان والخلع باستثناء دبيس الذي رجع وانضم إلى مسعود[7]، وعند قدومهم اجتمع معهم فحرضوه على قتال مسعود

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17، ص266.

(2) المصدر نفسه، جـ17، ص293؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 58؛ البنداري، تاريخ، ص161؛ ابن الحسيني، أخبار، ص107.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص291؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص278؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص1052.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص278.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص293.

(6) المصدر نفسه، جـ17، ص293؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 281؛ الحسيني، العراضة، ص118.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص293.

وسهلوا عليه أمره وحاول الخليفة استقطاب العامة، وإيجاد غطاء شـرعي لقتـال مسعود، فاستقضى الفقهاء في أمر مسعود ؛ فأفتوا بعزله وقتاله[1] وكاتـب أمـراء الأطراف محاولا تشجيعهم على الانضمام إليه في حربه ضد مسعود، فحصل على تأييدٍ صاحب البصرة [2] وكاتبه أكثر أمراء الأطراف[3]، وبعث إلى عمـاد الـدين زنكي الذي كان يحاصر دمشق وطلب إليه رفع الحصار والخطبـة لـصبي ألـب أرسلان بن محمود وأن يأتي معه إلى العراق ليخطب له الخليفة في بغداد فرد عليه زنكي بالسمع والطاعة[4]، وقبيل مغادرته بغداد تشاور المستَرشِد مع كبار موظفيه؛ فأشار عليه الوزير ابن طراد، بعدم ترك بغداد، والتحصن بها وقـال:" إلـى أيـن تمضي وبمن نعتضد إلى من نلتجئ، ومقامنا ببغداد أمكن لنا، ولا يقـصدنا أحـد، والعراق فيه لنا الكفاية، فإن الحسين بن علي لما خرج إلى العراق جرى عليه مـا جرى، ولو أقام بمكة ما اختلف عليه أحد من الناس"[5] ووافقه علـى هـذا الـرأي صاحب المخزن، وكاتب الإنشاء [6].

يرى بعض الباحثين أن المستَرشِد كان متهوراً ومتسرعاً في سيره لمحاربة السلطان مسعود وأنه كان عليه أن يتحصن في بغداد، كما أشار عليه كبار رجـال دولته[7]، ولكن ذلك لا يمكن أن ينطبق على المستَرشِد وتجربتـه مـع الـسلاجقة بخاصة وأنه كان يتحين الفرص المناسبة لتحقيق هدفه المتمثل في استقلال العـراق

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17، ص294.

(2) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1053.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282؛ الحسيني، العراضة، ص118-119.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص263؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8، ص154؛ القلانسي، ذيل، ص248؛ ابن العديم ، تاريخ، جـ2، ص450-451.

(5) ابن واصل، مفرج، جـ1، ص59.

(6) الذهبي، سير،جـ19،ص161؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص59. الزهراني، نفوذ ، ص161.

(7) الجالودي، تطور، ص126، السامرائي، الدولة، ص290؛ EI[2], AL-Mustarshid, VII pp 735.

عن نفوذ السلاجقة، ويبدو أن المستَرشِد اعتقد أن هذه هي فرصته المناسبة لتحقيـق هدفه وذلك للأسباب التالية:

1- أن السلطان مسعود مازال حديث العهد بالسلطنة، ولم تتح له الفرصـة الكافية لتثبيت أركان دولته كما أن كثيراً من الأمراء انشقوا عليه وأعلنوا انضمامهم إلى المستَرشِد[1] .

2- أن جيش الخليفة يفوق جيش السلطان مسعود من حيث العدد والعـدة إذ كان جيشُ مسعود لا يتعدى في بداية الأمر ألف وخمسمائة فارساً، بينما وصل جيش الخليفة إلى سبعة آلاف مقاتلٍ[2].

3-أن الأمراء الذين انشقوا على مسعود قد حرضوا الخليفة عليـه وسـهلوا عليه أمره.

4- أن السلطان سنجر كان مشغولاً في حروبه في بلاد ما وراء النهـر ولا يستطيع تقديم أي عون لمسعود[3] .

5- أن المستَرشِد استطاع حشد قوة كبيرة تكونت من جيشه والقوى المناوئة للسلاجقة وأمراء الأطراف والأمراء الذين انشقوا على مسعود، كما أن زنكي وداود بن محمود[4] وعدوا بإمداده الخليفة بالجنود عند سيره لمحاربة مسعود [5].

بناء على هذا سار المستَرشِد لملاقاة السلطان مسعود وهو واثـق بالنـصر، وخرج من بغداد في شعبان سنة 529هـ/1135م، يقود جيشه الذي زاد تعداده على سبعة آلاف فارس سوى الراجلة وعامة أهل بغداد، في حين كان جيش عدوه مسعود

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص293؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 281؛ الحسيني، العراضة، ص118.

(2) الفارقي، تاريخ، ص250؛ ابن العمراني، الإنباء ، ص ؛ ابن الكازروني، تاريخ، ص222؛ البنداري، تاريخ، ص160-162.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269-270؛ الحسيني، أخبار، ص103-104.

(4) Muir, The Caliphate, its rise, decline, and fall, pp579.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282.

لا يتجاوز ألف وخمسمائة فارساً[1]، ولكن مسعود أخذ يكاتب الأمـراء ويـستمليهم إلى جانبه فمالوا إليه" فمال الجنس إلى الجنس" [2]، ونما جيشه بسرعة على حساب جيش الخليفة، كما بعث السلطان سنجر بتعزيزاتٍ عسكريةٍ لتقوية جـيش مـسعود، فوصل جيش مسعود قبيل المعركة إلى خمسة عشر ألف مقاتلٍ، ولم يبقَ مع الخليفة سوى خمسة آلاف مقاتل، كما لم يصله مدد زنكي وداود [3]، والتقى الفريقـان فـي العاشر من رمضان سنة 529هـ/1135م في منطقة بدايمرج بالقرب من همدان، ومالت ميمنة الخليفة التي كان يقودها الأمير البازدار والأمير قزل ونـور الدولـة شحنة همدان إلى جانب مسعود ، وقاتلت ميمنة الخليفة ميسرة السلطان قتالا ضعيفاً، وحاصر عسكر السلطان الخليفة الذي بقي صامداً، فأسر هو ووزيره وابن الأنباري وصاحب المخزن وغيرهم من كبار رجال دولته [4]، وتشتت جيش الخليفة وعاد من كتبت له النجاة إلى بغداد في أسوء حال [5]، وبعث السلطان مـسعود الأميـر بـك المحمودي شحنة لبغداد وكلفه بنهبها وهدم سورها فنُهِبتْ أموال الخليفة والعامة [6].

وعندما وصل خبر أسر الخليفة إلى أهالي بغداد ضج العامة، وثاروا فكسروا المنبر ومنعوا الخطبة وخرجوا في الأسواق يحثون التراب على رؤوسهم ويبكـون واقتتلوا مع أصحاب الشحنة حتى قتل ما يزيد عن مائة وخمسين رجلاً من العامة [7] ولم يقتصر الاحتجاج على أسر الخليفة في بغداد وحدها بل تعداها ليـشمل معظـم

---

(1) الفارقي، تاريخ، ص250؛ ابن العمراني، الإنباء ، ص219 ؛ ابـن الكـازروني، تـاريخ، ص222؛ البنداري، تاريخ، ص161-162.

(2) البنداري، تاريخ، ص162.

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 147.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص295؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 282؛ البنـداري، تاريخ، ص162؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص73؛ ابن واصـل، مفـرج، جـ1، ص59-60؛ الحسيني، العراضة، ص118-119.ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1053-1054.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 47.

(6) الأصفهاني، زبدة، ص204؛ ابن الأثير، الكامل، ص282؛ الذهبي، سير، جـ19، ص568.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص298؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282-283.

مناطق العالم الإسلامي كما يظهر من رسالة السلطان سنجر إلى مسعود"... ساعة وقوف الولد غياث الدين والدنيا على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين ويقبل الأرض بين يديه، ويسأله العفو والصفح، ويتنصل غاية التنصل، فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والأرضية، ما لا طاقة لنا بسماع مثلها، فضلاً عن المشاهد من العواصف والبروق و والزلازل دام ذلك عشرين يوماً وتشويش العساكر وانقلاب البلدان وقد خفت على نفسي من جانب الله وظهور آياته وامتناع الناس عن الصلاة في الجوامع، ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحمله فالله الله تتلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين إلى مقر عزه وتحمل الغاشية بين يديه كما جرت عادة آبائنا"[1].

أُنزل الخليفة بعد هزيمته وأسره في خيمة خاصة به، في حين أُخِذَ كبار دولته وسجنوا بقلعة سرجهان [2]، وجرت مفاوضات مطولة بين الخليفة والسلطان مسعود فرض خلالها السلطان شروطه على الخليفة كما يظهر من قوله"...يا مولانا، أليس الله تعإلى كان أغناك عن هذا، وهب أنك احتويت على ملك الدنيا، أكان يمكنك المقام بكل مكان، تستولي عليه أو تقيم بمدينة الملك، وتولي عليها غلمانك الذين ربما نصحوك وربما خانوك، وقد تأدى إليك ما تم على الخلفاء قبلك من غلمانهم، ونحن كنا عبيدك وطوع أمرك، وجدنا أعاد هذه الدولة بعدما ذهبت، فما حملك على ما فعلت ... ولم يتكلم الخليفة بشيء ...إلا أنه قال: كان ذلك في الكتاب مسطورا"[3].

أدت هذه المفاوضات إلى عقد اتفاق بين الطرفين يطابق ما كان السلطانين سنجر ومسعود يرغبان في فرضه على الخليفة ونص على:

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص 298؛ السيوطي، تاريخ، ص 340، ابن قاضي شهبة؛ الكواكب، ص 100-101؛ الذهبي، سير، جـ19، ص567؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص 87-88؛ الجالودي، تطور، ص 123.

(2) ابن الأثير، الكامل، ص282؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص60؛ الذهبي، سير، جـ19، ص568.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص220.

1- أن لا يعود الخليفة إلى جمع العساكر[1].

2- أن لا يخرج الخليفة على رأس جيشه خارج دار الخلافة

3- يتعهد السلطان بإعادة الخليفة سالما إلى بغداد[2].

4- أن يقدم الخليفة أربعمائة ألف دينارٍ للسلطان[3]

أرسل السلطان مسعود الأمير ببكة أوبك المحمودي وولاه شحنة بغداد، وأمره أن يتعاون مع العميد على تعطيل دار الضرب، واستحداث دار جديدة للضرب بسوق العميد والسيطرة على دار الشحنة، والقبض على ابن طوق عامل الأمير الجاولي شحنة بغداد السابق، وأخذ ما مع ابن الحاجب من ضمان بغداد [4]، والقبض على أملاك الخليفة [5]، ونقض سور بغداد [6].

طالت مدة أسر الخليفة حتى بلغت سبعة وستين يوماً، قضاها يتنقل برفقة جيش مسعود من منطقة إلى أخرى بانتظار إعادته إلى بغداد تنفيذاً لما اُتفق عليه مع السلطان مسعود[7]، لكن ذلك لم يحدث بحجة انشغال السلطان في القضاء على تمرد بعض الأمراء ضده وخاصة ابن أخيه داود بن محمود[8]، وخشي السلطان سنجر من إطالة مدة أسر الخليفة فبعث إلى مسعود رسالتين كانت الأولى علنية حملها أحد المتصوفة، حث فيها مسعود على الإسراع في إعادة الخليفة إلى بغداد[9]، أما الثانية فكانت سرية حملها الأمير يرنقش قرآن خوان، والتي يبدو أنها نصت على أوامره

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ص283.

(2) البنداري، تاريخ، ص 162؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 101.

(3) ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 103-104.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 296؛ النويري، نهاية ،جـ23،ص275.

(5) ابن الأثير، الباهر، ص49-50.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 298.

(7) البنداري، تاريخ، ص 162؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 101.

(8) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 283.

(9) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص298؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 10-101؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص340.

بالتخاص من الخليفة وقتله إذ رافق حاملها جماعة الباطنية التي نفذت قتل الخليفة في خيمته المنفردة عن المعسكر[1].

استغلت جماعة الباطنية والذين تراوح عددهم ما بين سبعة عشر وأربعة وعشرين رجل انشغال العسكر بملاقاة رسل سنجر وانفراد خيمة الخليفة وخلوها من أي حماية فهجموا عليه في خيمته وقتلوه ومثلوا بجسده؛ فجدعوا أذنيه وأنفه وتركوه عارياً وقتلوا معه مرافقه ومعلمه عبدالله بن سكينة، وكان ذلك يوم الأحد العاشر من ذي القعدة سنة 529هـ/1135م، بالقرب من مدينة مراغة وترك الخليفة حتى دفنه أهل مراغة [2].

أثار مقتل الخليفة المستَرشِد هلعاً وغضباً واسعاً بين المسلمين في مختلف مناطق العالم الإسلامي "وشاع الخبر بذلك .... واستبشع الناس هذا الفعل الشنيع والقصد الفضيع بحق خليفة الزمان وابن عم رسول الله عليه - أفضل الصلاة والسلام- وأكبروا الجرأة على الله والإقدام على هذا المنكر في الإسلام والدم الحرام وأطلقوا الألسنة بالدعاء والذم على من استحسن هذا الفعل الفضيع ودبر هذا الخطب الشنيع" [3]، ففي بغداد جزع أهلها لمقتل خليفتهم الذي أحبوه " وكثر البكاء والصراخ...وأصبح الناس حفاة، النساء منشرات الشعور يلطمن وينشدن الأشعار التي تنشد في المآتم ويقلن فيه المراثي على عادتهن؛ لأن المستَرشِد كان محبباً فيهم

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ الأربلي، خلاصة، ص273؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص60-61؛ القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط ، تاريخ، جـ1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص149؛ أبو الفداء، المختصر،جـ 2، ص 73، ابن الوردي، تاريخ ، جـ2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص 162.

(3) القلانسي، ذيل، ص250.

لما فيه من الشجاعة و العدل و الرفق بهم"[1]، وفي مراغة حيث قتل الخليفة خـرج الناس يحثون الرماد على وجوههم وهم يستغيثون[2].

اختلفت المصادر في تحديد المسؤول عن مقتل المـستَرشِد؛ فمنهـا مـن أتّهـم السلطان مسعود باتفاقه مع الباطنية على قتل الخليفة، وأنه أقدم على هذا الفعل لخوفه من الخليفة الذي اعتاد جمع الجيوش وقيادتها ، وأن مسعود لا يستطيع تنفيـذ قتـل الخليفة بشكل مباشر فلجأ إلى الباطنية [3] وبرأ آخرون مـسعود مـن دم الخليفـة وحملوا مسؤولية قتله لدبيس لما بينهما من عداءٍ مستحكمٍ[4]، وذهب آخـرون إلـى اتهام سنجر ومسعود باتفاقهما على مقتل الخليفة، لما عرف عن سنجر من مناهضته لجهود الخليفة في السعي للاستقلال بالعراق، وإعادة هيبة الخلافة العباسية وإحيـاء مجدها[5].

ومع أن الخليفة قد قتل في ظروف غامضة؛ إلا أن الراجح أن السلطان سـنجر اتفق مع مسعود على التخلص من الخليفة، وقتله بالاعتماد على الباطنية[6]، يؤيد ذلك مجموعة من القرائن التي أحاطت بمقتل الخليفة وهي:

1- أن السلطان مسعود أفـرد للخليفـة خيمة بعيـدة عن المعسكر وتركها دون

---

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص157-158؛ ابن قاضي شـهبة، الكواكـب، ص 102-103، شاكر، تاريخ، جـ1، ص260

(2) الأصفهاني، خريدة ،جـ1، ق1، ص29؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص58.

(3) ابن الطقطقا، الفخري، ص303؛ السيوطي، تاريخ، ص341؛ العبود، نافع توفيق، "جهـود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن الـسادس الهجـري"، مجلـة المـورد العراقية، العدد الأول، 1990، م1، ص50، سيشار إليه تالياً العبود جهود

(4) الحسيني، زبدة، ص209.

(5) الأصفهاني، خريدة ،جـ1، ق1، ص29؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص157-158القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن قاضي شهبة، الكواكـب، ص 102-103البنـداري، تاريخ، ص 162.

(6) $EI^2$, Saldjukids, VIII pp 944

حماية تذكر وخاصة في يوم تنفيذه المهمة من قبل الباطنية[1].

2- أن جماعة الباطنية التي نفذت الجريمة جاءت إلى المعسكر برفقة رسول السلطان سنجر إلى مسعود، وأن هذا الرسول حمل رسالة سرية لم يتم الكشف عن محتواها لما تضمنته من اتفاق على قتل الخليفة[2].

3- أن السلطان مسعود أقدم على قتل دبيس محاولاً تبرئة نفسه من تهمة الخليفة وتحميل دبيس مسؤولية ذلك[3].

4- أن السلطان مسعود أطال مدة أسر الخليفة حتى وصلت إلى سبعة وستين يوماً تمكن خلالها من الاتفاق مع عمه السلطان سنجر على قتل الخليفة[4].

5- أن السلطان مسعود قد اعترف بقتله الخليفة المستَرشِد في حديثه مع كاتب الإنشاء ابن الأنباري، حول صفات الخليفة الذي ترغب السلطنة السلجوقية ممثلة بسنجر ومسعود بتوليته بعد مقتل الخليفة المستَرشِد وعزمه على خلع الراشد سنة 530هـ/1136م[5] إذ ذكر ابن الأنباري أن مسعود قال له:" ما الرأي وما التدبير في أمر الخلافة ومن ترون؟ فقالوا:" يا مولانا، الخلافة لولي العهد – يعني الراشد بالله – وقد بويع له بالخلافة" فقال السلطان - مسعود-:" ما إلى هذا سبيل، ولا أقره عليها، فإنه يحدث نفسه بالخروج مثل أبيه المستَرشِد، ومن حين تولي أبيه لم يترك الخروج علينا؛ كان قد خرج على أخي محمود مرتين، وعلي مرة، وهذه أخرى، وتم عليه ما تم، وبقيت

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط ، تاريخ، جـ1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص149؛ أبو الفداء، المختصر،جـ 2، ص 73، ابن الوردي، تاريخ ، جـ2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص 162.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ الأربلي، خلاصة، ص273؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61.

(3) ابن العديم، بغية، جـ7، ص3491؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61؛ ابن خلدون، العبر، جـ6،ص 1055.

(4) البنداري، تاريخ، ص 162؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 101.

(5) EI$^2$, AL-Mustarshid VII pp 734-735.

علينا شناعة عظيمة وسبة إلى آخر الدهر، فإنه يقال: قتلوا الخليفـة، وهـم كانوا السبب في عود الخلافة إلى هذا البيت، ولا أريد أن يلـي الأمـر إلا رجل لا يدخل نفسه في غير أمور الدين، ولا يجمع ولا يخـرج علـي، ولا على أهل بيتي، وفي دار الخلافة جماعة، فاعتمدوا على شيخ منهم صاحب عقل ورأي تدبير، يلزم نفسه ما يجب من طاعتنا، ولا يخرج من داره؛ ولا تعرجوا عن هارون بن المقتدي بأمر الله، فهو شيخ كبير، ولا يرى الفتنـة، وقد أشار به عمي سنجر" [1]

---

[1] ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61-62، نقلا عن ابن الأنباري .

## الفصل الرابع

## علاقة الخلافة العباسية بالقوى المجاورة لها في خلافة المسترشد

### تمهيد

كانت الدولة السلجوقية قد وصلت إلى أقصى اتساع لها في عهـد الـسلطان ملكشاة (465-485هـ/1073-1093م) إذ شملت حكمها البلاد الواقعة من كاشغر شرقاً إلى أنطاكيا غرباً، ومن بحيرة خوارزم شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً، وضمن أقاليم ما وراء النهر، وفارس، والعراق، وبعض أقاليم آسـيا الـصغرى وبعـض إمارات بلاد الشام [1]، لكنها أخذت بالتراجع السريع بعد وفاتـه لمـا شـهدته مـن نزاعات شديدة بين ورثته؛ فانقسمت على نفسها إلى دويلات متناحرة، تحكمها أسـر سلجوقية وعربية وفارسية وتركية وغيره، وبالرغم من تفككها إلا أنها بقيت تخطب باسم الخليفة المستظهر(487-512هـ/1095-1119م) واستمر هذا الحال في عهد الخليفة المسترشد[2]، والذي خُطب له في مختلف بقاع هذه الدولة، إلا أن علاقـات الخلافة الخارجية في عهده انحصرت -بالإضافة إلى السلاجقة- مع بعض الإمارات المجاورة لمناطق سيطرته، والتي كان لها تماس مباشر بدولة الخلافة في عهده وهي الإمارة المزيدية واتابكية الموصل والحـروب الـصليبية والحركـات الباطنيـة الأسماعلية.

### 1.4 : الإمارة المزيدية (387-558هـ/998-1163م)

تراخت قبضة الدولة البويهية في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشـر الميلادي، وانحصرت سلطتها الفعلية في مناطق بغداد وما حولها، وانشغل حكامها في

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ8،ص396؛ الحسيني، أخبار، ص56-58؛ المقريـزي، الـسلوك، جـ1، ق1، ص33-34؛ EI², Malik-Shah, VI pp273. أنظر الملحـق: رقـم(و)، ص208-209.

(2) القلقشندي، مآثر، جـ 2، 24-31

صراعاتهم في مناطق الري وفارس والأهواز وكرمان والجزيرة[1]، فنجم عن ذلـك نشوء إمارات شبه مستقلة تسعى إلى التوسع على حساب الدولـة البويهيـة، والتـي دعمت ظهور مثل هذه الإمارة لحاجتها لها في حماية مناطقها من هجمات البدو، ففي منطقة الفرات الأوسط ظهرت الإمارة المزيدية[2] التي أسسها بنو مزيـد فـي هـذه المنطقة، ويعد علي بن مزيد (387-408هـ/998-1018م)، مؤسس هذه الإمـارة، حيث ورث أملاك أبيه مزيد الذي كان يتقلد بصورة رسمية حماية منطقة سور[3] من الفرات الأوسط، ويدفع مقابل ذلك مقداراً من المال سـنوياً إلـى الدولـة البويهيـة، واستطاع علي بعد توليه مكان أبيه سنة 387هـ/998م توسيع حدود إمارته لتـشمل مناطق كوثى[4]، ونهر الملك[5]، وواسط، واعترفت به الدولة البويهيـة، شـريطة أن يدفع لها أربعين ألف دينار سنوياً[6]، وحضي علي بن مزيد باعتراف الخلافة العباسية به؛ إذ منحه الخليفة القادر(381-422هـ/922-1032م) في سنة 403هـ/1013م، لقب سند الدولة مقابل تعهده بحماية مناطق إمارته من غارات القبائل البدوية، وتأمين طريق الحج في منطقته[7]، وأصبحت إمارته تشكل قوة مهمة فـي منطقـة الفـرات الأوسط، وعدها الشيعة حامية لهم في هذه المنطقة وما جاورها، وبقي علي بن مزيـد يحكمها حتى وفاته سنة 408هـ/1018م[8].

(1) ناجي، عبد الجبار، الإمارة المزيدية، دار الطباعة الحديثة، بغـداد 1970م، ص 59-63. سيشار إليه تالياً: ناجي، الإمارة.

(2) عن الإمارة المزيدة انظر: ناجي، الإمارة، ص59-160؛
$EI^2$, Mazyad, VI, pp965-968.

(3) سور أو سورا: مدينة قريبة من الحلة المزيدية ، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ 3، ص278.

(4) بلدة في سواد العراق في أرض بابل، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ 4، ص487.

(5) كورة واسعة ببغداد ، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ 5، ص324.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 65.

(7) المصدر نفسه، جـ8، ص 77.

(8) المصدر نفسه، جـ8، ص120؛ ناجي، الإمارة، ص74.

أوصى علي بن مزيد قبل وفاته بالحكم لابنه نور الدولة أبي الأغر دبيس(408-474هـ/1018-1082م) الذي واجه في بداية حكمه، تمرد أخوه المقلد ابن أبي الحسن سنة 424هـ/1032م[1] وأبناء عمه حماد سنة 420هـ/1030م[2]، فقضى على هذه الحركات واستغلها لتوسيع حدود إمارته، وضم إليها مناطق نهر الصلة[3] ونهر الملك، وأضحت إمارته تتمتع بقوةٍ كبيرةٍ كان لها دوراً كبيراً في مجريات الأمور في الفترة التي سبقت انهيار السلطة البويهية في العراق[4]، وفي فترة حكمه شهد العراق انتهاء السيطرة البويهية وخضوع العراق لسيطرة السلاجقة، الذين أبقوا على مثل هذه الكيانات شبه المستقلة ولم يرغبوا في القضاء عليها، بل هادنوها، واعترفوا بوجودها مقابل أن تدفع مبلغاً من المال[5] وعمل دبيس بن علي على تحسين علاقاته مع السلاطين السلاجقة، والخلفاء العباسيين[6]، لضمان استمرار إمارته فكان ممن حضر لمبايعة المقتدي بالخلافة سنة 467هـ/1075م[7] واستمر يخطب للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي طوال فترة إمارته التي استمرت حتى وفاته سنة 474هـ/1082م [8].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 155-156، 212.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 173-173.

(3) يمر بواسط أمر بحفره الخليفة المهدي ، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ 5، ص321.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 322-323؛ البنداري، تاريخ، ص 9-10؛ ناجي، الإمارة، ص 84-85.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص54-55.

(6) المصدر نفسه، جـ16، ص220؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 425-426؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 192؛ $EI^2$, Mazyad, VI pp 965

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص165؛ البنداري، تاريخ، ص 49؛ ناجي، الإمارة، ص93.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص220؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 425-426؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 192.

تولى الحكم بعد وفـاة دبـيس ابنـه بهـاء الدولـة منـصور(474-478هـ/1082-1086م) واعترف به السلطان والخليفة وخلعا عليه[1]، واستمر يدفع ما كان يدفعه أبوه دبيس[2]، وشهدت إمارته استقرار أوضاعها حتى وفاته[3]، فتـولى الحكم من بعده ابنه سيف الدولة صـدقة (478-501هـ ـ/1086-1108م) والـذي تزامنت فترة إمارته الأولى من بلوغ الدولة السلجوقية أوج قوتها في عهد الـسلطان ملكشاة(465-485هـ/1073-1093م)[4] فسار دبيس في عهد السلطان ملكشاة على نهج أسلافه في تبعيتهم للدولة، وتقديم ما يترتب عليهم من التزامات مالية[5]، وأسـس في سنة 492هـ/1099م مدينة الحلة واتخذها عاصمةً له[6].

استغل الصراعات التي شهدتها الدولة بعد وفاة السلطان ملكشاة، فوقف إلى جانب الطرف الأقوى لتحقيق أهدافه في توسيع إمارتـه؛ ففـي الفتـرة (487-493هـ/1095-1100م) كان صـدقة يعلـن ولاءه للـسلطان بركيـاروق( 487-498هـ/4095-1105م) كونه كان الأقوى، وحين أن أخذت كفة الصراع تميل إلى صالح السلطان محمد (498-511هـ/1105-1118م) مال صدقة إلى جانبـه فـي مواجهة السلطان بركياروق[7]، وليس هذا فحسب بل استفاد من هذه الصراعات فـي توسيع إمارته؛ فإضافة إلى ما ورثه عن أبيه، استولى صدقة على منـاطق هيـت[8]،

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 425؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص192.

(2) البنداري، تاريخ، ص 9-10.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، 252؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 445.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8،ص396؛ الحسيني، أخبار، ص56-58؛ المقريـزي، الـسلوك، جـ1، ق1، ص33-34.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8،ص445.

(6) الذهبي، سير، جـ19، ص265؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص26.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص34، 62-64.

(8) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص64-65. هيت: بلد على الفرات من نواحي بغـداد ، فـوق الأنبار، نظر الحموي، معجم البلدان، جـ5،ص 420-421.

وواسط[1] وعانة[2] والبصرة[3] وتكريت[4] كما سعى أيضاً إلى تحسين علاقاته مـع الخليفة المستظهر الذي اعتمد على قوات صدقة فـي حفـظ أمـن منـاطق بغـداد وجوارها[5]، وأقطعه الأنبار والفلوجة، وخلع عليه خلعاً لم يخلع على أميرٍ قبله[6].

تعاضمت قوة الإمارة المزيدية في نهاية حكم صـدقة، وأصـبحت ذات نفوذ كبير، وسيطرت على كثير من المدن الهامة، كما خضعت لها القبائل العربية في العراق، لكن ذلك تزامن مع استقرار أوضاع الدولة السلجوقية بعـد وفـاة الـسلطان بركياروق وانفراد السلطان محمد بن ملكشاة (498-511هـ/1105-1118م) فـي حكمها، والذي رأى في قوة الأمير صدقة بن دبيس خطراً على نفوذه ومنافساً قوياً له، فسعى إلى القضاء عليها [7]، كما أن ازدياد قوة صدقة جعلته يفكر في الاستقلال عن الدولة السلجوقية والوقوف في وجهها[8]، فبادر إلى تأخير إرسال الأمـوال المقـررة عليه، خاصة وأنه لم يكن يدفعها أثناء فترة الصراعات التي أعقبت وفـاة الـسلطان ملكشاة[9]، فهيأت هذه الظروف لحدوث نزاع بين الطرفين إذ استغل السلطان محمـد رفض صدقة تسليم الأمير أبي دلف سرخاب بن كيخسرو حاكم ساوة وآبة، والمطلوب للسلطان الذي هرب واستجار بصدقة فأجاره، فأرسل السلطان في طلبـه، فـرفض صدقة تسليمه بحجة أنه ضيفه ومن عادة العرب أن لا تسلم من يلتجأ إليه فوقع القتال

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص74-75؛ ابن خلدون، العبر، جـ 7، ص604.

(2) بلد مشهور بين الرقة وهيت، يعد من أعمال الجزيرة، وهي مشرفة على الفـرات، نظـر الحموي، معجم البلدان، جـجـ4،ص 72.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص90-91؛ ابن العديم، تاريخ، جـ2؛ ص28.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص100-101؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص 604.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص34، 61-62، 64.

(6) المصدر نفسه، جـ9،ص81.

(7) ناجي، الإمارة، ص 124-125.

(8) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص111-112؛ القلانسي، ذيل، ص159-160.

(9) ناجي، الإمارة، ص103-123.

بين الطرفين سنة 501هـ/1108م وانتهى بهزيمة وقتل صدقة واستيلاء جيش السلطان على الحلة وتعين موظفيه عليها[1].

وضع السلطان محمد يده على الحلة بعد هزيمته لصدقة، وأصبحت تدار من قبل موظفيه، فيما أسر أبناء صدقة[2]، فظهر من بينهم دبيس بن صدقة الذي تقرب إلى السلطان محمد؛ فأقطعه إقطاعات كثيرة، لكنه لم يعده إلى الحلة وبقي إلى جانبه في ما يشبه الأسر حتى وفاة السلطان محمد سنة 511هـ/1118م[3] .

استغلّ دبيس بن صدقة (501-529هـ/1108-1135م) وفاة السلطان محمد وانشغال السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م) في صراعه مع عمه السلطان سنجر (511-552هـ/1118-1158م) وإخوته مسعود وطغرل وسلجوقشاة فطلب منه العفو والعودة إلى الحلة؛ فوافق السلطان محمود على طلبه، فعاد دبيس إلى الحلة سنة 512هـ/1119هـ، واستطاع استقطاب الكثير من سكانها العرب والأكراد الذين التفوا حوله[4]، وتزامن ذلك مع وفاة الخليفة المستظهر وبيعة المستَرشِد؛ لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات العباسية المزيدية غلب عليها التوتر والحروب "كان عقبها موت السلطان محمد، موت المستظهر ثم جرى من الحروب والفتن للمسترشد مع دبيس بن مزيد"[5].

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص207؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص108-109؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص113؛ الذهبي، سير، جـ19، ص264-265؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص32؛ الحسيني، زبدة، ص169؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص 606-609.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص113؛ الذهبي، سير، جـ19، ص264-265؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص32؛ الحسيني، زبدة، ص169؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص 606-609.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص175؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص 609.

(4) الأصفهاني، زبدة، ص129؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص 51؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص40؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص 609.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص156.

كان دبيس منذ عودته إلى الحلة يفكر في إحياء أمجـاد أبيـه صـدقة وتوسيع إمارته بالسيطرة على ما يجاورها من مناطق الخلافة وغيرها مـن ولايـات الدولة السلجوقية، وانتهج في سبيل ذلك سياسةً تقوم على بثّ النزاعات بين مختلـف الأطراف المتنازعة لاستغلال هذه النزاعات في تحقيق أهدافه [1]. قال ابن الجـوزي" ....وكان سيف الدولة يعجبه اختلاف السلاطين ويعتقد أنه ما دام الخلاف قائماً بينهم فأمره منتظم، كما استقام أمر والده صدقة عند اختلاف السلاطين"[2] وقال ابن الأثير" ...وكان غرض دبيس أن يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه بـاختلاف السلاطين بركياروق ومحمد ابنا ملكشاة"[3].

ففي بداية إمارته استغل دبيس حركة أبو الحسن علي بـن المـستظهر أخو الخلية المستَرشِد، الذي خرج على الخليفة، ولجأ إلى دبيس، فـأكره وقـدم لـه الرجال والسلاح [4]، واتخذه وسيلة لضغط على المستَرشِد ليحصل ربما على اعتراف الخليفة بتوليه إمارة الحلة.

هادن الخليفة دبيس في سبيل القضاء على حركة أخيـه أبـي الحـسن فأرسل إليه نقيب النقباء وابن السبي ومعهما الخلع له، وطلب منه البيعة وتسليم أبـي الحسن[5]، فأظهر دبيس طاعته، وأعلن بيعته لكنه لم يسلم الأمير أبا الحسن بحجة أنه ضيفه، ولا يستطيع إجباره على العودة إلى الخليفة[6]، ولم يكن الخليفة قـادراً علـى استرجاع أخيه لعدم امتلاكه القوة الكافية لتحقيق ذلك، خاصة بعد سيطرة الأمير أبـو الحسن على واسط، وكثرة أتباعه فيها فقطع خطبة المستَرشِد وخطب لنفـسه، وعـاد الخليفة وأرسل ابن الأنباري كاتب الإنشاء إلى دبيس وألح عليه في إعادة أخيه وأنـه

---

(1) ناجي، الإمارة، ص134.

EI$^2$, Mazyad, VI , pp 965-968

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص187

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص191.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص212.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174؛ الآلوسي، "المستَرشِد"، ص498.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية، جـ23، ص 262؛ الـذهبي، دول،جـ2، ص 27؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1024.

يعول عليه في هذا الأمر[1]، وأراد دبيس كسب الخليفة إلى جانبه في صـراعه مـع البرسقي صاحب الموصل، فوافق على طلب الخليفة وبعث قائد جيـشه عنـان إلـى الأمير أبي الحسن، فهزمه وقبض عليه، وسلمه إلى دبيس الذي أعاده إلى الخليفة بعد أن حصل مقابل ذلك على مبلغ من المال تراوح بين عشرين[2] الى ثلاثين ألف دينارٍ [3]، كما أظهر حرصه على التمسك بالتقاليد العربية حين اشترط على الخليفة ضـمان سلامة الأمير أبي الحسن[4]، وفي علاقته مع السلاطين السلاجقة، بادر دبـيس إلـى استغلال النزاع بين السلطان محمود وعمه السلطان سنجر سـنة 513هـ ـ/1120م، فمال إلى جانب سنجر لاعتقاده أن سنجر هو الأقوى، لما يمتلكه من نفوذ؛ فانضم إلى جيش سنجر، وبعد انتصار سنجر طلب دبيس من الخليفـة قطـع خطـب الـسلطان محمود، وأن يخطب للسلطان سنجر وحده فخطب له الخليفة، لكن دبيس لم يحقق مـا أراده من وقوفه إلى السلطان سنجر إذ سرعان ما تصالح سنجر مع محمود وعفا عنه وأعاده إلى ملكه وخطب لهما الخليفة في آن واحد[5]، فلجأ دبيس إلى الإيقـاع بـين السلطان محمود وأخيه مسعود بن محمد، فكاتب جيوش بك أتابك مسعود، وحرضـه على طلب السلطنة لمسعود بدلا من محمود، والقبض على البرسقي عـدوه، ووعـده بالنصر والمساعدة، وهون عليه أمر محمود ، فاستمع مسعود وأتابكه جيوش بك إلى هذه التحريضات، وأعلن مسعود تمرده على محمود، وطلبه السلطنة بـدلاً منـه[6]،

---

[1] ابن حمدون، التذكرة، ص 169؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص171؛ الذهبي، تاريخ، حوادث(501-520هـ)، ص 275.

[2] ابن حمدون، التذكرة، ص 169؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص171؛ الذهبي، تاريخ، حوادث(501-520هـ)، ص 275.

[3] ابن العمراني، الإنباء، ص212.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص172-173.

[5] ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص184؛ أبو الفداء، المختصر، جـ ـ2، ص53؛ سـبط ابـن الجوزي، مرآة، ق1، جـ ـ8، ص89؛ البنـداري، تـاريخ، ص113-114؛ الحـسيني، العراضة، ص115؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص41

[6] ابـن الجـوزي، المنـتظم، جـ ـ17، ص 186؛الـذهبي، تـاريخ، حـوادث ووفيـات (501-520هـ)، ص283-284.

وحين سمع محمود بهذا، تحالف مع البرسقي وزاد في أملاكه [1]، واستطاع هزيمـة مسعود وقتل أتابكه جيوش بك [2].

أما دبيس فلم يوفِ بوعده لجيوش بك بالمساعدة، وإنما انشغل في نهب مناطق الخلافة ومناطق السلطان محمود وتوسيع حدود إمارته، فسيطر على المـدائن ويعقوبا[3]، وشملت إمارته البصرة وأعمالها، وهيت والأنبار وأعمال الفرات والرحبة وعانة[4]، وسبى النساء والذراري وافترش النساء [5].

وبعد انتصار السلطان محمود، حـاول الخليفـة والـسلطان محمـود استرضاء دبيس، وطلب منه الخليفة التوقف عن ما يقوم به من عمليات السلب النهب، إلا أنه استمر في أفعاله هذه، وأخذ يهدد دار الخلافة نفسها إذ ضرب سرادقه مقابلها، واعتدى على أهل بغداد مطالباً الخليفة بثني السلطان محمود عن القدوم إلى العـراق، فسعى الخليفة إلى ما طلبه في تأخير قدوم السلطان محمود إلى بغداد لكن السلطان أبى إلا أن يفد إلى بغداد، ويحارب دبيس فهرب دبيس إلى الحلة [6]، وأدرك أن الـسلطان محمود ينوي إنهاء تمرده وأنه –دبيس- لا يمتلك القوة الكافيـة لمواجهتـه فحـاول مصالحته، وبعث زوجته المسماة (شرف الدين خاتون) إليه ومعهـا عـشرون ألـف دينار، وثلاثة عشر رأس خيل، لكن السلطان لم يرض، وسار إلى الحلـة، وسـيطر عليها وهرب دبيس ملتجئً إلى الأمير إيلغازي صاحب حلب وماردين[7] كونه صهر

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص191- 192.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 186؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص191-192؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1031-1032؛ الجميلي، الموصل، ص148؛ حسنين، إيران، ص126.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص90.

(4) البنداري، تاريخ، ص122-123.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص90.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص186-187؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ9، ص 193؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص90؛ القلانسي، ذيل، ص 202.

(7) ماردين قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة ما حولها، انظـر الحمـوي، معجـم البلدان، جـ5، ص39.

على ابنته، فطلب الخليفة من إيلغازي إبعاده من بلاده[1]، فاعتذر إيلغازي عن ذلـك، وحاول دبيس استرضاء الخليفة لكنه أصر على إبعاده وعدم العفو عنه وبقي دبـيس مقيماً عند إيلغازي حتى سنة 515هـ/1122م، حين حاول العودة إلى الحلة، ولكن الأمير برنقش شحنة بغداد حاربه وهزمه، وسار برنقش في أثـره، وجـرت بينهمـا مفاوضات تعهد فيها دبيس بتقديم أخيه منصور رهينة للسلطان مقابل منحـه الحلـة، فرضي السلطان محمود بهذا الاتفاق، وعاد دبيس إلى الحلة[2].

أما الخليفة فلم يرض بهذا الاتفاق، وطلب من السلطان عزل شحنة بغداد وتوليتها للأمير البرسقي وأمره بمحاربة دبيس، فلبى السلطان طلب الخليفـة وأوكـل للبرسقي بعد أن عينه شحنة لبغداد محاربة دبيس، وتجهز البرسقي لذلك والتقى بدبيس عند نهر بشير شرق الفرات واقتتلوا فهزم البرسقي واستغل دبيس هذا النزاع فوسـع أملاكه بضم واسط، وفرض شروطه على الخليفة والمتضمنة إبعاد البرسـقي عـن شحنة بغداد، وعزل وزير الخليفة ابن صدقة فعزل ابن صدقة، لكن الـسلطان أبقـى على البرسقي [3].

لم يكتفِ دبيس بهذا؛ بل استمر في نهب مناطق الخلافة، فنهب واسـط والنعمانية، فأرسل الخليفة إليه القائد (عفيف) الخادم مقبحاً لهما يقوم به مـن أفعـال فقبض دبيس على (عفيف) واتهم الخليفة بعدم الوفاء بما تعهد به إذ أنه لم يـؤذِ ابـن صدقة وإنما أخراجه من الضيق إلى السعة، ولم يبعد البرسقي عـن شـحنة بغـداد، وتهاون في أمر إطلاق أخيه منصور المعتقل عند السلطان محمود، وتمادى دبيس في عمليات النهب، فنهب مناطق الخلافة، وأخذ يهدد دار الخلافة نفسها، وأنذر الخليفـة

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص197؛ ابن شـداد، محمـد بـن علـي بـن إبـراهيم (ت684هـ/1286م) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيـق: يحيـى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1978م، جـ3، ق2،ص340-341، سيشار إليه تالياً، ابن شداد، الأعلاق.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص198؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 193-194.

(3) ابـن الجـوزي، المنـتظم، جـ17، ص204-205؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، جـ9، ص 213-215.

بضرورة تنفيذ ما اُتّفق عليه في موعد أقصاه خمسة أيام، وإلا جاء إلى بغداد ونهبها، فوجد الخليفة نفسه مجبراً على محاربة دبيس بالاعتماد على جيشه الخـاص بعـد أن تيقن من أن سلاطين السلاجقة لم يهتموا بحماية بغداد بالقدر الكافي ، مع أنهم كـانوا قادرين على إزالة ما يشكله دبيس من تهديد؛ لكنهم أرادوا إبقاءه أداة للـضغط علـى الخليفة ومنعه من تحقيق أهدافه الاستقلالية " فإن دبيس كان يعادي المـستَرشِد بـالله، ويكره خلافته، ولم يكن يعلم أن السلاطين إنما يبقون عليه ليجعلـوه عـدة لمقارعـة المستَرشِد... [1] استعد الخليفة لهذه الحرب، فسعى لكسب العامة إلى جانبه عن طريق القيام بمجموعة من الإصلاحات الاقتصادية، واستغلال موقعه الروحـي[2]، فحـصل على فتوى شرعية تُبيح محاربة دبيس مما جعل العامة يلتفون حولـه[3]، واسـتدعى العساكر من الأطراف فأتاه مهارش صاحب الحديثة[4] في عقيل، واتاه قـورش بـن مسلم[5]، وتحالف مع شحنة بغداد، فجمع جيشاً كبيراً، وخرج يقوده بنفسه، وعليه بردة الرسول صلى الله عليه وسلم[6]، وبيده القضيب، والتقى بدبيس، وهزمه، وقتل وأسر كثيراً من عسكره، وأرسل قائده (إقبال) للسيطرة على الحلة، فـضمها إلـى أمـلاك الخلافة[7].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 285؛ الجالودي، تطور، ص118.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 219.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص 100-101؛ الجالودي، تطور، ص17.

(4) بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى من أراضي الموصـل، انظـر الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص230.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219؛ عمر، فاروق، الخلافة العباسية، السقوط والانهيـار، ط1، دار الشروق، عمان1998م، جـ2، ص180. سيشار إليه تالياً عمر: الخلافة.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 219؛ السامرائي، الدولة، ص284.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص205-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص219-221؛ ابن الأثير، الباهر،ص26-27؛ سبط ابن الجوزي، مـرآة، ق1،جـ ـ8، ص109-110؛

أدى انتصار الخليفة إلى زيادة ثقته بنفسه، وقدرته على الرد على المعتـدين والوقوف في وجههم، والقضاء على التهديد الذي كان يشكّله دبيس[1]، وشـاع أمـر مقتل دبيس أثر هزيمته، لكنه نجا وقصد غزنة في صحراء نجد، وعرض على أهلها التحالف معه، لكنهم رفضوا معاداة الخليفة والسلطان، فسار عنهم وهاجم البـصرة، ونهبها، فأرسل الخليفة في أثره البرسقي، فلما سمع به دبيس ترك البـصرة إلـى قلعة جعبر، وانضم إلى الصليبيين في حصارهم لحلب بعد أن وعـدهم بالمـساعدة وكسب الشيعة فيها إلى جانبه[2]، لكن تحالفه مع الصليبيين فشل في دخول حلب بعد أن سلمها أهلها إلى البرسقي[3] .

لجأ دبيس بعد هزيمته في حلب إلى الملك طغرل بن محمد حاكم سـاوة وآرة وزنجار، وحرضه على التمرد على أخيه السلطان محمود، وهون عليه أمر العراق ومحاربة الخليفة، ووجد ذلك أثراً في نفس طغرل الذي كان يرغـب ومنـذ سـنة 512هـ/1119م بالتمرد على أخيه محمود[4]؛ فأكرم دبيس وجعله من أعيان دولته، واتفقا على السير إلى بغداد والسيطرة عليها [5]. وسارا بالفعـل إليهـا فـي سـنة

---

الذهبي، تاريخ،حوادث ووفيات(501-520هـ)،ص297-299؛ الجميلي، تاريخ،ص67؛ ردايده،جيش، ص36-37.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص228-229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص232-233؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص53؛ ناجي، الإمارة، ص139؛ السامرائي، الدولة، ص 285.

(2) Muir, The Caliphate, its rise, decline, and fall, pp 579, EI$^2$, Mazyad, VI, pp 966.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص219-220؛ ابن الأثير، الكامل،جـ9، ص221؛ ابـن أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص59-60؛ العديم، تاريخ، جـ7، ص3481.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص181-182.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 219-220، 228؛ ابن الأثيـر، الكامـل، جـ ـ9، ص221؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1040.

519هـ/1125م، لكنهما فشلا في احتلالها، واستطاع الخليفة هزيمتهما فهربا إلى السلطان سنجر في خراسان[1].

في خراسان - استمر دبيس على نهجه في تأجيج الصراعات- فحرض السلطان سنجر على السلطان محمود والخليفة، واتهمهما أنهما يسعيان إلى الاتفاق ضده وهون عليه السيطرة على العراق، فاستمع سنجر إلى تحريض دبيس وسار إلى العراق سنة 520هـ/1127م، عازماً السيطرة عليها والحد من قدرات الخليفة لكن السلطان محمد استبق الأحداث وتوجه لملاقاة عمه سنجر بالقرب من همدان، وأقنعه ببطلان مزاعم طغرل ودبيس ووعده بالتوجه إلى بغداد بنفسه، والحد من قدرات الخليفة ووزيره ابن صدقة[2]. فعاد سنجر إلى خراسان بعد أن سلم دبيس إلى السلطان محمود وأوصاه بمنحه ولاية الموصل والشام وعزل زنكي عنها، وأن يسأل الخليفة الرضا عنه[3].

لم يرض الخليفة بذلك وتعاون مع عماد الدين زنكي في إقناع السلطان بعدم تسليم الموصل لدبيس، وأن زنكي هو الأقدر على مجابهة الصليبيين، في حين كان دبيس يميل إلى التحالف معهم، كما حدث في مساعدتهم في حصارهم حلب سنة 518هـ/1125م، فدفع كل من الخليفة وزنكي مائة ألف دينار للسلطان محمود الذي أبقى على زنكي في الموصل[4]، ولم يول دبيس شيئاً، وأبقاه معه في ما يشبه الأسر، وتراجعت مكانة دبيس عند السلطان محمود سنة 523هـ/1130م أثر وفاة

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1042.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 231.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 231؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص247-248؛ ابن العديم، تاريخ، جـ7، ص3481؛ ناجي، الإمارة، ص139-140

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 253؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص142؛ ابن خلكان، الوفيات، جـ2، ص328؛ ابن العديم، تاريخ، جـ7، ص3482؛ ناجي، الإمارة، ص141.

زوجة السلطان محمود ابنة سنجر التي كانت تدافع عنه وتقف إلى جانبـه[1]، فلـم يرض دبيس بهذا الواقع، واستغل مرض السلطان محمود سـنة 523هـ ـ/1130م فهرب إلى الحلة وطرد شحنتها بهروز وسيطر عليها، ومنهـا حـاول استرضـاء الخليفة، ووعده أن يدفع له أضعاف ما كان يدفع أبوه، فلم يـرض الخليفـة بـذلك، وطلب من السلطان محمود محاربة دبيس فهرب دبيس من الحلة، ودخل البـصرة، ونهب منها أموالاً كثيرة، ثم غادرها إلى الكوفة وفيما بعد قـدم الباديـة وانقطـع خبره[2] وتاه في الصحراء، فوقع في سنة 525هـ/1131م في قبضة والي دمـشق بوردي بن طغتكين(522-526هـ/1129-1132م)[3] الذي استغل أسره فباعه إلى عماد الدين زنكي والي الموصل مقابل إطلاق سراح ابنه سونج المعتقل عند زنكي[4]، وأن يدفع زنكي بالإضافة إلى ذلك مبلغ خمسين ألف دينار[5]، أما الخليفة فما أن سمع خبر أسر دبيس لدى والي دمشق حتى أرسل كاتب الإنشاء في طلبه، لكن ابن الأنباري وصل إلى دمشق بعد تسليم دبيس إلى زنكي؛ فغضب وذم زنكـي وعـاد إلى بغداد؛ فقبض زنكي عليه، وهو في طريق عودته[6].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 253؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص249؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص1045؛ ناجي، الإمارة، ص141.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 253-254.؛ ابن العديم، تاريخ، جـ ـ7، ص3481-3482.

(3) المنجد، صلاح الدين، ولاة دمشق في العهد السلجوقي، نصوص مـستخرجة مـن تـاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت1975م، 21، سيشار إليه تالياً المنجد، ولاة.

(4) ابن الأثيـر، الكامـل، جـ ـ9، ص258؛ سـبط ابـن الجـوزي، مـرآة، ق1، جـ ـ8، ص135-136؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب ؛ ابن العديم، تاريخ، جـ ـ2، ص440؛ابـن العبري، تاريخ زمان،ص 143

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 263.ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص258؛ ابن قاضـي شهبة، الكواكب، ص94؛ العديم، تاريخ، جـ7، ص3489.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 263؛ ابن الأثير، الباهر، ص64-47؛ ابـن الأثيـر، الكامل، جـ9، ص258-259.

يبدو أن زنكي لم يكن راغباً في حماية دبيس، بالقدر الذي أراد اســتخدامه للضغط على الخليفة المستَرشِد ليكسبه إلى جانبه في الصراعات التي نــشبت بــين السلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م إذ حاول زنكي الاستفادة من ذلك بجعل الخليفة المستَرشِد يخطب للطفل ألب أرسلان الذي يتــولى أتابكته، ليتسنى له التحكم به، لكن الخليفة رفض ذلك[1]، وفي سنة526هـ/1132م أمر السلطان سنجر كل من دبيس وزنكي بالتحالف ضد المستَرشِد والسير معاً إلى بغداد بهدف السيطرة عليها وإحداث شرخ فــي تحــالف الخليفــة مــع مــسعود وسلجوقشاة [2] ضده كونه كان يدعم تولية طغرل بــن محمــد ســلطاناً لــسلاجقة العراق[3]، لكن الخليفة استطاع هزيمة دبيس وزنكي، وقتل وأســر الكثيــر مــن جنودهم[4]، فعاد زنكي إلى الموصل فيما هاجم دبيس الحلة التي كانت بيد (إقبــال المستَرشِد) من قبل الخليفة، ولم يستطع دخولها إذ هزمه إقبال فغادرهــا، وهــاجم واسط واستولى عليها لفترة قصيرة، حيث أخرجه منها بــرنقش بــازدار وإقبــال المستَرشِدي بأمرٍ من الخليفة المستَرشِد [5].

واتجه بعدها دبيس إلى همدان واستأنف سياسته فــي تــأجيج الــصراعات، فاشــترك فــي حــرب الــسلطان مــسعود ضــد الخليفــة المــستَرشِد ســنة

---

(1) السامرائي، الدولة، ص288-289؛ خليل، عماد الدين، ص51؛ الديوجي، تاريخ، ص271.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، جــ9، ص263؛ ؛ ابــن خلدون، العبر، جـ6، ص1047؛ الجالودي، تطور، ص120-121.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جــ17، ص271؛ ابــن الأثيــر، الكامــل، جــ9، ص265؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص69؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص59؛ ابن خلــدون، العبر، جـ6، ص1047-1048.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص265؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص60؛ ناجي، الإمارة، ص156.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص271، 276؛ ابن الأثيــر، الكامــل، جــ9، ص265؛ ناجي، الإمارة، ص156.

529هـ/1135م[1]والتي هزم وأُسر فيها الخليفة، وأفضت إلـى مقتلـه[2] واتهـم السلطان مسعود بالتعاون مع الباطنية النزارية في قتل الخليفة، فأراد تخليص نفسه من هذه التهمة، فأقدم على قتل دبيس سنة 529هـ/1135م وتحميله قتل الخليفة[3].

### 2.4 : أتابكية الموصل (521-631هـ/1128-1234م)

تعود نشأة الأتابكيات في الدولة السلجوقية إلى عهد السلطان ملكـشاة(465-485هـ/1073-1093م) إذ أراد وزيره نظام الملك الطوسي(ت485هـ/1093م) تخفيف المسؤوليات الإدارية والعسكرية عن الحكومة المركزية، فعمم نظام الإقطاع على مختلف أنحاء الدولة[4]، والذي قسمت بموجبه الدولة إلى إقطاعاتٍ تعطى لكبار الأمراء السلاجقة، وتدار من قبلهم بتفويض من السلطان السلجوقي، وفي حالة كانوا صغار السن يتولى تربيتهم وإدارة شؤونهم أمراء من المقربين للسلطان، فأدى ذلـك إلى ظهور نظام الأتابكيات، ومفردها أتابكية: وهي كلمـة تركيـة تعنـي مربـي الملك[5]، ويقوم هذا النظام على أن يعهد السلطان بتربية أحد أولاده الـذكور لأحـد الأمراء المقربين ويمنحه حق الوصاية عليه، وتـدبير شـؤونه، وتنـشئته تنـشئة عسكرية، ويصدر السلطان كتاب لأتابك يفوضه فيه بتولي تربية أبنه، وعـادة مـا يتزوج الأتابك من أم ابن السلطان الذي تولى رعايته، بعد وفاة السلطان، فتتحـول العلاقة بينهما إلى ما يشبه علاقة الأبوة [6]، وبعد وفاة الأتابك تنتقل رعايـة ابـن السلطان إلى ابن الأتابك، وهكذا حتى تحولت هذه الأتابكيات إلى إمـارات وراثيـة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص281؛ ابن العديم، تـاريخ، جـ7، ص3489؛ نـاجي، الإمارة، ص157.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ القلانـسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمـان، ص149؛ أبو الفداء، المختصر،جـ 2، ص 73، ابن الـوردي، تـاريخ، جـ2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص 162.

(3) ابن العديم، بغية، جـ7، ص3491؛ ابن خلدون، العبر، جـ6،ص 1055.

(4) أمين، تاريخ، ص210.

(5) ابن خلكان، وفيات، جـ2، ص328-329؛ EI$^2$, Atabak, V1 , pp 731-732

(6) القلانسي، ذيل، ص 218.

يتوارثها ابناء الأتابك ويحكمونها كيفما يشاءون، ولم يكن لابناء السلاطين فيها سوى الاسم دون المعنى[1].

انتشرت هذه الأتابكيات حتى عمتْ مختلف مناطق وولايات الدولة السلجوقية التي تحولت إلى ما يشبه الإمـارات المـستقلة؛ منهـا أتابكيـة الموصـل (521-631هـ/1128-1234م) مؤسسها عماد الدين زنكـي (521-541هـ ـ/1128-1147م) واتابكيـة دمـشق(498-549هـ ـ/1105-1155م) مؤسـسها الأتابـك طغتكـين(498-522هــ ـ/1105-1129م) [2] واتابكيــة ســنجار (566-617هـ/1171-1221م) مؤسسها عماد الدين زنكي بـن قطـب الـدين مـودود المعروف بعماد الدين الثاني، واتابكيات أذربيجان[3] ولورستان، واربل وديار بكـر والجزيرة وفارس وكرمان وغيرها[4].

أما الموصل فكانت قبل ظهور الدولة السلجوقية، تُحكم من قبل قبيلة عقيـل العربية، والتي اعترف السلاجقة بها عند دخولهم العراق سنة 447هــ/ 1056م، كما فعلوا مع بقية الإمارات العربية التي كانت منتشرة في أنحاء العراق، وحـصلوا مقابل هذا الاعتراف على إعلان الخطبة باسـم الـسلطان إلـى جانـب الخليفـة العباسي[5].

بقي بنو عقيل يتوارثون هذه الإمارة حتى سنة 489هـ/ 1097م، حين احتلها الأمير كربوقا(489-495هـ/1097-1102م) بأمرٍ من مولاه الأميـر تـتش بـن السلطان ألب أرسلان السلجوقي[6]، وبقى يحكمها حتـى وفاتـه سـنة 495هــ/ 1102م[7]، وتولى حكمها بعده الأمير جكرمش(495-500هـ ـ/1102-1107م)،

---

(1) الجالودي، تطور، ص85.

(2) الذهبي، الإشارة، ص265..

(3) Lane-poople: The Mohammadan Dynasties, pp171.

(4) أمين، تاريخ، ص211-212.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص317.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص4-5؛ مرتضي، كلشن خلفا، ص103.

(7) ابن الأثير، الكامل ، جـ9، ص54-55.

فأحس السيرة في حكمها لذلك أبقاه السلطان بركيـاروق(487-498هـ ـ/1095-1105م) ومن بعده السلطان محمد(498-511هـ/1105-1118م) على رأس هذه الإمارة حتى وفاته سنة 500هـ/1107م[1]واستولى عليها بعـده الأميـر جـاولي سقاور، والذي حاول الاستقلال بها [2]، لكنه فشل في ذلك، واستطاع الأمير مودود أعادتها إلى الدولة السلجوقية[3] فولّه السلطان محمد عليها ليبقى يحكمها حتى مقتلـه على يد الحركة الباطنية سنة 508هـ ـ/1115م[4] فولّهـا بعـده الأميـر أقـسنقر البرسقي[5] والذي لم يدم حكمه لها طويلاً؛ إذ عزل عنها في سنة 509هـ/1116م، وأقطعها السلطان محمد لأمير (جيوش بك) وعهد إليه مهمة تربية ابنه مـسعود[6]، وأبقى على البرسقي إلى جانبه، فسار البرسقي إلى الرحبة[7]، ثم ولاه شحنة بغداد سنة 512هـ/1119م [8]، ثم عزل عنها في السنة نفسها[9] ثم أعيـد إليهـا سـنة 516هـ/1123م، وأدى البرسقي في هذه الفترة دوراً كبيراً إلـى جانـب الخليفـة المستَرشِد في حروبه ضد دبيس بن صدقة أمير الحلة[10].

---

(1) ابن الأثير، الكامل ، جـ9، ص78-79.

(2) المصدر نفسه، جـ9، ص106-107.

(3) المصدر نفسه، جـ9، ص129-130.

(4) المصدر نفسه، جـ9، ص149-150؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص50-52؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص37.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص153؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص37.

(6) ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص37؛ الذهبي، تاريخ، حـوادث ووفيـات(501-520هـ ـ) ص272.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص161؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص119.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص204-205؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ ـ9، ص 213-215.

(9) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 172؛ ابن خلكان، وفيات، جـ1، ص242-243.

(10) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص206-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص219-221؛ سبط ابن الجـوزي، مـرآة، ق1،جـ ـ8،ص 109-111؛ الـذهبي، تـاريخ، حـوادث ووفيات(501-520هـ) ص297-299؛ ابن كثير، البدايـة، جـ ـ11، ص235-236؛

أما (جيوش بك) فبقي يتولى أتابكية مسعود في الموصل وينوب عنـه فـي حكمها، وحرضه بالتعاون مع دبيس على التمرد على أخيه السلطان محمود(511-525هـ/1118-1131م) فأعلن مسعود تمرده على أخيه سنة 514هـ/1121م، لكن محمود استطاع إنهاء هذا التمرد بعد هزيمة أخيه مسعود وعفا عنه [1]، وقتـل (جيوش بك)[2]، وأقطع الموصل للبرسقي، وأمره بمحاربة الصليبيين[3].

كان البرسقي صاحب مكانةٍ كبيرةٍ عند السلطان محمود لما يقوم به من دور في محاربة الصليبيين[4] وتثبيت الحكم السلجوقي في العراق[5] فزاد الـسلطان فـي أملاكه فولاه شحنة بغداد في الفترة(516-517هـ/1123-1124م) بالإضافة إلـى ما بيده [6].

---

النويري، نهاية،جـ23، ص265-267؛ ابن خلـدون، العبـر، جـ7، ص614-615؛ الجميلي، تاريخ، ص 67-68.

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص191-192؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8،ص 89-90؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص138.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص217.

(3) المصدر نفسه، جـ9،ص207؛ ابن الأثير، الباهر، ص24؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص57؛ الـذهبي، تـاريخ، حـوادث ووفيـات(501-520هـ) ص290؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص92-93؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص128؛ ابن العديم، تاريخ،جـ2، ص438-439.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص229-230؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ) ص306.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص206-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219-221؛ سبط ابن الجوزي، مـرآة، ق1، جـ8،ص 109-111؛ الـذهبي، تـاريخ، حـوادث ووفيات(501-520هـ) ص297-299؛ ابن كثير، البدايـة، جـ11، ص235-236؛ النويري، نهاية، جـ23، ص265-267؛ ابن خلدون، العبـر، جـ7، ص614-615؛ الجميلي، تاريخ، ص 67-68.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،214.

بقي البرسقي يحكم الموصل من قبل السلطان محمود حتى مقتله علـى يـد الباطنية سنة 520هـ ـ/1127م[1] فتـولى حكمهـا بعـده ابنـه مـسعود(520-521هـ/1127-1128م)، والذي لم يـدم حكمـه لهـا طـويلاً إذ تـوفي سـنة 521هـ/1128م [2]، فحاول الأمير جاولي الذي كان يـدبر شـؤون مـسعود بـن البرسقي قبل وفاته، أن يحصل على تفويضٍ من السلطان محمود بحكم الموصل بعد وفاة مسعود بن البرسقي، فأرسل الرسل بذلك إلى السلطان، وبذل له المال والهدايا، لكن رسله انقلبوا عليه، وشجعوا السلطان بالتعاون مع وزيـره ورجـال الخليفـة المسترشد على عدم تولية الأمير الجاولي، وتولية عماد الدين زنكي لما له من خبرة وتجربة في محاربة الصليبيين، بخاصة وأن الصليبين قد احتلوا كثيراً مـن الـبلاد الإسلامية في الشام والجزيرة الفراتية[3]، فأجاب السلطان إلى تولية عماد الدين على ولاية الموصل لما عرِفَ عنه من كفاءة، ودعمه لحكم السلطان محمود، وأصدر له بذلك منشوراً[4] وعهد إليه بأتابكية ابنيه ألب أرسـلان، وفـروخ شـاه المعـروف بالخفاجي[5].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص236-237؛ سبط ابـن الجـوزي، مـرآة، ق1، جـ8، ص116-117-111؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص61؛ القلانسي، ذيـل، ص214؛ ابن خلكان، وفيات، جـ1، ص242-243؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص53

(2) القلانسي، ذيل، ص216-217؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص62؛ ابن العبري، تـاريخ مختصر، ص 203..

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص242-244؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص62؛ ابـن العبري، تاريخ مختصر، ص203؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص92-93.

(4) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص244؛ ابن الأثيـر، الكامـل، جـ9،ص242-244؛ الجميلي، رشيد الدين عبدالله، إمارة الموصل في العصر السلجوقي(489-521هـ)، ط1، جامعة بغداد، بغداد1980، ص158، سيـشار إليـه تاليـاً: الجميلـي، إمـارة؛ خليـل، عماد الدين، ص49-50؛ الديوجي، تاريخ، ص263

(5) الفارقي، تاريخ، نقلاً عن حاشية القلانسي، ذيل، ص 218؛ ابن خلكان، وفيـات، جـ2، 328؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص46؛ الديوجي، تاريخ، ص264.

كان عماد الدين زنكي قبل توليه أتابكية الموصل من كبار أمراء الدولة السلجوقية في العراق والموصل خاصة، إذ عاش فيها منذ وفاة أبيه آقسنقر الحاجـب، سنة 487هـ/1095م[1] حتى سنة 515هـ/1122م، عاصر خلال هذه الفترة حكـم ولاتها السلاجقة، وشارك معهم في حروبهم ضد الصليبيين ودبيس، وأثبـت كفاءتـه وشجاعته[2]، فعلت مكانته عند السلطان محمود، ففي سنة 515هـ ـ/1122م رفـض زنكي مرافقة البرسقي عندما ولاه السلطان الموصل والتحق بالسلطان فقربه حتـى صار من خاصته ثم ولاه البصرة سنة 518هـ/1125م[3] وأضاف إليه واسط[4]، وفي سنة 520هـ/1127م، لعب زنكي دوراً كبيراً في مساعدة السلطان على دخـول بغداد، وإخضاع الخليفة المسترشد، فاختاره السلطان لتولي شحنتها لما عهد فيه مـن كفاءة وخبرة وقدرة على الحدّ من طموحات الخليفة الاستقلالية[5].

---

(1) ابن خلكان، وفيات، جـ1، ص241، هو أبو سعيد آقسنقر بن عبدالله قسيم الدولة المعروف بالحاجب، كان مملوك للسلطان ألب أرسلان، ثم عهد إليه تربية السلطان ملكـشاة، وولاه الكثير من المناصب كان أخرها حكم ولاية حلب التي تولاها سنة 479هـ/1087م، وبقي يحكمها حتى مقتله سنة 487هـ/1095م، انظر ابن خلكان، وفيـات، جـ1، ص241؛ الديوجي، تاريخ، ص257.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص206-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص219-221؛ سبط ابن الجوزي، مـرآة، ق1، جـ8،ص 109-111؛ الـذهبي، تـاريخ، حـوادث ووفيات(501-520هـ) ص297-299؛ ابن كثير، البدايـة، جـ11، ص235-236؛ النويري، نهاية، جـ23، ص265-267؛ ابن خلدون، العبـر، جـ7، ص614-615؛ الجميلي، تاريخ، ص 67-68.

(3) ابن الأثير، الباهر، ص24؛ الديوجي، تاريخ، ص259-262.

(4) الذهبي، تاريخ، وفيات وحوادث(501-520هـ)، ص304؛ الـديوجي، تـاريخ، ص259-262.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص244؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص241؛ المقدسـي، الروضتين ،جـ1،ص114؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص203؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص53؛ ابن كثير، البداية،جـ11،ص244؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص92.

سار عماد الدين إلى الموصل؛ فوصلها وتسلمها مـن الأميـر جـاولي وأقطعه الرحبة وأعمالها[1]، وقرر قواعد الحكم فيها، واختار لذلك رجالاً يثـق بهـم ونظم أمور الإمارة عسكرياً وإداريا وأحكم قبضته عليها؛ لتكون إمارةً له ولابنائه من بعده[2].

اتسمت علاقة الخليفة المستَرشِد مع زنكي بالاستقرار بعد توليه ولايـة الموصل؛ إذ تخلص المستَرشِد من شخصية قوية يمكن أن يكون لها دوراً كبيراً فـي الحد من مشاريع الخليفة الاستقلالية فيما لو بقي يتولى شحنة بغداد [3] فكان الخليفـة من مؤيدي بقاء زنكي على ولاية الموصل ففي سنة 522هـ/1129م، استطاع دبيس المقيم عند السلطان سنجر في خراسان تحريضه على الـسلطان محمـود والخليفـة المستَرشِد، وحذره من أنهما يعدان العدة للتخلص منه، وهون عليه أمر السيطرة على العراق، فمال السلطان سنجر إلى قبول هذا الرأي، وتوجـه مـن خراسـان قاصـداً العراق، لكن السلطان محمود سمع بخبر تحرك عمه سنجر فمضى إليه والتقى معـه وتصالحا وطمأنه على العراق، فرضي سنجر بهذا، وسلم دبيس إلى محمود، وأمـره بتوليته الموصل بدلا من زنكي، وأن يسأل الخليفة الرضا عنه[4].

استجابة لأوامر السلطان سنجر توجه السلطان محمود إلى بغداد، وطلب من الخليفة الرضى عن دبيس ومن زنكي التخلي عن الموصل لدبيس، فيما بقي دبيس خارج بغداد ينتظر الرد، لكن الخليفة لم يرضى بالعفو عن دبيس، وتعاون مع زنكـي -الذي جاء إلى بغداد مسرعاً- في إقناع السلطان بعدم تولية دبيس، وإبقاء زنكي على الموصل، كونه الأقدر على مجابهة الخطر الصليبي بعكس دبيس الذي تحـالف مـع

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص243؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، 62.

(2) خليل، عماد الدين، ص49؛ الجميلي، دولة، ص46-47.

(3) الجالودي، تطور، ص 90.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص249؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص142.

الصليبيين وبذل كل من الخليفة وزنكي مائة ألف دينارٍ للسلطان [1] كما أن أهل بغداد تظاهروا ضد دبيس، ومنعوه من دخول بغداد، وشتموه وامتدحوا زنكي، لجهاده ضد الصليبيين[2]، فاقتنع السلطان بضرورة إبقاء زنكي على الموصل لمواجهة الخطر الصليبي، وخلع عليه، وأقره على ولايته، وكتب له منشوراً جديداً بحكمها تأكيداً لمنشوره الذي أصدره سنة 521هـ/1128م[3]

يبدو أن السلطان محمود كان يميل إلى جانب زنكي لما له من مواقف إلى جانبه، كما أنه يدرك أن السلطان سنجر أراد من تولية دبيس أن يكون عيناً له على السلطان محمود والخليفة[4].

تحسنتْ علاقات زنكي بالخليفة بعدما أيد الخليفة تثبيت زنكي على ولاية الموصل واستمرت كذلك، لكنها أخذت بالتوتر بدءاً من سنة 525هـ/1131م، حين أقدم زنكي على شراء دبيس المعتقل عند والي دمشق بخمسين ألف دينارٍ، وحرم الخليفة من فرصة القبض على عدوه دبيس، إذ أن الخليفة أرسل ابن الأنباري في طلب دبيس فور سماعه خبر اعتقاله لدى والي دمشق[5] لكن ابن الأنباري وصل إلى دمشق متأخراً بعدما كان زنكي قد اشترى دبيس، فغضب ابن الأنباري، وأغلظ القول لزنكي فقبض عليه زنكي وهو في طريق عودته إلى بغداد وسجنه وأهانه[6].

ويبدو أن زنكي أقدم على هذه الخطوة لاستخدام دبيس في الضغط على الخليفة، وهذا ما حدث في سنة 525هـ /1131م حين توفي السلطان محمود وتنازع

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، 252-253؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص249؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص247؛ الذهبي، دول، جـ 2، ص 31؛ خليل، عماد الدين، ص 50-51؛ رنسيمان، تاريخ، جـ ص2، ص290.

(2) ابن كثير، البداية، جـ 11، ص247؛ خليل، عماد لدين، ص51.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص249؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص247.

(4) خليل، عماد الدين، ص51.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص135-137؛ القلانسي، ذيل، ص230-231؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص58.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص2258-259؛ أبو الفداء، المختصر، جـ 2، ص66-67؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص58 .

السلاجقة على من يتولى بعده؛ فأراد زنكي اغتنام هذه الفرصة في تولية من يمكنـه من تحقيق أهدافه، فبعث إلى الخليفة يطلب منه الخطبة للطفل ألب ارسلان الذي يتولى زنكي أتابكيته[1]، فرفض الخليفة طلب زنكي بحجة صغر سن الطفل ألب أرسـلان، وأن السلطان محمود كان قد أوصى بالحكم لابنه داود والذي خطب له بالفعـل فـي بعض المناطق، وارجع الخليفة أمر تولية السلطان الجديد إلى السلطان سنجر فهو عم القوم وكبيرهم[2]، فلجأ زنكي في سنة 526هـ/1132م إلى التحالف مع مسعود بـن السلطان محمد، وأتفق معه على السعي لتنصيب مسعود سـلطاناً للـسلاجقة، مقابـل تنازله عن مدينة أربيل لصالح زنكي، وتوجها بالفعل إلى بغـداد لمطالبـة الخليفـة بالخطبة لمسعود[3] إلا أن منافساً أخر كان قد سبقهما إليها، وهـو سلجوقـشاة بـن السلطان محمد مدعوما باتابكه قراجة الساقي صاحب فارس، وطالب الخليفة بالخطبة له[4]، وعند وصول قوات زنكي إلى مشارف بغداد اشتبكت مع قوات الساقي، وهـزم زنكي، وهرب إلى تكريت، ومنها عاد إلى الموصل[5] .

أدرك زنكي بعد هزيمته هذه أن قوة السلاجقة تكمن في السلطان سنجر الذي يسيطر على خراسان، فمال إلى جانبه وقام في سنة 526هـ/1132م بالتعاون مع دبيس بتنفيذ أوامره بالتوجه نحو بغداد؛ بهدف تفكيك التحالف الذي شكّله الخليفة مع كل من مسعود وسلجوقشاة ابني السلطان محمد، وهاجم زنكي ودبيس بغـداد فـي الوقت الذي سار فيه زنكي لملاقاة الخليفة وحلفاءه مما جعل الخليفة يتـرك حلفائـه

---

(1) ابن واصل، مفرج، جـ1، ص46؛ السامرائي، الدولة، ص288-289؛ خليل، عماد الدين، ص51؛ الديوجي، تاريخ، ص271.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص264؛ ابن الأثير، الكامـل، جـ9، ص259؛ ابـن واصل، مفرج، جـ1، ص46؛ ابن كثير، البداية، جـ11 ؛ابن خلدون، العبـر، جـ6، ص1046.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص269-270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263-263؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص59؛ خليل، عماد الدين، ص52؛ رنسيمان، تاريخ، جـ2، ص308-309.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص269-270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263.

ويعود لحماية بغداد من زنكي ودبيس حيث استطاع صدهما وهزيمتهما وقتل كثيـر من جنودهما وأسر بعضهم [1].

حاول زنكي استرضاء الخليفة فأرسل إليه أحد قضاته يطلب عفوه وينتظـر أمره لتولي شحنة بغداد من قبل السلطان سنجر، فرفض الخليفة ذلك واشترط علـى زنكي تسليم دبيس ليتم الصلح بينهما، وهدده إن لم يفعل ذلك، سيتم مهاجمتـه فـي الموصل[2]، ولم يكتفِ الخليفة بهذا بل بعث الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الإسـفراييني الواعظ إلى زنكي، وحمله رسالة تضمنت عباراتها التهديد والوعيد، وتقبـيح فعلـه بحماية دبيس، وتحالفه مع سنجر ضد الخليفة، وزادها الإسفراييني خشونة وقبح فعل زنكي مظهراً قوة الخليفة وقدرته وناموس الخلافة، فرد زنكي علي هذا بالقبض على الإسفراييني وسجنه وإهانته[3].

أراد الخليفة استغلال هذه الحادثة، وانشغال السلاجقة في نزاعـاتهم لتحقيـق أهدافه التوسعية والاستقلالية بضم الموصل والمناطق والواقعة على الطريق إليهـا، وتأديب زنكي على أفعاله بحماية دبيس، والتحالف مع أعداء الخلافة، ووضع حـداً لاتخاذ الموصل ملجأ لأعداء الخلافة، وإظهار قوته بعد أن أصبح يمتلك جيش يعـده للقيام بدور محوري في المنطقة[4]، فنادى الخليفة بالنفير العام فجمع جيشه، وكاتـب الولاة، واستطاع جمع جيشٍ كبيرٍ وصل تعداده إلى نيف وثلاثين ألف راجل واثني عشر ألف فارس[5]وتوجه إلى الموصل[6] وفي طريقه إليها أخضع المـستَرشِد كـل

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص265؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص47-51.

(2) ابن الأثير، الباهر، ص45-46؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص69 ؛ ابـن العبـري، تاريخ زمان، ص145؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص60.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص270؛ ابن واصل، مفـرج، جـ1، ص52؛ الزهرانـي، نظام، ص54.

(4) ابن الأثير، الباهر،ص 47؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص270؛ ابـن العبـري، تـاريخ مختصر، ص204؛ ابن خلدون، العبر،جـ6، ص1050؛ خليل، عمـاد الـدين ،ص 55؛ الآلوسي، "المستَرشِد"، ص506.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص266.

(6) $EI^2$, AL-Mustarshid, VII pp 734

المناطق التي مر بها كالرملة[1] وتكريت والمزرقة[2]، ووصل إلى الموصل في العشرين من رمضان سنة 527هـ/1133م وفرض عليها حصاراً مشدداً[3].

أما زنكي فقد استعد لملاقاة الخليفة، وحماية الموصل من الوقوع في قبضته فأخذ قسماً من جيشه، وخرج به إلى سنجار خارج الموصل، وترك ما تبقى من جيشه فيها، وأمره بالدفاع عن الموصل[4].

وصلت قوات الخليفة إلى الموصل وانضم إليه أبو الهيجاء الكردي أحد أمراء الأكراد، ومعه جيوش كثيفة [5]، وأخذ جيش الخلافة يشن هجماته على الموصل، لكن نائب زنكي استطاع الصمود في الدفاع عنها، فيما كان زنكي يقطع خطوط إمدادات الخليفة ويشن الغارات عليه، وأرسل زنكي إلى الخليفة يعرض عليه المال والهدايا مقابل رفع حصاره عن الموصل؛ فرفض الخليفة هذا العرض[6]، وجرت محاولة لتسليم الموصل بالتعاون مع بعض حماتها الذي تواطئوا مع جنود الخليفة لتحقيق ذلك ، لكن هذا المؤامرة اكتشفت قبل أن تتحقق أهدافها[7]، وطال أمد الحصار حتى بلغ ثمانين يوماً، لم يستطع الخليفة إزاءها تحقيق شيء، ولم يظهر على الموصل ما يشير إلى ضعفها؛ مما اضطر الخليفة إلى تركها، والعودة إلى بغداد؛ أثر سماعه أخبار عن تغير السلطان مسعود عليه، وعزمه إلى مهاجمة بغداد مستغلاً غياب الخليفة عنها، ووجوده خارجها أثناء حصاره للموصل[8].

---

(1) محلة على شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد،انظر الحموي،معجم البلدان، جـ3،ص69-70

(2) قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاث فراسخ ،انظر الحموي،معجم البلدان، جـ5،ص121.

(3) ابن الأثير، الباهر، ص47-48.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 276؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص270؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص52.

(5) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص276؛ خليل، عماد الدين، ص55.

(6) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص276؛ الزهراني، نفوذ، ص 131؛ خليل، عماد الدين، ص 56.

(7) ابن واصل، مفرج، جـ1، ص52-53.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص276؛ القلانسي، ذيل، ص249.

إن ازدياد قوة مسعود بن السلطان محمد بعد انتصاراته على أخيـه طغـرل وكونه عدواً مشتركاً للخليفة وزنكي؛ جعلهما يسعيان إلى التحالف من أجل تكـوين جبهة مضادة قادرة على الصمود في وجهه، فبادر الخليفة إلـى الاتـصال بزنكـي يعرض عليه رغبته في الصلح؛ فأجاب زنكي إلى ذلك، وتم الاتفاق بين الطـرفين، وقدم زنكي ابنه غازي رهينة عند الخليفة، وبعث الخليفـة الهـدايا والخلـع إلـى زنكي[1].

واستمر التحسن في علاقات الجانبين حتى وصلت سنة 529هـ/1135م إلى حد التحالف، ومشاركة زنكي في حرب الخليفة ضد السلطان مـسعود، إذ أرسـل الخليفة إلى زنكي الذي كان يحاصر دمشق، وطلب منه فك الحصار عنها، والقدوم إلى بغداد والمشاركة في حرب الخليفة ضد مسعود، ووعده بتلبيـة طلبـه القـديم بالخطبة لطفل ألب أرسلان فأجاب زنكي إلى ذلك وفك الحصار عن دمشق، وخطب باسم الطفل ألب ارسلان وخطب الخليفة باسمه وذلك يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة 529هـ/ 1135م[2] فأرسل زنكي قواتـه لمـساعدة الخليفة ضد مسعود لكنها لم تشترك في الحرب بسبب وصولها بعد هزيمة الخليفـة وأسره[3]، والذي أفضى في ما بعـد إلـى مقتلـه علـى يـد الباطنيـة النزاريـة سنة529هـ/1135م[4].

---

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص218؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 282؛ ابن العبـري، تاريخ زمان، ص 204؛ ابن الوردي، تاريخ،جـ 2، ص62؛ رنسيمان، تاريخ، جـ 2، ص309.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص263؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ 8، ص154؛ القلانسي، ذيل، ص248؛ ابن العديم، تاريخ، جـ2، ص450-451..

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 147.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ القلانـسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمـان، ص149؛ أبو الفداء، المختصر،جـ 2، ص 73، ابـن الـوردي، تـاريخ، جـ 2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص 162.

## 3.4 : الحروب الصليبية وموقف الخليفة المسترشد منها

انطلقت الحملة الصليبية الأولى من غرب أوروبـا سـنة 490هـ ـ/1099م واجتازت آسيا الصغرى، ثم تغلغلت في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ونجحت فـي تأسيس أربع كيانات سياسية[1] لها فـي كـل مـن الرهـا(491هـ ـ/1097م) [2] وأنطاكيـ ـ ـا(492هـ ـ ـ ـ/1098م) [3]والقـ ـ ـدس(492هـ ـ ـ ـ ـ/1099) [4] وطرابلس(502هـ ـ/1109م) [5] وانتهجت هذه الكيانات سياسةً عسكريةً تقوم علـى الإغارة على المناطق الإسلامية المجاورة لها، والقيام بعمليات القتل والنهب ونـشر الرعب في نفوس الناس والتحصن في قلاعهـا؛ لحمايـة نفـسها مـن حمـلات

---

(1) الحسو، احمد عبدالله، الكرك عبر العصور، وزارة الثقافة الأردنية، عمان 2005م، ص37. سيشار إليه تالياً الحسو، الكرك. أنظر الملحق: رقم(و)، ص208-209.

(2) عن إمارة الرها انظر: رنسيمان، تاريخ، جـ1، ص287 وما بعدها؛ الرويـضي، محمـود محمد، إمارة الرها الصليبية (1097-1155م/490-550هـ)، ط1، وزارة الثقافة، عمان 2002م سيشار إليه تالياً ـ الرويضي، إمارة.

(3) عن إمارة إنطاكيا انظر: الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية وقـدم له سهيل زكار، ط1، دار الفكر، د.م 1980م، جـ1، ص256-283؛ رنسيمان تـاريخ، جـ 1، ص303، 327-334.

(4) عن مملكة بيت المقدس اللاتينية انظر : رنسيمان، تاريخ الحروب الـصليبية مملكـة بيـت المقدس (1100-1187م)، نقله إلى اللغة العربية الباز العريني، ط1، دار الثقافة، بيروت 1968م، جـ1، ص375 وما بعدها؛ سيشار إليه تالياً، رنسيمان، تاريخ

(5) عن إمارة طرابلس انظر: الصوري، تاريخ، جـ2، ص279-287؛ زكار سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط3، دار الفكر، بيروت1975، 242-247.سيشار إليه تاليـاً: زكار، مدخل.

المسلمين[1]، وطلب العون من ملوك غرب أوروبا الـذين اسـتمروا فـي إرسـال الحملات الصليبية إلى مناطق بلاد الشام ومصر[2].

كانت السلطنة السلجوقية -والتي من مهامها الدفاع عن بلدان الخلافة العباسية في حالة تعرضها للخطر- غارقةً في مشاكلها الداخلية، وصراعاتها حول السلطة[3] إذ تزامن الغزو الصليبي مع اشتداد الصراعات الـسياسية التـي شـهدتها الدولـة السلجوقية عقب وفاة السلطان ملكـشاة(465-485هـ ـ/1073-1093م)، والتـي تجددت، وازدادت شدتها بعد وفاة السلطان محمد(498-511هـ ـ/1105-1118م) ووفاة السلطان محمود(511-525هـ/1118-1131م)[4] فلم تقم بواجبها تجاه بلاد

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ ـ9، ص16، 19-20، 43، 56-57، 67-68، 72،70، 85-86، 93-94، 128-131 ؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص92-93.

(2) عن الحملات الصليبية انظر: رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية؛ سميل، ر.سي، الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1982م، ص28-39. سيشار إليه تالياً سميل، الحروب.

(3) الحسو، الكرك، ص53.

(4) عن صراعات السلاجقة عقب وفاة السلاطين السلاجقة ملكشاة ومحمد ومحمود انظر الفصل الثالث من هذه الأطروحة: السلاجقة في عهد المسترشد

الشام والجزيرة الفراتية وإنما تحملت القوى المحليـة -فـي دمـشق[1] وحلـب[2] والموصل[3] ومصر[4]- العبء الأكبر في مواجهة هذا الخطر.

أما الخلافة العباسية فكانت أضعف من أن تشارك عسكرياً في مواجهة هـذا الخطر[5]، إذ كان الخليفة المستظهر(487-512هـ/1095-1119م) واقعاً تحـت النفوذ السلجوقي، الذي جرده من إي قوة عسكرية، ممـا جعلـه يكتفـي باسـتغاثة السلاطين السلاجقة لمواجهة الخطر الصليبي ففي سنة 491هـ/1098م، وبعـد أن ظهر الخطر الصليبي، وملك الصليبيون أنطاكيا، ومعرة النعمان، أرسـل الخليفـة رسولاً إلى السلطان بركياروق "مستنفراً على الفرنج ومبالغاً فـي تعظـيم الأمـر،

---

(1) أسس هذه الأتابكية في دمشق الأمير السلجوقي طغتكين الذي كان أتابكا للأمير دقاق بن تتش بن السلطان ألب أرسلان، فلما توفي هذا سنة 497هـ/1103م أستأثر طغتكين بحكمهـا، وتوارثها أبنائه حتى سقوطها بيد نور الدين محمد سنة 549هـ/11055م، انظر المنجـد، ولاة، ص17-26؛ وعن دورها في مواجهة الخطر الصليبي انظـر: القلانـسي، ذيـل، ص133-267.

(2) خضعت ولاية حلب في سنة 512هـ/ 1119م، لحكم عائلة تركمانية عرفـت بالأراتقـة، والتي بقيت تحكمها حتى سقوطها بيد آقسنقر البرسقي سنة 518هـ/1125م، نظر ابـن شداد، عزالدين بن محمد (684هـ/1285م) الأعلاق، جـ3، ق2، ص428-437؛ وعن درها في مواجهة الخطر الصليبي انظر: الرويضي، إمارة، ص455-493.

(3) عن دور الموصل في عهد الولاة السلاجقة(489-521هـ/1097-1128م) فـي مواجهـة الخطر الصليبي انظر: الرويضي، إمارة، ص 381-493،410-525؛ وعن دورها فـي عهد أتابكية الموصل(521-631هـ/1128-1234م)، انظر خليل، عمادالـدين، ص134 وما بعدها؛ الجميلي، رشيد، دولة الأتابكة في الموصل بعد عمادالـدين زنكـي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت1970م، سيشار إليه تالياً: الجميلي، دولة

(4) عن موقف الخلافة الفاطمية في مصر من الحملة الصليبية الأولى، نظر غوانمة، يوسـف، "الأفضل بن بدر الجمالي وموقفه من الحملة الصليبية الأولى"، مجلة كلية الآداب جامعـة الملك سعود1983، م10، ص71-91. سيشار إليه تاليا: غوانمة، الأفضل.

(5) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1975م، جـ1، ص535.سيشار إليه تالياً عاشور، الحركة.

وتداركه قبل أن يزداد قوة"[1]. وبعد احتلال الصليبيون لبيت المقدس سنة 492هـ/1099م، ووضعهم السيف في رقاب أهله، جاء المستنفرون من الشام إلى بغداد، فوجههم المستظهر إلى السلطان بركياروق" وورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد بصحبة القاضي أبي سعيد الهروي، فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبي الحريم والأولاد ونهب الأموال، فلشدة ما أصابهم أفطروا، فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاسي وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفا بن عقيل وأبو سعيد الحلواني وأبو الحسين بن سماك، فساروا إلى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني ...فعادوا من غير بلوغ أرب ولا قضاء حاجة، واختلف السلاطين .....فتمكن الفرنج من البلاد[2].

أما الخليفة المسترشد فمع أنه قد نَشِطَ في محاولة تقليص النفوذ السلجوقي في العراق، وتكوين قوةٍ عسكريةٍ خاصةٍ به، إلا أن المصادر لم تُشِر الى أي دورٍ عسكري له في مواجهة الخطر الصليبي[3] وربما يعود ذلك؛ لانشغاله في محاولته

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص43؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص17.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص47-48؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص19-20؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص20.

(3) الصوري، تاريخ، جـ1، ص256-283؛ الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص 1 وما بعدها؛ ابن حمدون، التذكرة، 168-175؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص161-300؛ الفارقي، تاريخ، 152-300؛ ابن العمراني، الإنباء، ص188-225؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174-284؛ ابن الأثير، الباهر، ص5-25؛ الكازروني، مختصر، ص219-225؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ 8، ص70-160؛ أبو الفداء المختصر، ص5076؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، 81-103؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص223-259 ؛ ابن شداد، الأعلاق، جـ3، ق2، ص428-437؛ البنداري، تاريخ، ص109-171؛ الحسيني، أخبار، ص84-123؛ القلانسي، ذيل، ص198-253؛ الحسيني، راحة، ص35-50؛ ؛ النويري، نهاية؛ ابن العبري، تاريخ زمان، 86-151؛

الحد من النفوذ السلجوقي، وتحقيق استقلال العراق، ومواجهة الخطر الـذي كـان يشكله دبيس بن صدقة أمير الحلة على دار الخلافة، والذي دام طول فترة خلافته.

كما أن الخليفة المستَرشِد كان يرى أن مواجهة هذا الخطر من مهام السلطنة السلجوقية، وولاتها في حلب والموصل ودمشق، ففي سنة 512هـ/1119م وصلت رسل إيلغازي صاحب حلب وماردين إلى بغداد يستنفر على الصليبيين، ويذكر مـا فعلوا بالمسلمين في الديار الجرزية، وأنهم ملكوا قلعة الرها وقتلوا أميرها، فما كان من الخليفة المستَرشِد، إلا أن أرسل الرسل بذلك إلى السلطان السلجوقي محمود[1]، في سنة 514هـ/1121م، وبعد أن استطاع إيلغازي تحقيق انتصار على الصليبيين، وأصاب منهم، أرسل إليه الخليفة المستَرشِد ابن الأنباري يحمل الخلع إليه، ويشكره على غزو الصليبيين ويأمره بإبعاد دبيس عنه[2].

وعندما فوض المستَرشِد للسلطان محمود حكم البلاد سنة 515هـ/1122م، سلمه سيفين ...وقال له أقمع بهما الكفار والملحدين، وعقد له بيده لوائين[3]،ودعـم الخليفة في سنة 523هـ/1123م تثبيت عماد الدين زنكي في حكم ولاية الموصـل لما له من دورٍ كبيرٍ في حماية البلاد من الصليبيين بعكس دبيس الـذي كـان قـد تحالف معهم ضد المسلمين[4].

---

الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص273-300؛ ابن الوردي، تـاريخ، جـ2، ص40-62؛ السيوطي، تاريخ، ص335-343.

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص169؛ الذهبي، سير، جـ20، ص103-104.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص194-195.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص196؛ القلانسي، ذيـل، ص238؛ الـذهبي، تـاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص287-288.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، 252-253؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9،ص249؛ ابـن كثير، البداية، جـ 11، ص247؛ خليل، عماد الدين، ص 50-51؛ رنسيمان، تاريخ، جـ ص2، ص290.

## 4.4 : الحركة النزارية وعلاقتها بالخليفة المسترشد

تعددت فرق الشيعة ومذاهب أهلها، فكـان منهـا الإسـماعيلية والمباركيـة واليزيدية والقرمطية والخرمية والنزارية [1] والباطنية، والذي أطلق على جميع هذه الفرق، لأنها جعلت لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً[2].

فالنزارية[3] فرقةٌ شيعيةٌ اسماعليةٌ ظهرت في مناطق شمال إيران علـى يـد الداعي الشيعي الحسن الصباح (483-518هـ/1091-1125م)[4] في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي والذي تهيأت له فرص التحرك، فاسـتطاع نـشر دعوته في مناطق أذربيجان وإيران والعراق والشام، وتبعه أناس كثُر وسيطر على

---

(1) الغزالي، محمد بن محمد بن احمد(ت505هـ/)، فضائح الباطنية وفـضائل المـستظهرية، تحقيق عبد الكريم الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت2002م، ص23-27.سيـشار إليه تالياً الغزالي، فضائح.

(2) الغزالي، فضائح، ص23؛ الجويني، عطا ملك(681هـ/)، جهانگشاي، نقله عن الفارسـية محمد التونجي، ط1، دار الملاح للطباعة والنشر،دمشق1985م، جـ2، ص308-309، سيشار إليه تالياً الجويني، جهانگشاي. حلمـي، الـسلاجقة، ص168، حـسنين، إيـران، ص77-78. عن مبادئ وأفكار الفرق الشيعية انظـر، الغزالـي، فـضائع؛ الجـويني، جهانگشاي. المجلد الثاني.

(3) نسبة إلى نزار ابن الخليفة الفاطمي المستنصر(427-487هـ/1036-1095م)، والـذي عهد إليه أبيه بالخلافة بعده ولقبه المـصطفى لـدين الله، لكـن قائـد الجيـوش بـدر الجمالي(ت487هـ/1095م) استطاع التأثير على المستنصر؛ فنقل ولاية العهد إلى ابنـه أحمد المستعلي(487-495هـ/1095-1102م)، انظر: ابن الأثيـر، الكامـل، جـ 8، ص496-498؛ الجويني، جهانگشاي، جـ2، ص303-307.

(4) هو الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن الصباح الحميري من دعاة الشيعة الإسماعيلية النزارية، استطاع السيطرة على قلعة ألموت، ونشر دعاته منها وبقـي يتولى قيادة هذه الفرقة حتى وفاته سنة 518هـ/1125م، انظر: الجـويني، جهانگـشاي، جـ2،ص 302-320.

قلعة ألموت سنة 483هـ/1090م[1] واستقر فيها، ومنها أخذ يرسل أتباعـه إلـى مناطق المشرق الإسلامي فسيطروا على كثيرٍ من القلاع الحصينة[2].

كان ذلك في أواخر حكم السلطان ملكشاة (465-485هـ/1073-1093م) الذي أدرك خطر هذه الحركة على الدولة والمجتمع، وبدأ بالاعتماد علـى وزيـره نظام الملك الطوسي(ت485هـ/1093م) محـاولاً استئـصالها، والقـضاء عليهـا والسيطرة على قلاعها، وقتل كثيراً من أتباعها؛ فعمدت هذه الحركة إلـى انتهـاج سياسة التخفي( التقية) وتنفيذ اغتيالات سياسيةٍ ضد كبار رجـال الدولـة، وعلمـاء وفقهاء العالم السني بشكلٍ عامٍ[3].

كان الوزير نظام الملك الطوسي أول ضحايا الحركة النزارية إذ أمر الحسن الصباح بقتله سنة 485هـ/1093م، مستغلاً الصراع الذي نـشب بـين الـوزير، والسلطان ملكشاة حول ولاية العهد[4]، وبعده بفترة وجيزة وفي ظـروف غامـضة مات السلطان [5].

استغلت الحركة الإسماعيلية النزارية الصراعات الشديدة التي شهدتها الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاة؛ فوسعت من نشاطاتها، واسـتطاعت الـسيطرة على مزيدٍ من القلاع الحصينة، كما عملت على إذكاء الصراعات بين ابناء السلطان ملكشاة؛ فانضمت إلى السلطان بركياروق ضد أخيه محمد، وكونّت جزءاً كبيراً من جيشه، مما أثار الناس ضد بركياروق، الذي أدرك الأثر الـسيئ لانـضمام هـذه

---

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص38؛ الجويني، جهانگشاي، جـ 2، ص308-309؛ حسنين، إيران، ص 80.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 40.

(3) حول هذه الاغتيالات انظر الملحق رقم (هـ)، ص205-207.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص204؛ الحسيني، زبدة، ص139-141، ابن العبـري، تـاريخ، مختصر، ص192-193؛ أبو النصر، الـسلاجقة، ص106-108؛ حلمـي، الـسلاجقة، ص42-43.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 481-484.

الحركة إليه، فانقلب عليها، وقتل أعداداً كبيرةً من أتباعها فيما عرف في مذبحة أصفهان سنة 494هـ/1101م[1].

بعد وفاة السلطان بركياروق وانفراد السلطان محمد بالحكم، كانت النزارية قد اتسعت أملاكها وكثر أتباعها وعم البلاد ضررها، فهال السلطان محمد ما وصلت إليه هذه الحركة من قوة وسيطرة فقرر القضاء عليها، وكانت سياسته في ذلك تقوم على التصدي لها فكرياً وعسكريا، فكان يرسل مع حملاته العسكرية الفقهاء والعلماء ويأمرهم بمناظرتهم وإبطال معتقداتهم ، فاستولى في سنة 500هـ/ 1107م، على قلعة شاهدز[2] وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش[3]، وأرسل حملة أخرى بقيادة وزيره لحصار قلعة ألموت، لكنها عادت دون أن تتمكن من فتحها[4]، فأعاد الكرة مرة أخرى في سنة 505هـ/1112م وفرض حصار مشدداً على هذه القلعة، فاستمر هذا الحصار حتى سنة 511هـ/ 1118م، وكادت أن تستسلم لولا وفاة السلطان -في هذا الوقت- مما اضطر قائد جيشه إلى الانسحاب عنها[5].

توقف تنفيذ خطة السلطان محمد في القضاء على النزارية بعد وفاته، وانشغل السلاجقة في نزاعاتهم حول السلطان، ووجد النزارية الفرصة من جديد لتقوية حالهم، فاستولوا على كثير من القلاع، وأضافوها إلى ما بأيديهم، ومع أن السلطانين سنجر ومحمود حاربا هذه الحركة، فقد ذكر أن السلطان سنجر في سنة 521هـ/1128م، قتل اثني عشر ألفاً من الباطنية في أصفهان [6]، كما قيل أن

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص62-63؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 43-44.

(2) قلعة حصينة على جبل في أصفهان كانت معقل ابن عطاش وهو أحمد بن عبد الملك مقدم الباطنية، استحدثها السلطان ملكشاة، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ3، ص316. .

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص107-109؛ اليافعي، مرآة، جـ3، ص124؛ القلانسي، ذيل، ص151؛حلمي، السلاجقة، ص182.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص99-101؛ حلمي، المختصر، ص53.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص169؛ الجويني، جهانگشاي؛ جـ2، ص317؛ حلمي، السلاجقة، ص182.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص244؛ اليافعي، مرآة، جـ3، ص173.

السلطان محمود استولى في سنة 524هـ/ 1130م، على قلعـة ألمـوت[1]، إلا أن الدولة السلجوقية في عهدهما، لم تول أمر القضاء على هذه الحركة الأهمية الكافية، كما كان أيام السلطان محمد، لا بل إن الذهبي ذكر أن السلطان سنجر تحالف مـع الباطنية وأنهم كونوا جزءاً كبيراً من جيشه في حربه مع الـسلطان محمـود سـنة 513هـ/1120م[2] الأمر الذي مكّن هذه الحركة من توسيع نشاطها وزيادة خطرها فاستولى أتباعها على كثير من القلاع الحصينة في مناطق واسـعة مـن المـشرق الإسلامي [3].

كانت الخلافة العباسية ترى أن مجابهة الخطر الباطني الإسماعيلي والتصدي له من مهام السلطنة السلجوقية، ومع ذلك كانت تقف إلى جانب السلطان محمد فـي محاربة الحركة الإسماعيلية، فعمل الخليفة المستظهر على حث العلمـاء والفقهـاء على محاربة أفكار الإسماعيلية وبيان خطرها وإصدار الفتاوي التي تبيح قتالهم[4]، ودعا إلى مخالفتهم في جميع أفعالهم وطرق تأدية العبادات[5]، كمـا نـشط رجـال الخليفة بالتعاون مع أصحاب شحنة بغداد في تتبع أتباع الحركة النزاريـة والفتـك بهم، ففي سنة 503هـ/1110م، أقدم أحد النزارية على طعن وزيـر الـسلطان محمد فقبض عليه، وأقر على جماعة من النزارية، الذين كانوا في أحد مساجد بغداد فقتلوا وقتل معهم[6].

وفي خلافة المستَرشِد اتسع خطر النزارية، وسيطروا على كثير من القـلاع المنتشرة في إيران وأصفهان وأذربيجان والشام[7]، ونشروا فدائييهم بين الناس فـي

(1) اليافعي، مرآة، جـ 3، ص175.

(2) الذهبي، دول، جـ2، ص28.

(3) حلمي، السلاجقة، ص185 .

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص62-63.

(5) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ 17، ص66؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص44؛ اليـافعي، مرآة، جـ 3، ص173.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص117.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص231.

زي التجار والحجاج وقتلوا كثيراً من رجال الدولة والفقهاء والعلمـاء والقـضاة[1]، ومال نشاطهم إلى نـوع مـن الاسـتقرار بعـد وفـاة الحـسن الـصباح سـنة 518هـ/1125م، وتولي خليفته كيابزرگ اميد(518-532هـ/1125-1138م)[2]، واستولى أتباعه على قلاع طالقان[3] وغنم كثيراً وعظم أمـر أتباعـه فـي الـشام وخافتهم العامة والحكام[4].

نشط الخليفة المستَرشِد في محاربة هذه الحركة؛ فأمر رجاله بتعقب أتباعهـا وفدائييها وقتلهم، ولم يمنعه انشغاله في محاربة دبيس من الحذر منهم، وتتبعهم. ففي سنة 517هـ/1124م، وبينما كان الخليفة يتهيأ للخروج لمحاربة دبـيس وصـلت أخبار مفادها أن رجالاً من النزارية، جاءوا إلى بغداد في زي الأتراك؛ يقـصدون الفتك، وقتل الخليفة، فأمر الخليفة أن يبعد كل مستعرب من الأتـراك عـن جـيش الخلافة[5]، وفي سنة 518هـ/1125م استطاع رجال الخليفة تعقب مجموعـة مـن النزارية الذين انضموا إلى قافلة تجاريه قادمة إلى بغـداد مـن خراسـان وكـانوا يقصدون قتل أعيان الدولة مثل الوزير ابن صدقة، والقائد نظر، فقبض عليهم قبـل تنفيذ مخططهم، وتم استجوابهم، فأقروا على مجموعة من أتباع الحركة النزارية في بغداد، فقبض عليهم جميعاً وصلِبوا ثم قُتلوا أمام الناس[6].

---

(1) الأصفهاني، زبدة، ص171-172؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص50-51؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، 37؛ للمزيد انظر الملحق رقم( هـ)، ص205-207.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص231.اسم فارسي بمعنى الأمير أمل الكبير، دخل قلعة ألموت إلى جوار الحسن الصباح سنة 494هـ/1101م، وتولى حكمها بعد وفـاة الحـسن سـنة 518هـ/1125م، وبقي يحكمها حتى وفاته سنة 532هـ/1138م، الجويني، جهانگشاي، جـ 2، ص315-323.

(3) قرية من قرى بلخ بخراسان ، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ4، ص12.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص118-119؛ القلانسي، ذيل، ص142.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص216.

(6) المصدر نفسه، جـ17، ص225؛ سبط ابن الجـوزي، مـرآة، ق1، جـ ـ 8، ص113؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص302.

يبدو أن الخليفة المسترشِد قد شدد على هذه الحركة؛ فاعتبرته أخطر أعدائها، وخاصة بعد أن نجح الخليفة في استقطاب العامة حوله الذين عاضدوه في حروبه مع دبيس والسلاجقة وزنكي[1]، فحاولت اغتياله سنتي 517هـ/1124م و518هـ/1125م، لكنها فشلت في ذلك بسبب تيقظ رجاله والتفاف العامة حوله[2]، وفي سنة 529هـ/1135م، بالاتفاق مع السلطان سنجر والسلطان مسعود، اغتنم النزارية فرصة هزيمة الخليفة من قبل السلطان مسعود بالقرب من مراغة، ووجوده في خيمة دون حماية تذكر؛ فهاجمته جماعةٌ كبيرةٌ منهم على خيمته وقتلته ومثلت بجثته[3].

إعتبر أتباع النزارية اغتيال الخليفة نصراً عظيماً لهم، فأمر قائدهم (كيايزرك) بإقامة الاحتفالات لمدة أسبوع ابتهاجاً بهذا النصر[4].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 219.

(2) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص225؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص113؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص302.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص149؛ الذهبي، دول، جـ2، ص35؛ أبو الفداء، المختصر،جـ 2، ص 73، ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص 162؛ الجويني، جهانگشاي، جـ 2، ص322.

(4) الجويني، جهانگشاي، جـ2، ص321؛ حلمي، السلاجقة، ص186.

**الخاتمة**

عالجت هذه الدراسة الأحـداث المختلفـة فـي خلافـة المـستَرشِد(512-529هـ/1119-1135م)، ودوره في مواجهة السيطرة السلجوقية علـى الخلافـة العباسية، وتخليص العراق من نفوذهم، وتحديد أبعاد هذا الـدور وأهميتـه، وقـد خلصت الدراسة الى النتائج التالية:

**أولاً:** إختار المستَرشِد شخصياتٍ مثقفـةً ذات خبـرة فـي العمـل الإداري والسياسي لتولي وزارته والوظائف المهمة في حكومته، وراقب عملهم بشكلٍ مستمر فكان يعاقب المقصر، ويخلع على المحسن، مما دفعهم الى القيام بعملهم على الوجه المطلوب، فكانوا له عونا في مقاومةِ النفوذِ السلجوقي، والتقليل مـن آثـاره علـى العراق.

**ثانياً:** جرد السلاطين السلاجقة الخلافة العباسية من أي قوة عسكرية، لكـن الخليفة المستَرشِد -ولما إمتاز به من صفاتٍ كبيرةٍ - ما كان ليرضى بهذا؛ فعمـل على تكوين جيشٍ خاصٍ به، اعتمد عليه في تحقيق أهداف الخلافة.

**ثالثاً:** كانت خلافـة المـستَرشِد (512-529هـ/1119-1135م) مليئـة بصراعاتِ السلاجقةِ ونزاعاتهم حول السلطنة، وخاصة تلك التـي كانـت الدولـة السلجوقية تشهده عقب وفاة السلاطين والتي تركت آثارها السيئة على أحوال الناس ومعايشهم وأمنهم، فنفروا من الحكم السلجوقي وكرهوه، فاستغل المـستَرشِد ذلـك، واستطاع استقطاب العامة حوله بالاعتماد على تأثيره الديني ومـا قـام بـه مـن إصلاحات سياسية واقتصادية فالتفّ العامة حوله وساندوه في حروبه مع دبيس ابن صدقة والسلاجقة.

**رابعاً:** شهدت خلافة المستَرشِد نشاطاً ملحوظاً للإمارة المزيدية في ظل حكم أميرها دبيس بن صدقة، والذي سعى الى توسيع حدود إمارته بـشن الاعتـداءات المتتالية على مناطق الخلافة، وذلك بعد أن اطمأن الى موافقة السلطنة الـسلجوقية غير المعلنة على أفعاله، فتصدى الخليفة المستَرشِد لهذه الاعتداءات وخاصة بعـدما أدرك أن السلطنة السلجوقية تبقي على دبيس فـي مواجهـة الخلافـة، وتحـارب المستَرشِد مع دبيس وهزمه وقضى على ما يشكله من خطر على بغداد.

**خامساً:** كرس الخليفة المستَرشِد خلافته لتحقيق استقلال العـراق، وتقلـيص نفوذ السلاجقة فيه وإعادة هيبة الخلافة وقوتها، لكن السلاجقة لـم يرضـوا بهـذا؛ فعملوا على الحد من قدراته وتجريده من سلطاته، كما فعلوا مع مـن سـبقه مـن الخلفاء، وعندما لم تنجح هذه الإجراءات فـي الحـد مـن طموحـات المـستَرشِد وتحركاته، عمد السلاطين السلاجقة بالاتفاق مع الحركة الإسماعيلية النزارية الـى قتل الخليفة.

**سادساً:** واجهت البلاد الإسلامية الخطر الصليبي الذي اشـتد فـي خلافـة المستَرشِد، الذي انشغل في سعيه للتخلص من النفوذ السلجوقي عن المشاركة بـأي جهد عسكري لمواجهة هذا الخطر.

**سابعاً:** كانت الحركات الإسماعيلية النزارية قد نجحت في نشر مذهبها فـي مناطق واسعة من المشرق الإسلامي مستغلة انشغال الـسلاجقة فـي صـراعاتهم المستمرة، فسيطروا على كثير من القلاع الحصينة، والتي اتخذوها منطلقـاً لتنفيـذ عملياتهم القائمة على النهب والسلب واغتيال الخلفاء والقـادة والعلمـاء والفقهـاء، فتصدى الخليفة المستَرشِد لهذه الحركات وحاربها أتباعها في مناطق حكمه في بغداد وضيق عليهم.

## المصادر والمراجع

ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت630هـ/1233م)، 1963م، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل**، تحقيق عبدالقادر أحمد طعيمات، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثنى ببغداد.

ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت630هـ/1233م)، 1995م، **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه: محمد الدقاق، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن تغري بردي، يوسف(ت874هـ/1470م)، (د.ت)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/1201م)، 1924م، **مناقب بغداد**، تحقيق محمد بهجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/1201م)، 1992م، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن علي (ت562هـ/1167م)، **التذكرة الحمدونية**، مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية ، شريط ميكروفلم رقم(1087).

ابن خلدون، عبدالرحمن (ت808هـ/1406م)، 1999م ،**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، طبعة مزيدة ومنقحة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

ابن خلكان، أحمد بن محمد(ت681هـ/1283م)، (د.ت)_**وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر ( ت809هـ/1407م)، (د.ت)، **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور وأحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن يحيى(ت637هـ)، 1974م، **ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، منشورات وزارة الأعلام، بغداد.

ابن الساعي، علي بن أنجب ( 674هـ/1276م)، (د.ت)، **نساء الخلفاء، المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء**، تحقيق، مصطفى جواد، دار المعارف ، القاهرة.

ابن سباط، حمزة بن احمد بن عمر(ت926هـ/1521م)، 1993م ، **صدق الأخبار تاريخ بن سباط**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار جروس برس، طرابلس الشرق.

ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم(ت684هـ/1286م)، 1978م، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا ( ت 709هـ/1310م)، (د.ت)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت .

ابن العبري، غرويغريوس الملطي ( ت685هـ/1287م)، 1986م، **تاريخ الزمان**، (د.ط)، دار الشرق، بيروت.

ابن العبري، غرويغريوس الملطي ( ت685هـ/1287م)،1958م، **تاريخ مختصر الدول**، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

ابن العديم، عمر بن احمد ابن أبي جرادة(ت660هـ/1262م)، 1988م، **زبدة الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دمشق.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، (ت1089هـ/1679م) ؛ (د.ت)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1185م )، 1973م، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، لايدن.

ابن الفوطي،عبد الرزاق بن أحمد(723هـ/1324م)، (د.ت)، **تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق: مصطفى جواد

ابن قاضي شهبة، بدر الدين، 1971م، **الكواكب الدرية في السيرة النورية (تـاريخ السلطان نورالدين محمود بن زنكي)**، تحقيق : محمود زايد، ط1، دار الكتـاب الجديد، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1373م)، (د.ت)، **البدايـة والنهايـة**، مكتبة المعارف، بيروت.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(697هـ/1298م)، 1957م، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشياك، المطبعة الأميرية، القاهرة.

ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ/1349م)، 1970م، **تاريخ ابن الـوردي**، ط1، دار المعرفة، بيروت.

أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب (ت 732هـ/1332م )، 1997م، **تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر**، ط1، دار الكتب العلميـة، بيروت.

الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو(ت717هـ/1318م )، (د.ت)، **خلاصة الـذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**، تحقيق: مكي السيد جاسم، مكتبـة المثنـى، بغداد.

الأزدي، علي بن منصور ظافر بن حسين (613هـ1217م)، 1999م ،**أخبار الدول المنقطعة**، تحقيق عصام مصطفى هزايمـة وآخـرون، ط1، مؤسـسة حمـادة للخدمات والدراسات الجامعية، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد.

إسنفنديار، 2002م ، بهاء الدين محمد بن حسن، تاريخ طبرستان، ترجمة وتقـديم: أحمد محمد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

الأصفهاني عماد الدين الكاتب (ت 597هـ ـ/1201م)، 1955م ،**خريـدة القـصر وجريدة العصر**، تحقيق : محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، مطبعـة المجمـع العلمي العراقي، بغداد.

الأصفهاني،عماد الدين محمد بن محمد بن حامد(ت597هـ/1201م) **زبدة النـصرة ونخبة العصرة**، اختصار الفتح بن محمد البنداري الأصفهاني.

إقبال، عباس، **تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهريـة حتـى نهايـة الدولة القاجارية (205-1343هـ/820-1925م)**، 1989م، ترجمـة محمـد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافـة والنـشر والتوزيع، القاهرة.

إقبال، عباس، 1984م ،**الوزارة في عهد السلاجقة**، ترجمة وتعليق احمد كمال الدين حلمي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت.

الآلوسي، عادل محي الدين، "**الخليفة المسترشد بالله العباسـي**"، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، العدد1، السنة 1978م.

أمين، حسين، 1965م، **تاريخ العراق في العصر السلجوقي**، المكتبة الأهلية، بغداد ،

البغدادي، أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ/1071م)، (د.ت)، **تـاريخ بغـداد أو مدينة السلام**، دار الكتاب العربي، بيروت.

أمين، حسين، 1964م، "**نظام الحكم في العصر السلجوقي**"، مجلة سومر العراقيـة، العدد الأول، بغداد

البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني، 1900م، **تاريخ دولة آل سـلجوق**، مطبعة الموسوعات، القاهرة.

بيات، فاضل مهدي، 1981م "**السياسة السلجوقية في العـراق**"، مجلـة المـؤرخ العربي، العدد الثامن عشر، سنة.

بيات، فاضـل مهـدي، 1984م "**علاقـة الـسلاجقة بالخلافـة العباسـية 429-447هـ/1038-1055م**"، مجلة آداب المستنصرية، العدد التاسع

الجالودي، عليان،1996م، **تطور الـسلطنة وعلاقتهـا بالخلافـة خـلال العـصر السلجوقي(447-590هـ/1055-1193م)**، رسالة دكتوراه غيـر منـشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

الجميلي، رشيد الدين عبدالله،1980 **إمارة الموصل في العـصر الـسلجوقي(489-521هـ)**، ط1، جامعة بغداد، بغداد

الجميلي، رشيد عبدالله،(د.ت)، **تاريخ الدولة العباسية (العصور العباسية لمتأخرة)**، دار الفكر العربي، القاهرة.

الجميلي، رشيد، 1970م، **دولة الأتابكة في الموصل بعد عمادالدين زنكي**، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت

الجويني، عطا ملك(681هـ/1283م)، **جهانگشاي**، نقلـه عـن الفارسـية محمـد التونجي، ط1، دار الملاح للطباعة والنشر،دمشق1985م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القـسطنطيني (ت1067هـ ـ/1657م )، (د.ت)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**،ط1، دار الفكر بيروت .

حتاملة، عبد الكريم عبده، 1419هـ/1999."**دور الخليفة المـستَرشِد بـالله فـي مواجهة نفوذ السلاجقة(512-529هـ ـ/1118-1135م)**"، مجلـة جامعـة أم القرى، السنة الحادي عشر، ع11، الشريعة والدراسات الإسلامية(2).

الحسو، احمد عبدالله، 2005م، **الكرك عبر العصور**، وزارة الثقافة الأردنية، عمان

الحسيني، علي بن ناصر(ت622هـ/1226م)، 1985م ،**زبدة التواريخ في أخبـار الأمراء والملوك السلجوقية**، تحقيق: محمد نور، ط1، دار أقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت.

الحسيني، ناصر بن علي (ت575هـ/1180م)، 1984، **أخبار الدولة الـسلجوقية**، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال،ط1، دار الأفاق، بيروت.

حلمي، أحمد كمال الدين،1986م، **السلاجقة فـي التـاريخ**، ط2، ذات الـسلاسل، الكويت.

الحموي، ياقوت بن عبدالله (622هـ/1226م)، 1979م، **معجم البلدان**، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1226م) ،(د.ت)، **معجـم الأدبـاء**، د.ط، دار المشتسرق، بيروت.

حيص بيص، سعد بن محمد ،1974م، **ديوان حيص بيص**، تحقيق: مكـي جاسـم وشاكر هادي شكر، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد.

الخالدي، فاضل، 1968م "**الوزارة في العهدين البويهي والسلجوقي في العـراق**"، مجلة أقلام، جـ10، السنة الرابعة.

خليل،عماد الدين، 1982م، **عماد الدين زنكي**، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت

الدوري، عبد العزيز، 1988،**النظم الإسلامية**، طبعة جديدة، بيت الحكمة، جامعـة بغداد.

الديوجي، سعيد ، 1982م، تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمـي العراقـي، بغداد

الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/ 1348م)، (د.ت)، **الإشارة الى وفيات الأعيان**، تحقيق إبراهيم صالح، ط1، دار ابن الأثير، بيروت.

الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/ 1348م)، (د.ت)، **تـاريخ الإسـلام ووفيـات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط2، دار الكتاب العربـي، بيروت.

الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/ 1348م)، 1337هـ، **دول الإسلام**، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية،حيدر آباد.

الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/ 1348م)، 1984م **سير أعلام النبلاء**، تحقيـق شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الراوندي، محمد بن علي(601هـ/1205م) 1960م، **راحة الصدور وآية الـسرور في تاريخ الدولة السلجوقية**، نقله الى العربية إبراهيم أمين الشواربي وآخرون.

ردايده، تهاني خالد، 1997م، **جيش الخلافة العباسية في الفترة مـا بـين (447-656هـ/1055-1258م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعـة اليرمـوك، اربد.

الرويضي، محمـود، 1997م، **إمـارة الرهـا الـصليبية (1097-1155م/490-550هـ)**، الجامعة الأردنية، عمان.

زكار سهيل، 1975 **مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية**، ط3، دار الفكر، بيروت.

الزهراني، محمد مسفر،1986م، **نظام الوزارة في الدولة العباسية( 334-590هـ العهدين البويهي والسلجوقي)** ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الزهراني، محمـد مـسفر، 1982م، **نفـوذ الـسلاجقة الـسياسي فـي الدولـة العباسية(447-590هـ)** ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت

زيار، حامد زيان غانم،1983م، **الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون، 1988م، **تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي(132-656هـ/749-1258م)**، جامعة الموصل، الموصل.

سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي التركي ( ت654هـ/1257م )، 1951م، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، ط1، مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند.

السبكي، عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1370م)، 1992م، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، ط2، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة.

سميل، ر.سي،1982م، **الحروب الصليبية**، ترجمة سامي هاشم، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت911هـ/1506م)، (د.ت)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتب التجارية، دار الأرقم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت.

شاكر، محمود،1991م، **التاريخ الإسلامي، (الدولة العباسية)**، ط5، المكتب الإسلامي، بيروت

شندب، محمد حسين، 1984م، **الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري(467-512هـ)**، ط1، دار النفائس، بيروت.

الصوري، وليم، 1980م، **تاريخ الحروب الصليبية**، نقله الى العربية وقدم له سهيل زكار، ط1، دار الفكر، د.م.

طقوش، محمد سهيل، 1996م، **تاريخ الدولة العباسية**، ط1، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت،

عاشور، سعيد،1975م، **الحركة الصليبية**، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

عبد الخالق، شريف، 1990، **دراسة الأوضاع العلمية و التعليمية في عهـد بنـي بويه و السلاجقة(334-656هـ)**، رسالة دكتوراه غيـر منـشورة، الجامعـة الأردنية، عمان.

العبود، نافع توفيق، 1990"**جهود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن السادس الهجري**"، مجلة المورد العراقية، العدد الأول، م1

العزام، صبحي محمود عسود،2000م، **الوزارة العباسية(447-656هـ/1055-1258م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان

عقلة، عصام مصطفى، 1997م، **الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولـة، دراسة وتحقيق**، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان.

عمر، فاروق، 1983م، **النظم الإسلامية**، العين

الغزالي، محمد بن محمد بن احمد(ت505هـ/1112م)، 2002م، **فضائح الباطنيـة وفضائل المستظهرية**، تحقيق عبدالكريم الجنـدي، ط1، دار الكتـب العلميـة، بيروت.

غوانمة، يوسف، 1983"**الأفضل بن بدر الجمالي وموقفه مـن الحمـلة الـصليبية الأولى**"، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود.

الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (عاش في القرن السادس الهجـري)، 1974م، **تاريخ**، تحقيق: بدوي عبدالطيف عوض، ط2، دار الكتـاب اللبنـاني، بيروت.

فوزي، فاروق عمر،1989م ، **النهوض العربي في العراق والأقاليم المجاورة فـي العصور العباسية الأخيرة(247-656هـ/861-1258م)**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد.

فييه، جان موريس،1990م، **أحوال النصارى في خلافة بني العباس**، ترجمة حسني زينه، دار المشرق، بيروت.

القرشي، عبد القادر بن محمد ( 775هـ/1374م)، (د.ت)، **الجواهر المضية فـي طبقات الحنفية**، مير محمد كتب خانه، كراتشي

القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، **أخبار الدول وآثار الأول في التَاريخ**، مخطوط عالم الكتب بيروت .

القزاز، محمد صالح داود، 1971م، **الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير (521-656هـ)**، مطبعة القضاء، النجف

القلانسي، حمزة (ت555هـ/1161م) 1908م، **ذيل تاريخ دمشق**، (د،ط)، مطبعـة الآباء اليسوعيين، بيروت.

الكازروني، علي بن محمد البغدادي (ت 697هـ /1298م )، 1970م، **مختـصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس**، تحقيق: مصطفى جـواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد.

الكساسبة، حـسين فـلاح،1993م، **المؤسـسات الإداريـة فـي مركـز الخلافـة العباسية(الدواوين)**، منشورات جامعة مؤتة، المطبعة الوطنية عمان.

مرتضي، نظمى، **كلشن خلفا**،(د.ت)، نقله الى العربية، موسـى كـاظم نـورس، المجمع العلمي العراقي، بغداد

المقابلة، معن، 1999م، **إحيـاء الخلافـة العباسـية، فـي الفتـرة مـن 530-622هـ/1135-1225م**، رسالة دكتورة غير منـشورة، الجامعـة الأردنيـة، عمان.

المقدسي، عبدالرحمن بن إسماعيل بـن إبـراهيم (ت661هـ /1263م)، 1997م، **الروضتين في أخبار الدولتين**، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط1،مؤسـسة الرسـالة، بيروت.

المقريزي، احمد بن علي (ت845هـ/1442م)، 1971م، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**،تحقيق: محمد حلمي محمد، القاهرة.

المقريزي، احمد بن علي (ت845هـ /1442م)، 1956م، **الـسلوك لمعرفـة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط2، مطبعة لجنة التـأليف والترجمـة والنشر، القاهرة.

المنجد، صلاح الدين، 1975م، **ولاة دمشق في العهد السلجوقي، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر،** ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت.

الميداني، محمود عصام،1995م، **الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي،** راجعه عبدالرحمن حميد ط1، دار دمشق للنشر و التوزيع و الطباعة، دمشق.

ناجي، عبد الجبار، 1970م**، الإمارة المزيدية،** دار الطباعة الحديثة، بغداد

النظامي العروضي السمرقندي، **چهار مقالة،** ترجمة عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب.

النّويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت733هـ/1333م)، 1980م **،نهاية الأرب في فنون الأدب،** تحقيق : أحمد كمال زكي ومحمد مصطفي زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

هنتس، ڤالتر،(د.ت)، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري،** ترجمه عن الألمانية: كمال العسلي، ط2، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان.

الوزنة، يحيى حمزة،2004م **الدولة السلجوقية، في عهد سنجر(490-552هـ/1096-1157م)،** ط1، مكتبة الثقافة الدينية، جدة.

وهيبي، أديل سليمان محمود، 2004م، **مدينة الري، في العصر السلجوقي،(434-590هـ/1042-1193م)** رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية

اليافعي، عبدالله بن أسعد( ت768هـ/1367م)، 1997م، **مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،** تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت

اليافعي، عبدالله بن أسعد(ت768هـ/1367م)، 1997م، **مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،** تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1226م) ،(د.ت)، **معجم الأدباء،** د.ط، دار المشترق، بيروت.

## المراجع الأجنبية


$EI^2$,The Encyclopedia of Islam , Leiden, 1995.
Atabak, V1 , pp 731-732
Malik-Shah,VI, PP 273-276. -
Mazyad, VI, PP 965-968.
AL-Mustarshid,VII 733-735.
Saldjukids, VIII, PP 936-979.
Holt,P.M,and others
The Cambridge History of Islam, Cambridge University press Londan1970.
Muir,W.
The Caliphate, its rise, decline, and fall. Kheyats, Beirut,1963.
Lane-poople, S.
The Mohammadan Dynasties, Beirut, 1966.

ملحق رقم(أ)

أسماء الخلفاء العباسين في العصر السلجوقي

## ملحق رقم(أ)
## أسماء الخلفاء العباسين في العصر السلجوقي

القائم بأمر الله، عبدالله بن القادر(422-467هـ/1031-1075م)
المقتدي بأمر الله، عبدالله بن محمد بن القائم (467-487هـ/1075-1095م)
المستظهر بالله، أحمد بن المقتدي (487-512هـ/1095-1119م)
المستَرشِد بالله، الفضل بن المستظهر (512-529هـ/1119-1135م)
الراشد بالله، المنصور بن المستَرشِد (529-532هـ/1135-1138م)
المقتفي لأمر الله، محمد بن المستظهر(532-555هـ/1137-1161م)
المستجد بالله، يوسف بن المقتفي (555-566هـ/1161-1170م)
والمستضيء بأمر الله، الحسن بن المستنجد (566-575/1170-1179م)
الناص لدين الله، أحمد بن المستضيء ( 575-622هـ/1180-1226م)

## ملحق رقم(ب)

## الوزراء العباسيون في خلافة المستَرشِد(512-529هـ/1119-1135م)

ملحق رقم(ب)

الوزراء العباسيون في خلافة المستَرشِد(512-529هـ/1119-1135م)

أبو شجاع، محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد ( 511-513هـ/1118-1120م)

جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة (513-516هـ/1120-1123م)

أبو نصر أحمد بن نظام الملك الحسن بن علي الطوسي (516-517هـ/1123-1124م)

جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة للمرة الثانية (517-522هـ/1124-1129م)

أبو القاسم علي بن طراد الزينبي (522-527هـ/1129-1133م)

شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني((527-528هـ/1133-1134م)

أبو القاسم علي بن طراد الزينبي للمرة الثانية (528-529هـ/1134-1135م)

## ملحق رقم (جـ)

## أصحاب الشحنة في بغداد في خلافة المسترشد

## ملحق رقم (جـ)

### أصحاب الشحنة في بغداد في خلافة المستَرشِد

آقسنقر البرسقي ( 512-513هـ/1119-1120م)

منكوبرس( 513-513هـ/1120-1120م)

سعد الدولة يرنقش الزكوي(513-516هـ/1120-1123م)

آقسنقر البرسقي للمرة الثانية ( 516-518هـ/1123-1125م)

سعد الدولة يرنقش الزكوي للمرة الثانية (518-521هـ/1125-1128م)

عماد الدين زنكي(521-522هـ/1128-1129م)

مجاهد الدين بهروز(522-526هـ/1129-1132م)

الجاولي الطغرلي(526-529هـ/1132-1135م)

ببكة المحمودي(529-530/1135-1136م)

ملحق رقم(د)

سلسلة النسب السلجوقي

ملحق رقم(هـ)

الاغتيالات التي نفذتها الحركة الإسماعيلية في الفترة

(485-532هـ/1093-1138م)

## ملحق رقم(هـ)

## الاغتيالات التي نفذتها الحركة الإسماعيلية في الفترة

## (485-532هـ/1093-1138م)

| الشخصية وسنة اغتيالها | الوظيفة التي يتولها | المذهب | المصدر |
|---|---|---|---|
| نظـــــام الملـــــك الطوسي(485هـ/1093م | وزير السلطان ملكشاة | سني | ابن العمراني، الإنباء، ص204؛ الحسيني، العراضة، ص65. |
| أحمد بن محمد بن أحمـد، أبـــــو العبـــــاس اللباد(486هـ/1094م) | أحد عدول أصفهان | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص 6. |
| علي بن هبة الله العجلي،أبو النـــــــــــــصر ماكولا(486هـ/1094) | فقيه ومحدث | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص7، ابـن كثير، البداية، جـ12، ص145. |
| عبـد الـرحمن الـسيرمي (490هـ/1097م) | وزيـر الـسلطان بركياروق | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص12. |
| الأميـــر برســـــق (490هـ/1097م) | شحنة بغداد وأحد كبار أمراء الدولة | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص112؛ ابن خلكان، وفيات، جـ1، ص243. |
| أرغـــش النظـــامي (490هـ/1097م) | زوج ابنة عم السلطان بركياروق | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص12. |
| أنتز الأمير(492هـ/1099م) | تولى ولاية فارس ثـم ولاية العراق | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص 50 |
| الأمير بلكابـك(493هـــ/ 1100م) | من أمـراء الـسلطان محمد | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص30. |
| ســــعد الدولـــــة الكــوهرائين(493هـــ/ 1100م) | شحنة بغداد وأصفهان | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جـــ17،ص 56-57. |
| أمير الري(493هـ/1100م) | أمير الري | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص 55. |
| جناح الدولـة حـسين بـن | صاحب حمص | سني | سبط ابن الجوزي، مـرآة، ق1، جــ8، |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ملاعب (495هـ/1102م) | | | ص3؛ القلانسي، ذيل، ص149. |
| الأعز (495هـ/1102م) | وزيـــر الــسلطان بركياروق | سني | ابن الجوزي،المنتظم،جـ17،ص 77؛ ابن الأثير،الكامل، جـ 9،ص50-51. |
| أبــــــو المظفــــــــر الخجندي(496هـ/1103م | فقيه شافعي | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جـــ17،ص 83؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص69. |
| أبــو العــلاء صــاعدين النيــسابوري(499هــــ/ 1106م) | قاضي | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص97-98. |
| أبو المظفر علي بــن نظــام الملك(500هـ/1107م) | وزير السلطان محمد | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جــ17،ص 99؛ ابن كثير، البداية، جـ12، ص167. |
| صــاعد بــن محمــد البخاري(502هـ/1109م | قاضــي أصــفهان ومفتيها | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جــ17،ص 113؛ ابن العماد، شذرات،جـ4، ص4 |
| عبد الواحد بــن إســماعيل الرويــــــــــــاني الطبري(502هـ/1109م) | فقيه ومحدث | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جــ17،ص 130؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص134. |
| عبيد الله بن علي الخطبـي (502هـ/1109م) | قاضي أصفهان | سني | ابــن الجــوزي، المنتظم،جــ17،ص 113؛ابــن الأثير،الكامــل، جــــ 9، ص133؛ابن كثيــر، البدايــة، جــ 12، ص170. |
| نظام الملك أحمد بن نظــام الملــك محاولــة اغتيــال سنة(503هـ/1110م) | وزير السلطان محمد | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص 117 |
| مودود ( 508هـ/1115م) | صاحب الموصل | سني | الفارقي، تاريخ، ص208؛ابن الجـوزي، المنتظم،جــ17،ص 123؛ ســبط ابــن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص50. |
| أحمــــــد بــــــك الأمير(510هـ/1117م) | أحد الأمراء الكبار في عهد السلطان محمد | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص 147؛ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| أحمديل بن وهسوذان(510هـ/1117 | صاحب مراغة | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص162. |
| أحمد بك الأمير(510هـ/1117م) | أحد الأمراء الكبار في عهد السلطان محمد | سني | ابن الجوزي، المنتظم،جـ17،ص 147. |
| الأفضل بن بدر الجمالي(516هـ/ 1123م) | وزير الخليفة الفاطمي | شيعي | أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص57؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص104-105. |
| أبو طالب السميرمي(516هـ/ 1123م) | وزير السلطان محمود | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص215-216؛ الذهبي، الإشارة، ص263 ؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص50. |
| أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي(519هـ/1126م | قاضي القضاة | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص234؛ القلانسي، ذيل، ص210 |
| بلك بن بهرام بن أرتق(518هـ/1125م) | صاحب حلب | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص227. |
| معين الملك أحمد بن الفضل(521هـ/1128م) | وزير السلطان سنجر | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص244-245؛ القلانسي، ذيل، ص216؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص92. |
| آقسنقر البرسقي(521هـ/1128م | صاحب الموصل | سني | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص207-208؛ القلانسي، ذيل، ص216؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص53. |
| كردة بازو | ابن ملك طبرستان | سني | إسفندبار، تاريخ طبرستان، ص387. |
| بوردي بن طغتكين(526هـ/ 1132م | صاحب دمشق | سنة | ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص259-260؛ابن سبط، تاريخ،جـ1، ص54. |

ملحق رقم(و)

خرائط متعلقة بالدراسة